
الدكتور سامي مكي العاني
دراسات
في الأدب الأندلسي
ساعدت الجامعة المستنصرية على نشره
١٩٧٨

STUDIES ON ANDALUSIAN - LITERATURE

BY

Dr. Sami AL - Ani

Professor

of

Arabic Literature

AL - Mustansiriyah

Univirsity

Baqhdad - 1978

دينــار ونصــف

دراسات
في الأدب الأندلسي

الدكتور سامي مكي العاني

ساعدت الجامعة المستنصرية على نشره

١٩٧٨

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

عندما عهد إلي تدريس مادة الأدب الأندلسي لطلاب قسم اللغة العربية في كلية الآداب ، تلقيت ذلك بشيء من التردد والرهبة ، لأن كلمة الاندلس ، بقدر ماتثير في نفس كل عربي ومسلم لواعج الحزن ومشاعر الاسى فانها تبعث فيهم عوامل العزم ودواعي التصميم لترجمة تلك العواطف الجياشة الى العمل العلمي الجاد ، للكشف عن كنوز تراث تلك البقعة الغالية من بلد الاباء والاجداد .

وما ان بدأت في إعداد محاضراتي وإلقائها على الطلاب حتى وجدتني مشدوداً الى ذلك الجزء الغالي من وطننا السليب ، الذي لازلنا نجهل كثيراً من صفحات تاريخه وأدبه ، ولازال ناشئتنا لا يعرفون شيئاً عن حقيقته الجغرافية والتاريخية والعلمية والادبية . ومن هنا رأيت من واجبي ان أسهم - مع من أسهم من المختصين بالاندلس - بجهد متواضع في وضع لبنة بسيطة في صرح تراث الفردوس المفقود وهي هذه الفصول التي حاضرت بها طلابي في آداب المستنصرية ، آمل ان اكون قد أديت بعض ماعلى ابناء جيلنا تجاه امتنا وتاريخنا المشرق.

وسيجد القاريء أني أفضت في حديثي عن الجانب التاريخي ، لأني اعتقد ان من يقرأ الادب الاندلسي لابد ان يلم بتلك الحقائق التاريخية ، ولان طلاب الدراسات الادبية لم يدرسوا في مقررات التاريخ تلك الفترة ·

واخيراً ارى من واجب العرفان بالجميل ان اشكر الأخ الأديب الاستاذ هلال ناجي الذي وجدت في مصادر مكتبته الاندلسية العامرة خير معين لي على اكمال بحثي . واشكر الاستاذ الدكتور محسن جمال الدين على ملاحظاته القيمة ·

وارجو من الله ـ سبحانه ـ ان يمدني بعونه وتوفيقه ، لاكمال مابدأت به من عصور الاندلس الادبية .

ومنه السداد وبه التوفيق .

الجامعة المستنصرية :

محرم الحرام ١٣٩٨ هـ — المؤلف

كانون الثاني ١٩٧٨ م

مَصَادِرُ الأَدَبِ الأَنْدَلُسِيِّ



أ المصادر الادبية والتأريخية :

١ ـ المطرب من أشعار اهل المغرب . تأليف ابن دحية الكلبي ذي النسبين ابي الخطاب عمر بن حسن المتوفى في سنة (٦٣٣ هـ) بتحقيق الاستاذ ابراهيم الابياري والدكتور حامد عبد المجيد والدكتور احمد احمد بدوي . راجعه الدكتور طه حسين . المطبعة الاميرية بالقاهرة ١٩٥٤ .

ألفه ابن دحية استجابة لرغبة سلطانية من سلطان مصر حينذاك الملك الكامل (١) كما ذكر المؤلف في مقدمة كتابه . واكثر معلوماته استقاها تحديثا او مشافهة ممن لقيه من الأثبات وأوردها مسندة . والتراجم التي وردت في هذا الكتاب اندلسية ومغربية فقط ، لم يلتزم فيها نهجاً للتبويب او التنسيق ، فجاء كما وصفه في مقدمته « إلا اني لم أقصد جمع ذلك على الترتيب ، ولا سلكت فيه مسلكي المعهود في التبويب والتهذيب ، بل استرسلت فيه مع الخاطر ، على ما يجود به ويسمح ، ويعن له ويسنح ، فالناظر فيه يسرح في بساتين ، ويمرح في ميادين ، ويخرج من فن الى فنون ، والحديث ذو شجون ... » .

(١) تولى الملك الكامل ، وهو ابن اخي صلاح الدين وزوج ابنته ، مصر سنة ٦١٦ هـ .

ويظهر ان المؤلف أراد بكتابه هذا ان يبين فضل المغاربة والاندلسيين وإنزالهم منزلهم الادبي اللائق ، ففي الكتاب كثير من العبارات الموحية بهذا المعنى . والتراجم التي وردت في الكتاب لا يجمعها زمن واحد ، ولا تنتظمها وحدة موضوع ، فيها الشواعر والشعراء . وقد بلغ عدد من ترجم لهم اكثر من خمسين .

وتراجمه ليست متساوية ولا متقاربة . فقد ترجم لبعضهم بما لا يزيد على ثلاثة أسطر ، كالمعتمد بن عباد ، بينما ترجم لبعضهم الآخر بما يزيد على عشرين صفحة ، كالمرواني الطليق والغزال .

٢ ـ الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة .

تأليف ابن سعيد ابي الحسن علي بن موسى الاندلسي (٦١٠هـ ـ ٦٨٥هـ) بتحقيق ابراهيم الابياري . طبعة دار المعارف بمصر .

وقد جعله المؤلف الثامن من كتب اشتمل عليها كتابه (جامع طبقات الشعراء) ورتبه كما قال في مقدمة كتابه على ثلاثة أقسام :

الاول : في تراجم الذين تحققت سنو وفاتهم .

الثاني : في تراجم الذين لم يوقف منهم على ذلك .

الثالث : فيمن استقر العلم على حياته عند انتهاء هذا التصنيف ، وذلك في سنة سبع وخمسين وستمائة .

وقد كان يقسم كل واحد من هذه الاقسام الى قسمين : قسم للمشارقة والاخر للمغاربة . ويقسم المغاربة الى قسمين ايضا . الاول

يجعله للمغرب الاقصى والثاني للاندلس . وقد ترجم في القسم الاول لأربعة من المغرب والاندلس ، ومنهجه في هذا القسم ان يذكر شعراء كل سنة ، ولكن الكتاب يقف عند سنة خمس وستمائة . لانه وصل الينا ناقصا ، وبذلك فاتنا علم وشعر واخبار كثيرة . لعل الايام القادمة تكشف لنا عما تبقى من هذا الكتاب القيم .

٣ ـ التشبيهات من أشعار اهل الاندلس :

تأليف الشيخ ابي عبد الله محمد بن الكتاني الطبيب توفي في النصف الاول من القرن الخامس الهجري . حققه الدكتور احسان عباس في سلسلة المكتبة الاندلسية تحت رقم ١٥ . نشر دار الثقافة في بيروت سنة ١٩٦٦ م .

ويقع الكتاب في ٣٧٥ صفحة . جعله المؤلف في ثلاثة اجزاء ضم الجزء الاول ثمانية عشر باباً والجزء الثاني ثلاثة وثلاثين باباً والجزء الخامس خمسة عشر باباً . تناول كل باب موضوعاً ، فأول الابواب نماذج من التشبيهات في السماء والنجوم والقمر ، والثاني في انبلاج الصبح ، والثالث في البرق والرعد وهكذا تستمر الابواب الاخرى .

وقد تجاوز عدد الشعراء الذين استشهد لهم مائة شاعر ، وقيمة الكتاب تكمن في انه أوفى مجموعة شعرية وصلت الينا تمثل عصر بني امية والعامريين حتى اواخر الفتنة البربرية في تاريخ الادب الاندلسي .

فهذه الفترة لم تصل الينا دواوين شعرائها ، وكل ما نملكه من الشعر الاندلسي الذي يمثلها قطع مبثوثة في كتب الادب والتاريخ والتراجم.

وقـد حاول المؤلف في هذا الكتاب ان يعرض المجالات التي اتصلت بها ملكة التصوير عند الاندلسيين ، سواء اخضعت لترتيب موضوعي أم لم تخضع . وقد أطلعنا على مبلغ ما وصل اليه الشعراء الاندلسيون من عناية بالصورة في دور مبكر من تاريخه (١) .

وقد أحسن المحقق حين ترجم لجميع الشعراء الذين وردت أشعارهم في هذا الكتاب ، في اخر النص المحقق .

٤ ـ جيش التوشيح : تصنيف لسان الدين ابن الخطيب محمد بن عبد الله بن سعيد بن عبد الله السلماني (٧١٣ ـ ٧٧٦ هـ) تحقيق هلال ناجي مطبعة المنار ـ تونس ١٩٦٧ .

هذا الكتاب من ابرز مصادر الموشحات الاندلسية واضخمها ، اذ ضم (١٦٥) موشحة ، لستة عشر وشاحاً من أعلام التوشيح . وتكمن اهمية هذا الكتاب ان مؤلفه من ابرز وشاحي الاندلس ، وانه ذواقة، له قيمة كبيرة فيما اختاره وانتقاه من الموشحات في هذا الكتاب ، وان هذا الكتاب انفرد بموشحات كثيرة لا وجود لها في المصادر الاخرى ، كما نسب بعض الموشحات المجهولة الى اصحابها ، وصحح

---

(١) انظر مقدمة الكتاب .

نسبة البعض الاخر ، وقـد اضاف هذا الكتاب كثيرا من الاخبـار الجديدة حين كان يترجم للوشاحين ، فوردت فيه معلومات ذات قيمة كبيرة بخصوص كثير من تراجمه . وقد كان يفرد ترجمة لكل وشاح يتبعها بمختارات من موشحاته .

وهذا الاسلوب في التأليف ينفرد به هذا الكتاب دون كتب الموشحات المعروفة الاخرى ، مثـل دار الطراز لابن سناء الملك وتوشيع التوشيح للصفدي وغيرهما ، اذ كان أولئك يخلطون موشحاتهم دون ترتيب او تصنيف ، ومعظم موشحات جيش التوشيح هي موشحات أندلسية ، نظمت في القرن السادس الهجري ، وقد جاء الكتاب في ٣٠٣ صفحة مصدراً بمقدمة نفيسة للمحقق .

٥ ـ يتيمة الدهر في محاسن اهل العصر . تصنيف ابي منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي المتوفى في سنة (٤٢٩هـ) . ويريد (بأهل العصر) شعراء القرن الرابع الهجري . طبـع هذا الكتاب عدة طبعات احسنها الطبعة الثانية في سنة ١٩٥٦ مطبعة السعادة بالقاهرة ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد . وهو في اربعة اجزاء قسمه مؤلفه الى اربعة اقسام ، يضم كل قسم منها ابواباً وفصولاً . واقسامه الأربعة هي :

القسم الاول : في محاسن اشعار آل حمدان وشعرائهم وغيرهم من اهل الشام وما يجـاورها ، ومصر والموصل والمغرب ولمـع من اخبارهم .

القسم الثاني : في محاسن اشعار اهل العراق .

القسم الثالث : في محاسن اشعار اهل الجبال وفارس وجرجان وطبرستان واصفهان .

القسم الرابع : في محاسن اشعار اهل خراسان وماوراء النهر .

ومن هذا التقسيم يكون المؤلف قد ذكر شعراء الاندلس في القسم الاول ، وتقع تراجم هؤلاء الاندلسيين مابين الصفحات ٤٦٠ و٤٦٣ من الجزء الاول ومابين الصفحات ٣ و١١٦ من الجزء الثاني . وعدد تراجم الشعراء الاندلسيين اكثر من مائة ترجمة ، وابرز هذه التراجم ترجمة ابن شهيد الاندلسي ، وابن عبد ربه الاندلسي ، وابن دراج القسطلي .

فقد توسع في ترجمة هؤلاء وأورد لهم اشعاراً كثيرة ، ويعد الثعالبي من ابرز من ترجم لشعراء القرن الرابع من الاندلسيين . وقد غلب اسلوب السجع على تراجم هذا الكتاب ، وخلا من تفصيلات حياة الشعراء .

٦ ـ دمية القصر وعصرة اهل العصر : تصنيف ابي الحسن علي ابن الحسن الباخرزي المتوفى في (سنة ٤٦٧ هـ) .

هذا الكتاب ذيل على كتاب يتيمة الدهر ، ولذلك فهو يترجم لشعراء عصره (القرن الخامس) وقد طبع في بغداد طبعة محققة كاملة بتحقيقنا في مطبعة المعارف سنة ١٩٧١ . وطبع بعد ذلك في القاهرة

ودمشق ولم يكمل فيهما بعد ·

جعل المؤلف تراجم كتابه في سبعة أقسام هي :

القسم الاول : في محاسن شعراء البدو والحجاز .

القسم الثاني : في طبقات شعراء الشام وديار بكر واذربيجان والجزيرة وسائر بلاد المغرب ·

القسم الثالث : في فضلاء العراق ·

القسم الرابع : في شعراء الري والجبال واصفهان وكرمان وفارس·

القسم الخامس : في فضلاء جرجان واستراباد ودهستان وقومس وخوارزم وما وراء النهر ·

القسم السادس : في شعراء خراسان وقهستان وبست وسجستان وغزنة ·

القسم السابع : في طبقة أئمة الادب الذين لم يجر لهم في الشعر رسم ·

ولم يجعل الباخرزي تراجم الاندلسيين منفصلة عما سواها كما فعل سلفه الثعالبي ، بل جعلها مبثوثة في ثنايا القسم الثاني · وهي قليلة جدا بالقياس الى التراجم الاندلسية التي أوردها الثعالبي في اليتيمة ، اذ كانت في حدود سبع تراجم فقط ، ولعل ابرز من ترجم لهم من الاندلسيين الشاعر ابن هانىء الاندلسي · ويغلب على اسلوبه السجع مع عدم تفصيل حياة المترجمين ·

٧ ـ خريدة القصر وجريدة العصر :

تصنيف عماد الدين ابي عبد الله محمد بن محمد بن حامد المعروف بالعماد الكاتب الاصفهاني (ت٥٩٧هـ) .

هذا الكتاب تتمة للسلسلة التي تترجم لشعراء القرون ، وهو ذيل لدمية القصر اذ يترجم للقرن السادس الهجري .

والخريدة في الاصل الذي وضعه العماد في اربعة اقسام هي :

الأول : لشعراء العراق .

الثاني : لشعراء العجم وفارس وخراسان .

والثالث : لشعراء الشام .

والرابع : لشعراء مصر وصقلية وبلاد الاندلس .

وقد نشر المجمع العلمي العراقي القسم الاول . فجاء في اربعة اجزاء . كان كل من الثالث والرابع في مجلدين وبذلك طبع في ستة مجلدات ، بتحقيق الاستاذ محمد بهجة الاثري . ونشر مجمع اللغة العربية بدمشق القسم الثالث فجاء في ثلاثة اجزاء بتحقيق الدكتور شكري فيصل .

اما القسم الرابع فقد طبع في قسمين ، نشر الاساتذة الدكاترة احمد امين وشوقي ضيف واحسان عباس جزءاً من هذا القسم وهو الخاص بشعراء مصر .

ونشر الاستاذان عمر الدسوقي وعلي عبد العظيم القسم الثاني ، وهو الخاص بشعراء صقلية والمغرب والاندلس ، وجاء هذا القسم في ثلاثة اجزاء .

وقد ضم هذا القسم عدداً كبيراً جداً من الشعراء وقد جعله مؤلفه في ابوآب جعل في كل باب تراجمه وهي :

باب في ذكر محاسن فضلاء جزيرة صقلية .

باب في ذكر محاسن جماعة من المغرب الأدنى والقيروان من اهل هذا العصر .

باب في ذكر من أوردهم عثمان بن بشرون المهدى ، وذكر أنهم من المقلين .

باب في ذكر عدة من شعراء المغرب .

باب في ذكر جماعة من اهل المغرب وردوا الى الشام والعراق.

باب في ذكرمحاسن جماعة من فضلاء العصر بالقيروان، أوردهم ابن الزبير في كتاب الجنان .

باب في ذكر جماعة وافدين الى مصر وغيرها من المغرب .

باب في ذكر محاسن شعراء قلائد العقيان .

باب في ذكر جماعة من المغرب استفدت شعرهم من الشيخ الصالح ابي علي الحسن بن صالح الاندلسي المالقي وغيره .

وهو يشبه المصدرين السابقين في اسلوبه الا انه اوسع منهما اخباراً واشعاراً .

٨ ـ مطمح الانفس ومسرح التأنس في ملح اهل الاندلس .

تصنيف الوزير الكاتب أبي نصر الفتح بن خاقان بن محمد بن عبد الله القيسي (ت ٥٢٩ هـ) طبع في مطبعة الجوائب بالقسطنطينية سنة (١٣٠٢ هـ) وهو كتاب صغير ألفه الفتح استجابة لرغبة الوزير أبي العاص حكم بن الوليد في تراجم بعض شعراء وأدباء الاندلس ، وقد جعله في ثلاثة أقسام قال في المقدمة :

القسم الاول : يشتمل على سرد غرر الوزراء ، وتناسق درر الكتاب والبلغاء وضم (١٨) ترجمة .

القسم الثاني : يشتمل على محاسن اعلام العلماء . واعيان القضاة والفهماء . ويضم (١٩) ترجمة .

القسم الثالث : يشتمل على سرد محاسن الادباء ، النوابغ النجباء .

وطريقة المؤلف في هذه التراجم ان يصدّر الترجمة بعبارات مسجوعة . للتعريف بالمترجم ، ثم يتبعها بنصوص من شعره او نثره وقــد يطيل في تلك النصوص احيانا . ولكن الغالب على التراجم الاختصار وعدم الافاضة بالشواهد من النصوص ويضم (١٤) ترجمة .

وعبرّ المؤلف عن غايته من التأليف بقوله بعد ذكر العنوان : وأبقيتها لذوي الاداب ذكراً ، ولاهل الاحسان فخراً . يساجلون به أهل العراق ، ويحاسنون بمحاسنها الشمس عند الاشراق .

٩ ـ الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة :

تأليف ابي الحسن علي بن بسام الشنتريني . توفي في سنة (٥٤٢هـ)

وهذا الكتاب في اربعة اقسام على حسب الاقاليم الجغرافية للاندلس . يضم تراث القرن الخامس الهجري الذي يجمع بين عصري الخلافة الاموية وملوك الطوائف .

تكلم المؤلف في هذا الكتاب عن تاريخ الاندلس وملوكه وأمرائه وشعرائه وغيرهم من رجاله . وقد سلك فيه مؤلفه منهج الثعالبي في يتيمته التي صور فيها أدب معاصريه من الشعراء والكتاب . واشار ابن بسام الى هذا المسلك قال : وانما ذكرت هؤلاء إئتساءاً بأبي منصور ، في تأليفه المشهور ، المترجم بـ (يتيمة الدهر في محاسن اهل العصر) .

فالقسم الاول : تناول فيه قرطبة وما جاورها من بلاد وسط الاندلس وقد نشر في القاهرة بمجلدين تحقيق عبد الحميد العبادي وعبد الوهاب عزام بين سنة ١٩٣٩ و ١٩٤٢ . ويضم هذا القسم اربعاً وثلاثين ترجمة .

والقسم الثاني : تناول اشبيلية ومنطقة غرب الاندلس ولا يزال

هذا القسم مخطوطاً ، ومنه نسخة في المتحف العراقي تحت رقم (١٥٨٧) .

ونشر الدكتور لطفي عبد البديـــع بعضاً من هذا القسم في سنة ١٩٧٥ ويضم هذا القسم ستاً واربعين ترجمة .

والقسم الثالث : تناول بلنسية وشرق الاندلس . ولا يزال هذا القسم مخطوطاً ايضا ، ومنه نسخة في مدريد وفي المغرب ومنها مصورة في جامعة الدول العربية تحت رقم (١٦٣٦) تاريخ . ويضم هذا القسم ثلاثاً وثلاثين ترجمة .

والقسم الرابع : تناول فيه الكلام عن الغرباء الذين وفدوا على الاندلس من المشرق والمغرب . وقد نشر المجلد الاول منه في القاهرة بتحقيق عبد الوهاب عزام سنة ١٩٤٥ . ويضم هذا القسم اثنتين وثلاثين ترجمة .

١٠ ـ المغرب في حلى المغرب :

هذا الكتاب صنفه بالموارثة في مائة وخمس عشرة سنة ستة من اهل الاندلس هم : ابو محمد الحجاري . عبد الملك بن سعيد . احمد بن الملك . محمد بن عبد الملك . موسى بن محمد . علي ابن موسى .

لقد تضافر أفراد هذه الاسرة على كتابة تاريخ شامل للاندلس في مدة زادت على مائة سنة . وكان ابو الحسن هو أخر افراد هذه

الاسرة . فأكمل الكتاب وأخرجه في صورته التي وصل الينا فيها .
نشره محققاً في جزئين الدكتور شوقي ضيف ، وطبع في دار المعارف بمصر .

وما نشر لا يشمل الكتاب جميعه ، فقد ضاع معظمه ولم يبق منه الا اجزاء بسيطة هي التي نشرت بهذا الاسم في جزئين ، وقد تضمن المنشور تراجم لبعض الشخصيات البارزة في الاندلس من العصر الاموي حتى نهاية عصر الموحدين . وهو ما سماه مؤلفوه (وشي الطرس في حلى جزيرة الاندلس) ومنهج تأليف هذا الكتاب يتجلى من خلال مقدمة ابن سعيد لكتابه المشرق في حلى المشرق اذ يقول : كل من التصنيفين مرتب على البلاد . متى ذكر بلد ذكرت كورد ، واتكلم عليه وعلى كل كورة منه .

وابتدىء بكرسي مملكتها وقاعدة ولايتها بحسب مبلغ علمي من إعلام بمكانها من الاقاليم ، ومن بناها وما يحف بهـــا من نهر او منزه او خاصة معدنية ونباتية ، ومن تداول عليها من ابنـــاء الملوك اولي التواريخ التي لا يجب إغفالها . ثم نأخذ في الطبقات واحدة بعد اخرى ، وهي خمس : طبقة الامراء وطبقة الرؤساء وطبقـــة العلماء وطبقة الشعراء وطبقة اللفيف . والاربع الاولى مخصوصة بمن له نظم من اولي الخطط المذكورة ، ولها تفسير تقف عليه في مواضعه . وطبقة اللفيف مخصوصة بمن ليس له نظم من اي صنف كان ، ممن لا يجب

اغفاله ، وفيها من النوادر والمضحكات مايكون مثل الأحماض (١)

وقـد انتخب ابن سعيد طرفة نفيسة من هذا الكتاب وسماه : رايات المبرزين وغايات المميزين . نشره آميليو غرسيه غومس في مدريد سنة ١٩٤٢ . وهو يضم مئات من الأبيات لكثير من شعراء المغرب ومن عصور مختلفة . كما نشر الدكتور عبد العزيز الاهواني قطعة اخرى من هذا الكتاب هي (المقتطف من أزاهر الطرف) الخميلة الثانية عشرة مشتملة على ملح الموشحات والازجال . نشرت في كتاب اعمال مهرجان ابن خلدون المنعقـد في القاهرة من ٢ الى ٦ يناير ١٩٦٢ . القاهرة .

١١ ـ أزهار الرياض في اخبار عياض :

تأليف شهاب الدين احمد بن محمد المقري التلمساني المتوفى في سنة (١٠٤١هـ) طبع في ثلاثة اجزاء بتحقيق مصطفى السقا والابياري وشلبي ، في مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة سنة (١٩٣٩) ألفه في ترجمة القاضي عياض بن موسى اليحصبي المتوفى سنة (٥٤٤ هـ) بمراكش . وهو يشبه نفح الطيب الذي خصصه مؤلفه في ترجمة ابن الخطيب ، الا انه جعل من كل مترجم منهما مركزاً لدائرة معارف في الادب والتاريخ ، فعرض لاخبار كل من أحاط بهما ، او كانت

---

(١) عن مقدمة المغرب ص ٩ .

له أية صلة ، من بعيد او قريب بهما ، فجاءا زاخرين بالنصوص الأدبية والتاريخية التي قد لا نجدها في مكان آخر .

١٢ ـ نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب . وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب : تصنيف احمد بن محمد المقري التلمساني . المتوفى في عام (١٠٤١ هـ) . والمقري مؤرخ جزائري من مدينة (مقره) بالتشديد من اعمال قسطنطينة ، وكان معجباً بشخصية الوزير الغرناطي لسان الدين ابن الخطيب ، فكتب كتاباً في تاريخ وحياة وانتاج ابن الخطيب ، وقد مهد لهذه الترجمة بتأريخ موسع عام لبلاد الاندلس ، ورتبه في قسمين بعد المقدمة .

القسم الاول : فيما يتعلق بالاندلس من الاخبار . وجعله في ثمانية ابواب هي :

الباب الاول : في وصف بلاد الاندلس .

الباب الثاني : فتح بلاد الاندلس .

الباب الثالث : سلطان المسلمين في بلاد الاندلس .

الباب الرابع : في ذكر قرطبة ومشاهدها .

الباب الخامس : في ذكر من رحل من الاندلسين الى بلادالمشرق.

الباب السادس : في ذكر بعض الوافدين على الاندلس من اهل المشرق .

الباب السابع : في فضائل اهل الاندلس .

الباب الثامن : خروج الأندلس من يد المسلمين .

القسم الثاني : في التعريف بلسان الدين ابن الخطيب ، وجعله في ثمانية ابواب ايضا ، هي :

الباب الأول : في أولية لسان الدين وذكر اسلافه .

الباب الثاني : في نشأة لسان الدين .

الباب الثالث : في ذكر مشايخ لسان الدين .

الباب الرابع : المكاتبات من لسان الدين واليه .

الباب الخامس : في ايراد جملة من نثره ونظمه .

الباب السادس : في مصنفات لسان الدين .

الباب السابع : فى ذكر بعض تلامذته الآخذين عنه .

الباب الثامن : في ذكر اولاده .

والكتاب من ابرز مصادر الاندلس والمغرب ، يمكن ان نعرف قيمته حين نقرأ العبارات المتواضعة لمؤلف الكتاب اذ قال : (فدونك ايها الناظر هذا الكتاب ، المتجافي عن مذهب النقد والعتاب، كلمات سوانح اختلست مع اشتغال الجوانح ، وتضاد الامور الموانع والموانح ، والفاظاً اقتنصت بين اشغال الجوارح ، وطرفاً اسمت الطرف في مرعاها وكانت هملاً غير سوارح ، وتحفاً يحصل بها لناظره الامتاع ، ولايعدها من سقط المتاع ويلهج بها المرتاح ، ويستأنس المستوحش المرتاع)

ويكثر في ثنايا الكتاب الاستطراد وبعض التكرار .

وطبع هذا الكتاب اكثر من مرة آخرها تحقيق الدكتور احسان عباس حيث جعله في سبعة اجزاء وثامنهـــا فهارس تفصيلية بيروت سنة ١٩٦٨ .

١٣ ـ الاحاطة في تاريخ غرناطة :

مؤلفه لسان الدين ابن الخطيب المتوفى في سنة (٧٧٦هـ)

وهو اشهر واضخم كتب ابن الخطيب . وهو ليس تأريخا لمدينة غرناطة بالمعنى المحدود ، ولكنه موسوعة شاملة لكل ما يتعلق بهذه المدينة الاندلسية المشهورة ، فهو يتناول وصفها وجغرافيتها وخططها ومواقعها وما يحيط بها ، وتاريخها وأخبار من فيهـــا من العلماء ، والكتاب والشعراء والادباء والمتغلبين منذ عصر الفتح حتى قيام الدولة النصرية ، ثم يؤرخ لهذه الدولة وسلاطينها حتى عصره . ويترجم لمن نزل بها او وفد عليها من الاعلام والاكابر ، ويفيض في الحديث عن اخبار معاصريه من اولئك الاعلام ، سواء في الاندلس او المغرب ، ويورد الكثير من شعرهم ونثرهم .

وقد ذكر ابن الخطيب دافعه الاساس لتأليف الكتاب ، وهو حبه لوطنه غرناطة ، ورغبة في كتابة تاريخ لبلده ، كما فعل ابن عساكر في تاريخ دمشق ، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ، وابن عبدالحكم في تاريخ مصر .

واجزاء هذا الكتـــاب القيم مفرقة في كثير من مكتبات الشرق

والغرب مخطوطات او صوراً .

وقد نشر محمد عبد الله عنان الجزء الاول منه بمصر سنة ١٩٥٦ . وطبع قديماً في مصر جزآن منه بعناية طبع الكتب العربية القاهرة سنة ١٣١٩هـ والكتاب يحتاج الى جهد كبير لتحقيقه .

١٤ - المقتبس من أنباء اهل الاندلس :

تصنيف ابي مروان حيان بن خلف بن حسين بن حيان القرطبي (٣٧٧ - ٤٦٩ هـ)

وهو مكون من عشره اجزاء . يتحدث فيه مؤلفه عن تاريخ الاندلس منذ الفتح الاسلامى حتى زمن المؤلف (عصر الطوائف) .

ولم يصل الينا هذا الكتاب الموسوعي كاملا ، فالذي بقي منه :

١ - الجزء الثالث : ويشتمل على عهد الامير عبد الله بن محمد من سنة ٢٧٥ هـ الى سنة ٣٠٠ هـ . وقد نشره المستشرق الاسباني الاب ملتشور انطونيا في باريس سنة ١٩٣٧ .

٢ - قطعة تمثل احداث خمس سنوات غير كاملة من خلافة حكم المستنصر بالله (٣٦٠ - ٣٦٤ هـ) نشرها الدكتور عبد الرحمن الحجي في بيروت سنة ١٩٦٥ .

٣ - قطعة تمثل احداث سبع سنوات ما بين ٢٣٢ و ٢٣٨ هـ نشرها الدكتور محمود علي مكي بالقاهرة سنة ١٩٧١ .

ولا تزال قطع اخرى من هذا الكتاب غير منشورة ، تحتفظ بها بعض المكتبات .

والكتاب يؤرخ لفترات مهمة من حياة الاندلس واخبارها ، وفيه نماذج شعرية ونثرية كثيرة ، تفيد الباحثين في ميدان الادب الاندلسي وكثير منها انفرد بها هذا الكتاب .

١٥ البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب :

تصنيف ابي العباس احمد بن عذارى المراكشي (كان حياً سنة ٧١٢ هـ) .

الجزء الاول والثاني يتناولان المغرب والاندلس حتى سقوط الخلافة الاموية . نشرهما دوزي سنة (١٨٥٠) واعيد طبعهما في بيروت طبعة تجارية غير محققة . ثم جاء المستشرق ليفي بروفنسال وكولان فأعادا نشر الجزء الاول والثاني سنة ١٩٣٠ مع اضافة جزء ثالث انفرد بروفنسال بتحقيقه وشمل اخبار جزيرة الاندلس في عصر ملوك الطوائف .

ونشر المستشرق الاسباني ميراندا وابراهيم الكتاني ومحمد بن تاويت جزءاً رابعا عن تاريخ الموحدين وبداية عصر بني مرين ، واخيراً نشر ميراندا في مجلة (هسبرس) سنة ١٩٦١ قطعة من تاريخ المرابطين . والكتاب ذو قيمة كبيرة من الناحية التاريخية ، لانه نقل فيه من كتب وتواريخ قديمة لم تصل الينا ، وقد اورد اسماءها في مقدمة كتابه . وقد ذكر انه جعله في ثلاثة اجزاء ، كل جزء منها كتاب قائم بنفسه ، ليكون لمطالعه اوضح بيان ، واسهل مرام لدى العيان .

اما الجزء الاول : فاختصر فيه اخبار افريقية ، من حين الفتح في خلافة امير المؤمنين عثمان بن عفان (رض) ... الى حين ابتداء الدولة اللمتونية المرابطة .

والجزء الثاني : اختصر فيه جزيرة الاندلس واملاكها الغابرين الدرس من حين الفتح الاول ... الى حين دخول لمتونة الى الاندلس سنة ٤٧٨ هـ .

والجزء الثالث : اختصر فيه اخبـــار الدولة المرابطية الى انقضاء الدولة الموحدية واستيلاء الامارة اليوسفية المرينية ، وذلك على مرور السنين الى عام ٦٧٧ هـ .

وعملت دار الثقافة ببيروت على اعادة نشر هذه الأجزاء الثلاثة سنة (١٩٦٧) مضيفة اليها جزءاً رابعاً ، هو (قطعة من تاريخ المرابطين) التي نشرها (ميراندا) وكتب تعليقاتها في الطبعة الجديدة الدكتور احسان عباس .

١٦ ـ قلائد العقيان في محاسن الاعيان :

تأليف ابي نصر الفتح بن محمد بن عبد الله القيسي الاشبيلي المعروف بالفتح بن خاقان المتوفى في سنة ٥٢٩ هـ .

وقد عني الناشرون والمحققون بهذا الكتاب فطبع اربع مرات : الاولى بباريس سنة ١٨٨٠ والثانية ببولاق مصر في سنة ١٢٨٣ هـ ثم

القاهرة سنة ١٣٢٠ هـ واخيرا في تونس بتحقيق محمد العنابي .

والكتاب يترجم لأعيان الأندلس ممن عرف بالشعر او النثر، لكنه لا يتوسع في التراجم ، فلا يذكر تاريخ الولادة والوفاة والنشأة والآثار إلا في القليل النادر ؛ وكل غرضه أن يورد ما للمترجم من شعر أو نثر وقد يذكر ما يتصل بتلك النصوص من حياة المترجم .

وقد شمل هذا الكتاب ترجمة لأربع وستين شخصية اندلسية وزعها المؤلف بين اربعة اقسام استغرقت مابين ص٤ و٣٥٣ .

القسم الاول : في محاسن الرؤساء وابنائهم ودرج نموذجات من مستعذب انبائهم .

القسم الثاني : في غرر حلية الوزراء ، وفقر الكتاب والبلغاء .

القسم الثالث : في لمع اعيان القضاء ولمح اعلام العلماء السراة .

القسم الرابع : في بدائع نبهاء الادباء وروائع فحول الشعراء .

ويزخر هذا الكتاب بالنصوص الشعرية والنثرية الاندلسية .

وتروي بعض المصادر التاريخية ان الفتح لما عزم على تأليف كتابه قلائد العقيان ارسل الى ملوك الاندلس ووزرائها ورجالات الأدب يعرفهم بعزمه ويسألهم إيفاد شيء من شعرهم ونثرهم ليذكره في كتابه ، وكلهم يعرف شره وإقذاعه ويخافونه لذلك ، فانفذوا اليه ذلك وشفعوه بمبالغ من المال ، فمن أرضته صلته أحسن في وصفه

ومن تغافل عنه هجاه وثلبه ، وقد جرى له ذلك مع ابن باجه الفيلسوف المعروف بابن سينا المغرب ، فقد تهاون في رغبة الفتح ولم يعرها اهتمامه فذكره الفتح في آخر القلائد واصفاً اياه بأسوأ الاوصاف وأقساها ، من مثل قوله : هو رمد جفن الدين وكمه نفوس المهتدين اشتهر سخفا وجنونا ، وهجر مفروضا ومسنونا ، فما يتشرع ، ولا يأخذ في غير الاضاليل ولا يشرع (١) .

١٧ ـ الحلة السيراء :

تأليف ابي عبد الله محمد بن عبـد الله بن ابـي بكر القضاعي المعروف بابن الابار (٥٩٥ ـ ٦٥٨هـ) حققه وعلق حواشيه الدكتور حسين مؤنس .

والمراد بالحلة السيراء . الحلة ذات خطوط من حرير وقد تكون هذه الخطوط صفراء فتشبه الذهب ، كناية عن مادة الكتاب وما فيه من الشعر . فهو زاخر بشعر الامراء والوزراء والكتاب واصحاب الجاه والعلماء .

وتراجمه في غاية الفائدة لعدد كبير من الشخصيات التاريخية في المغرب والاندلس ، ابتداء من القرن الاول الهجري الى منتصف

(١) قلائد العقيان ٣٤٦ .

القرن السابع . مع مادة جيدة عن اعلام مشرقية من اهل القرن الاول ، ممن لهم نصيب في فتح المغرب والاندلس .

وهو بعد المقدمة يبدأ بترجمة رجال المائة الاولى من الهجرة ، وهم قليلون ، فقد ترجم لستة فقط وفي المائة الثانية ترجم من الرقم(٧) الى (٤٠) وفي المائة الثالثة ترجم من الرقم (٤١) الى (٧٥) وفي المائة الرابعة ترجم من الرقم (٧٦) الى (١١١) وفي المائة الخامسة ترجم من الرقم (١١٢) الى (١٣٩) وفي المائة السادسة ترجم من الرقم (١٤٠) الى (١٥٨) وفي المائة السابعة ترجم من الرقم (١٥٩) الى (١٧٠) . وقد جعله المحقق في اجزاء فاحتوى الجزء الاول المطبوع في القاهرة (الشركة العربية للطباعة والنشر) سنة ١٩٦٣ على مقدمة نفيسة عن ابن الابار وعلى تراجم اهل المئات الاولى والثانية والثالثة والرابعة فجاء في (٣٠٨) صفحة .

وضم الجزء الثاني تراجم اهل المئات الخامسة والسادسة والسابعة وباب « في الذين ما عثرت على اشعارهم فاقتصرت على نكت من اخبارهم » للمئات الاولى والثانية والثالثة والرابعة وجاء في (٣٩٣) صفحة غير الفهارس ، وقد طبع في سنة ١٩٦٣ .

ب ـ كتب تاريخ الادب الاندلسي الحديثة (المراجع)

كتب كثير من المعاصرين عن تاريخ الادب الاندلسي ، وأبرز هذه الكتابات :

١ ـ الادب الاندلسي من الفتح الى سقوط الخلافة • د احمد هيكل مصر ١٩٦٨ .

٢ ـ تاريخ الادب الاندلسي • د . احسان عباس . ط الثقافة بيروت ١٩٦٢ .

٣ ـ تاريخ الادب العربي في الاندلس ابراهيم ابو الخشب • ط دار الفكر العربي مصر .

٤ ـ في الادب الاندلسي . د • جودت الركابي ط دار المعارف مصر ١٩٧٥ .

٥ ـ سلسلة محاضرات عامة في ادب الاندلس وتاريخها • ليفي بروفنسال ترجمة الدكتور محمد عبد الهادي شعيرة . القاهرة ١٩٥١ .

٦ ـ الشعر الاندلسي . جارثيا جومث ترجمة د ٠ حسين مؤنس القاهرة ١٩٥٢ ٠

٧ ـ ادباء العرب في الاندلس وعصر الانبعاث ٠ بطرس البستاني بيروت ١٩٦٨ .

٨ ـ الشعر الاندلسي ٠ بحث في تطوره وخصائصه غرسيه غومس ترجمة د٠ حسين مؤنس . القاهرة ١٩٥٦ ٠

٩ ـ الادب الاندلسي ٠ موضوعاته وفنونه د٠ مصطفى الشكعة٠ بيروت ١٩٧٥ ٠

١٠ ـ الادب العربي في الاندلس ٠ د ٠ عبد العزيز عتيق ٠ دار النهضة بيروت ١٩٧٥ ٠

١١ ـ قصة الادب في الاندلس ٠ د ٠ محمد عبد المنعم خفاجة ٠ بيروت ١٩٦٢ ٠

١٢ ـ ملامح الشعر الاندلسي ٠ د عمـــر الدقاق ٠ دار الشرق بيروت ١٩٧٥ ٠

١٣ ـ فصول في الادب الاندلسي ٠ د ٠ حكمت الاوسي ٠ بغداد ١٩٧١ ٠

١٤ ـ التجديد في الادب الاندلسي ـ الدكتور باقر سماكة مطبعة الايمان بغداد ١٩٧١ ٠

١٥ ـ نظرات في تاريخ الادب الاندلسي ـ كامل كيلاني • القاهرة ١٩٢٤ •

١٦ ـ بلاغة العرب في الاندلس ـ الدكتور احمد ضيف • القاهرة ١٩٢٤و١٩٣٨ •

ج ـ دواوين شعراء الاندلس المطبوعة :

١ ـ ديوان الالبيري المتوفى في حـــدود (٤٥٩ هـ) تحقيق اميليو غرسيه نشرة مدرسة الدراسات العربية في مدريـــد وغرناطة ١٩٤٤ •

٢ ـ ديوان الاعمى التطيلي (ت ٥١٥هـ) تحقيق د • احسان عباس • دار الثقافة بيروت ١٩٦٣ •

٣ ـ ديوان حازم القرطاجي (ت٦٨٤هـ) تحقيق عثمان الكعاك • دار الثقافة بيروت ١٩٦٤ •

٤ ـ شعر ابي الحسن الحصري القيرواني (ت٤٨٨هـ) تأليف محمد المرزوقي والجيلاني تونس مكتبة المنار ١٩٦٣ •

٥ ـ ديوان ابن حمديس (ت٥٢٧ هـ) طبع اربع طبعات منها

تحقيق بالرم • وطبعة روما • وتحقيق د • احسان عباس • بيروت ١٩٦٠ .

٦ ـ ديوان ابن خلوف الاندلسي (ق ٥) طبع مرتين بيروت ١٨٧٣ . ودمشق ١٨٧٤ •

٧ ـ ديوان ابن خفاجة الاندلسي (ت٥٣٣هـ) طبع ثلاث طبعات في القاهرة ١٢٨٦ والاسكندرية بمصر ١٩٥٠ وبيروت ١٩٦١ •

٨ ـ ديوان ابن دراج القسطلي (ت٤٢١هـ) تحقيق الدكتور محمود علي مكي دمشق ١٩٦١ •

٩ ـ ديوان الرصافي البلنسي (ت ٥٧٢ هـ) جمعه وقدم له د . احسان عباس بيروت ١٩٦٠ .

١٠ ـ ديوان ابن الزقاق البلنسي (ت ٥٢٨ هـ) تحقيق محمود ديراني بيروت ١٩٦٤ •

١١ ـ ديوان ابن زيدون (ت ٤٦٣ هـ) طبع عدة طبعات منها تحقيق علي عبدالعظيم القاهرة . وتحقيق كرم البستاني بيروت ١٩٥١و١٩٦٠و١٩٦٤ وتحقيق كامل كيلاني القاهرة .

١٢ ـ ديوان ابن سهل الاسرائيلي (ت ٦٤٩ هـ) طبع عدة مرات منها • تحقيق البستاني • بيروت • وفي مطبعة التقدم بمصر. وجمع العطار بمصر وفي بيروت ١٨٨٥ وجمع القرني بمصر ١٩٢٦ •وتحقيق الدكتور احسان عباس في بيروت ١٩٦٧ .

١٣ ـ شعر الشريف الطليق (ت ٤٠٠ هـ) جمع اميليو غرسيه

ترجمة الطاهر احمد مكي . القاهرة .

١٤ ـ ديوان ابن شهيد الاندلسي (ت ٤٢٦ هـ) نشر شارل بلا بيروت ١٩٦٣ . وتحقيق يعقوب زكى . القاهرة ١٩٦٥ .

١٥ ـ الصيب والجهام والماضي والكهام ـ لسان الدين ابن الخطيب (ت ٧٧٦ هـ) تحقيق د . محمد الشريف الجزائر ١٩٧٣ .

١٦ ـ ديوان ابن عربي (ت ٦٣٨ هـ) طبع مرتين بتحقيق محمد اسماعيل شهاب الدين بمصر ١٢٧١هـ ، وطبعة حجرية بالهند .

١٧ ـ شعر ابن عمار الاندلسي (ت ٤٧٧ هـ) تحقيق د . صلاح خالص بغداد ١٩٥٧ .

١٨ ـ مجموع شعر الغزال (ت ٢٥٠ هـ) تحقيق وشرح د . حكمة علي الاوسي بغداد ١٩٧١ .

١٩ ـ ديوان ابن قزمان (ت٥٥٥ هـ) برلين ١٨٩٦ ونشره الدكتور نيكل . مدريد ١٩٣٣ .

٢٠ ـ ديوان ابن اللبانة الداني (ت ٤٨٨ هـ) جمع وتحقيق د . محمد مجيد السعيد . مؤسسة دار الكتب جامعة الموصل

٢١ ـ ديوان المعتمد بن عباد (ت ٤٨٨ هـ) تحقيق د . احمد احمد بدوي وحامد عبدالمجيد . القاهرة ١٩٦٢ . وتحقيق د . رضا الحبيب السوسي . الدار التونسية ١٩٧٥ .

٢٢ ـ ديوان ابن خاتمة الأنصاري المريني (ت ٧٧٠) تحقيق محمد رضوان الداية . دمشق ١٩٧٢ .

٢٣ ـ ديوان ملك غرناطة يوسف الثالث (ت ٨١٩ هـ) تحقيق عبد الله كنون . تطوان . المغرب ١٩٥٨ .

٢٤ ـ ديوان ابن هانىء الاندلسي (٣٦٢ هـ) طبع مرات عديدة منها بيروت ١٩٦٢ و ١٩٦٤ . وبولاق ١٢٧٤ وشرح زاهد علي بالقاهرة ١٣٥٢ .



مصادر الأدب الأندلسي

مقدمة تاريخية وجغرافية



١ - جغرافية الاندلس

تقع شبه جزيرة ايبريا . «الاندلس» في جنوب غربي اوروبا يحدها من الشرق البحر المتوسط ومن الغرب المحيط الاطلسي، ويفصلها عن جنوب فرنسا من جهتها الشمالية سلسلة جبال « البرت والبرانس » وهي سلسلة من الجبال تتخللها ممرات ومضايق تصل بين البلدين مثل ممر « هندايا » في الغرب ، وممر «قطالونيا» في الشرق وممر «شنرورا» في الوسط .

ويفصلها عن افريقيا من الجهة الجنوبية « مضيق جبل طارق » الذي يبلغ عرضه من الشرق الى الغرب ١٣ ـ ٣٧ كم ، وتقع على هذا المضيق بعض مدن المغرب الاقصى .

ويتكون المضيق من مزيج من مياه البحر المتوسط والاطلسي وكان العرب يطلقون عليه اسم بحر الزقاق، وقد عرف باسم مضيق جبل طارق بعد الفتح العربي الى يومنا هذا .

ويتألف سطح شبه جزيرة الاندلس من عدة هضبات تتخللهـا اكثر من سلسلة من الجبال، وقد تقع بينها بعض الاقاليم السهلية والوديان .

وتخترق بلاد الاندلس انهار عديدة اهمها نهر « الوادي الكبير »

الذي يمر بالمدينتين الاندلسيتين العظيمتين « قرطبة واشبيلية » ويليه في شمال الاندلس نهر « وادي يانه » وفي الشمال « نهر التـــاجه » وتقع عليه مدينة « طليطله » ونهر « دوبره » وهذه الانهار جميعا تصب في المحيط الاطلسي . وهناك أنهار اخرى حيث تصب في البحر المتوسط مثل نهر « ابره » الذي يمر بمدينة سرقسطة ونهر « الوادي الابيض » الذي يمر بمدينة « بلنسية » ونهر « شقر » وتقع عليـــه جزيرة شقر ذات الطبيعة الفاتنة لكثير من شعراء الاندلس . واكثر بقاع الاندلس خصباً وأحسنها مناخا الاقاليم التي فضل المسلمون الحياة فيها ، وهي السهول الجنوبية والشرقية والغربية . اما الاقاليم التي تقع ضمن الهضبة الكبرى الممتدة نحو الشمال فهي وعرة وذات مناخ قاس شحيحة المياه ، ومثل هذا في اواسط الاندلس فتحيط بمدينة مجريط (مدريد) هضبات قاحلة ذات مناخ قاس ؛ فهي مثلجة شتاءً وحارة جافة صيفاً . ومن ابرز مدن الاندلس قرطبة واشبيلية وغرناطة ومالقة وطليطلة وبلنسية والمرية . وقد فتن شعراء الاندلس بمدنهم ، وتغنوا بجمالهـــا ومحاسنهـــا فقـــال ابن الزقاق البلنسي في وصف بلنسية (١) :

بلنسية اذا فكرت فيها — وفي آياتها ـ اسنى البلاد
وأعظم شاهدي منها عليها — وأن جمالها للعين بادي

---

(١) ديوان البلنسي ص١٨ .

كساها ربها ديباج حسن   لها علمان من بحر ووادي

ويصف شاعر آخر غرناطة فيقول (١) :

غرناطة ماها نظير   مامصر؟ ماالشام ؟ ماالعراق ؟

ما هي إلا العروس تجلى   وتلك من جملة الصداق

وفي قرطبة يقول احــد علماء الشعراء الاندلسيين ابو محمد بن عطية المحاربي (٢) :

بأربع فاقت الامصار قرطبة   منهن قنطرة الوادي وجامعها

هاتان ثنتان، والزهراء ثالثة،   والعلم أعظم شيء، وهو رابعها

وفي طليطلة يقول عيسى بن وكيل (٣) :

زادت طليطلة على ماحدثوا   بلد عليه نضرة ونعيم

الله زينــه فوشح خصره   نهرالمجرة والغصون نجوم

وفي قرطاجنة يقول ابن اللبانة (٤) :

---

(١) نفح الطيب ١٤٢/١

(٢) ن٠م ١٤٦/١

(٣) المغرب ٩/٢

(٤) نفح الطيب ١٥٨/١

وانظر في ٥٤٤/١، قصيدة طويلة في قرطبة لابي القاسم عامر بن هشام القرطبي ت٦٢٣ﻫ يسميها الاندلسيون (كنزالأدب) .

بلد أعارته الحمامة طوقها وكساه حلة ريشه الطاووس
فكأنما الانهار فيه مدامة وكأن ساحات الديار كؤوس

وكما اختلفت الاجواء اختلفت حاصلات الاندلس ، فتجمعت في أرجائها معظـم حاصلات العالم ففيها القمح والشعير والارز والبقول والفواكه والكروم والموالح والزيتون ، والاندلس غنية بمناجمها المعدنية ومراعيها .

وقد أكثر العلماء في تفضيلها ، وتوسعوا في تعداد محاسنها وبيان مزاياها ففي نفح الطيب :

طول الاندلس ثلاثون يوماً ، وعرضها تسعة ايام ، ويشقها اربعون نهرا كبارا ، وبها من العيون والحمامات والمعادن مالايحصى وبهـا ثمانون مدينة من القواعد الكبار ، وأزيد من ثلاثمائة من المتوسطة . وفيها من الحصون والقرى والبروج ما لا يحصى كثرة . حتى قيل: ان عدد القرى التي على نهر اشبيلية اثنا عشر ألف قرية ، وليس في معمور الارض صقع يجد المسافر فيه ثلاث مدن وأربعاً من يومه الا بالاندلس .

ومن بركتها ان المسافر لايسافر فيها فرسخين (ثلاثة اميال وقيل ستة) دون ماء أصلا . وحيثما سار من الاقطار يجد الحوانيت في الفلوات والصحارى والاودية ورؤوس الجبال لبيع الخبزوالفواكه والجبن

والحم والحوت ، وغير ذلك من ضروب الاطعمة (١) .

ووصفها لسان الدين ابن الخطيب بقوله :

خص الله - تعالى - بلاد الاندلس من الريع وغدق السقيا،ولذاذة الأقوات وفراهة الحيوان (٢) ، ودرور الفواكه وكثرة المياه ، وتبحر العمران . وجودة اللباس ، وشرف الآنية وكثرة السلاح وصحة الهواء وابيضاض ألوان الانسان ، ونبل الاذهان ، وفنون الصنائع ، وشهامة الطباع ، ونفوذ الادراك ، وإحكام التمدن والاعتمار ، بما حرمه الكثير من الاقطار مما سواها (٣) .

وقال الحميري : والاندلس شامية في طيبها وهوائها ، يمانية في اعتدالها واستوائها ، هندية في عطرها وذكائها ، أهوازية في عظم جناتها ، صينية في جواهر معادنها ، عدنية في منافع سواحلها (٤) .

---

(١) نفح الطيب ٢٢٦/١

(٢) فراهة الحيوان : نشاطه

(٣) نفح الطيب ١٢٦/١

(٤) الروض المعطار ٣٣

اصل كلمة الاندلس

كان اسم شبه الجزيرة التي تشمل اليوم (اسبانيا والبرتغال) قبل الفتح العربي (ايبريا) نسبة الى الايبريين .

وعندما حكمها الفينقيون أطلقوا عليها اسم (اسبانيا) ويعني باللغة الرومانية « شاطىء الارانب » وقيل في تعليل هذه التسمية ان الفينيقيين حين نزلوا شواطىء ايبريا صادفوا عدداً كبيراً من الأرانب .

وحين سكن الوندال بعد الرومان شبه الجزيرة هذه اطلقوا عليها اسم « فانداليسيا » او « واندليسيا » والوندال قبائل جرمانيـــة من الشمال اجتاحت اوربا في القرن الخامس الميلادي واستقرت في السهل الجنوبي الاسباني . وحين فتح العرب هذه البلاد عربوا هذا الاسم الى (اندلس) . وقيل انهم اخذوا اسم الاندلس من لفظ (الوندالس) وهو اسم قبائل البربر التي سكنت في جنوب اسبانيـــــا فنسبوا شبه الجزيرة كلها الى هذه القبائل فقالوا (شبه جزيرة الوندالس) وبمرور الزمن خففت هذه الكلمة واختصرت فأصبحت الاندلس . وقد يطلق على الاندلس « جزيرة الاندلس » علماً انها شبه جزيرة وانما سميت جزيرة بالغلبة كما سميت جزيرة العرب وهي شبه جزيرة .

ومما سبق يمكن ان يقال ان هذه الكلمة قد مرت في ثلاثة ادوار صوتية هي (قندلس) والمرحلة الثانية (وندلس) والمرحلة الاخيرة (أندلس) وهذا التطور ليس غريباً على العربية .

وبقي اسم الاندلس حياً حتى بعد خروج العرب منها وسقوطها بيد اعدائهم ، الا انه ادخل عليه تطورجديد فاصبح في اللغة الاسبانية « أندلثيا » وصار يعني جنوب شبه الجزيرة فقط ، وهي المنطقة التى تشمل حتى اليوم ولايات قرطبة واشبيلية وغرناطة ومالقة .

ومن التعليلات التى ذهب اليها بعض المؤرخين الاندلسيين القدامى لهذه التسمية تعليل ابن سعيد فقد نقل عنه المقرى في نفح الطيب قوله « سميت بالاندلس بن طوبال بن يافث بن نوح لانه نزلها » وهو تعليل اسطوري كما نرى .

اما التعليل الثاني فهو أقرب الى العلم قال به الرازي فقد نقل عنه المقرى في النفح ايضا قوله : وأول من سكن بالاندلس على قديم الايام قوم يعرفون بالاندلش معجمة الشين ، بهم سمي المكان فعرب فيما بعد بالسين غير المعجمة (١) . ونقل ذلك الحميري عنه ايضا (٢).

(١) انظر نفح الطيب ١/١٣٣-١٣٥ .
(٢) الروض المعطار ١/٣٣

اسبانيا قبل الفتح العربي

كانت شبه جزيرة ايبريا قبل دخول المسلمين اليها تحت حكم القوط الذين احتلوها في بداية القرن الخامس الميلادي بعد ان طردوا الوندال حيث انسحب ملك الوندال (جنسريك) بقومه الى المغرب وعبر في سنة ٤٢٩ م بجيوشه مضيق الزقاق ونزل المغرب ولم يستطع الحاكم الروماني في المغرب ان يقف في وجهه وتم استيلاء جنسريك على الجزائر وتونس ثم سيطروا على المغرب الكبير وتركوا اسبانيا لسيطرة القوط ، وحرص كل فريق منهما على تجنب الاصطدام فيما بينهما وتحالفا وتوطدت علاقاتهما حين تعاهدا .

لقد كانت اسبانيا في الايام الاخيرة من حكم القوط وقبيل الفتح العربي الاسلامي تشهد ضعفا سياسيا واجتماعيا كبيرا واضطرابا في نظام الحكم ، يعمل الاستبداد والطغيان على تغذيته والاسراع في تقويض أركانه والشعب يئن تحت وطأة الصراع الطبقي القاتل الذي يطحن الطبقات الشعبية الفقيرة المستغلة .

وكان المجتمع منقسما الى طبقات سيطر بعضها على بعض ويمكن ان نتبين هذه الطبقات كالآتي :

١ ـ الطبقة الحاكمة التي تتكون من الملك والنبلاء ونفوذ هؤلاء غير محدود وممتلكاتهم التي يستمتعون بخيراتها شاسعة ، وهي معفاة من الضرائب .

٢ ـ طبقة رجال الكنيسة : وهي تشارك الطبقة السابقة في إدارة دفة البلاد ، ونفوذهم غير محدود أيضا ، لان الدين في العصور الوسطى ، كما نعلم ، كان مسيطراً على كل أمور الحياة ، ولرجال الدين قداسة قد جعلت بعض أفراد الشعب يعتقدون ان بامكانهم ان يدخلوهم الجنة او النار ، وكل ممتلكاتهم الشاسعة كانت معفاة من الضرائب أيضا .

٣ ـ الطبقة المتوسطة : من التجار والزراع والملاك الصغار ، وهي الطبقة المستنيرة التي كان يمكن أن تقوم بدور فعال في مجتمع القوط الا ان عدد هذه الطبقة قليل ، وهي مثقلة بالضرائب والمضايقات من الطبقات السالفة فساءت حالتها وتشتتت في غمار الحياة .

٤ ـ طبقة الضعفاء المستغلين : وتشكل هذه الطبقة الغالبية العظمى من ابناء الشعب . ولكنها أقل الطبقات حقوقاواكثرها واجبات، يشتغل بعضهم في مزارع النبلاء ورجال الدين ، فهم عبيد لهؤلاء المالكين ، ينتقلون مع الارض ويباعون معها اذا

بيعت . ومع هؤلاء جماعات من العبيد التي يضاعف عددها الاسر في الحروب .

٥ ـ طبقة اليهود : وكان عدد هؤلاء كبيرا ايضا ، يسيطرون على ثروات البلاد وأموالها ويعملون في دووااين الدولة الحسابية، لكنهم كانوا مكروهين من أبناء الشعب القوطي ، لاختلاف عقيدهم مع القوط واستغلال الفقراء عن طريق الربا ، فتعرضت حياتهم لهزات دائمة اضطرتهم في كثير من الاحيان الى التآمر والتشوف الى ماوراء الحدود ولقلب نظام الحكم ، وكانوا على اتصال دائم بالجاليات اليهودية خارج اسبانيا (١) .
هذا الوضع الاجتماعي كان مدعاة لتفكك الجانب الاجتماعي والاقتصادي في مجتمع القوط ، اما الجانب السياسي فلم يكن اقل تفككا واضطرابا ، فقد وثب الملك لذريق قبل الفتح الاسلامى بسنة تقريبا على الملك غيطشة ، وانتزع منه الملك ، فحصل صراع شديد بينه وبين اسرة وانصار الملك السابق الذين كانوا يتحينون الفرص لارجاع ملكهم ، فانقسم الناس الى فريقين متنازعين ففقدت البلاد وحدتها السياسية .

---

(١) انظر تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس ٦٢

الفتح العربي :

لقد كان فتح المغرب مقدمة طبيعية لفتح بلاد الاندلس ، لانه المجاز الذي يوصل العرب إلى أسبانيا ، وقد استغرق فتح المغرب وإنتشار الاسلام فيه مدة زمنية طويلة قاربت السبعين عاما . بدأت بالحملة الاستطلاعية بقيادة عقبة بن نافع الفهري عام ٢١ هـ وانتهت بالحملة التي قاد جيوشها القائد العربي موسى بن نصير سنة ٩٠ هـ وقد قدم الفاتحون جهودا وخسائر كبيرة لم يقدموا مثلها في اي فتح آخر. ولكن النتيجة كانت رائعة فعقد لهم النصر وعربوا المغرب الكبير وتحول الى عقيدة اسلامية راسخة .

ان هـذا الفتح العظيم جعل الطريق الى اوربا ممهداً ، فانهار الحاجز الكبير الذي كان يفصل بينهم ، وهم في الشرق ، عن اوربا المتحصنة .

وبعد ان تم لموسى بن نصير فتح المغرب بأكمله عاد الى مقر ولايته بالقيروان ، حيث كان اميراً للمغرب وعاملاً للخليفة الوليد بن عبد الملك على افريقية ، وترك احد قادته وهو طارق بن زياد واليا على طنجة من قبله . وبعد ان استقر طارق قبالة شواطىء اسبانيا

واخذت أعداد جنده بالازدياد لم يرض لنفسه أن يبقى قابعا حيث هو، يدفعه التصميم ويحدوه الايمان وتحركه العقيدة الراسخة الى ان ينتشر لواء الاسلام الى حيث تمتد أنظار العرب ؛ الى ميدان جديد تستغل فيه هذه الطاقات الملتهبة بالايمان والعقيدة .

ففاتح طارق والي افريقيا موسى بن نصير بما خطر له من التقدم نحو الاندلس ، وخاصة بعد ان أبدى قائد سبته (يوليان) استعداده بأن يعين العرب على عدوهم حاكم اسبانيا (لذريق) ففي نفح الطيب: وكلمه (أي كلم موسي بن نصير) في غزو الأندلس ، ووصف له حسنها وفضلها ، وما جمعت من اشتات المنافع ، وانواع المرافق ، وطيب المزارع ، وكثرة الثمار ، وثرارة المياه وعذوبتها ، وهون عليه مع ذلك حال رجالها ، ووصفهم بضعف البأس وقلة الغناء ، فشوق موسى الى ماهناك ، واخذ بالحزم فيما دعاه اليه يوليان ، فعاقده على الانحراف الى المسلمين ، واستظهر عليه بأن سامه (كلفه) مكاشفة اهل ملته من الاندلس المشركين ، والاستخراج اليهم بالدخول اليها وشن الغارة فيها ، ففعل ذلك (يوليان) ، وجمع جمعا من اهل عمله ، فدخل بهم في موكبين ، وحل بساحة الجزيرة الخضراء ، فأغار وقتل وسبى ، وأقام بها أياما ، ثم رجع بمن معه سالمين ، وشاع الخبر عند المسلمين فأنسوا بـ (يوليان) واطمأنوا اليه ، وكان ذلك عقب سنة تسعين (١) .

(١) نفح الطيب ١/٢٥٢

وسبب موقف (يوليان) هذا انه كان صديقا للملك اسبانيا (غيطشة) الذي ذكرنا فيما سبق وثوب لذريق عليه واسقاطه فاضمرها (يوليان) وعمل ما وسعه على الانتقام لصديقه والقضاء على لذريق • ولكنه لم يكن قادرا بمفرده على قتال لذريق ففضل ان يستعين بجيوش العرب في افريقيا . وصادف هذا الوقت ان موسى بن نصير كان يفكر جديا في تنفيذ فكرة الفتح والعبور الى اسبانيا . فسارع موسى الى استشارة الخلافة في دمشق حيث كان الخليفة الوليـــد بن عبد الملك فتردد الخليفة في الموافقة حرصا على ارواح المسلمين بادىء الامر ، ثم وافق فيما بعد فكتب اليه : ان خضها بالسرايا (الحملات الاستطلاعية) حتى ترى وتختبر شأنها . ولا تغرر بالمسلمين في بحر شديد الاهوال . فانتدب موسى احد قواده لهـــذه المهمة وهو ابو زرعة طريف بن مالك المعافري في اربعمائة من الراجلين ومائة من الفرسان وقد قدم لهم يوليان السفن في العبور • فنزلوا في جزيرة عرفت فيما بعد بجزيرة (طريف) ثم نزلوا ساحل الاندلس الجنوبي . وقاموا بغارات عديدة كانوا فيها مثال الفاتح العادل • فرحب بهم ابناء الاندلس ووجدوا فيهم المنقذ الذي يمكن ان ينتشلهم مما هم فيه من بؤس وشقاء (١) • ومعروف ان العالم لم يعرف فاتحا ارحم وأرأف من العرب . فهم

(١) انظر نفح الطيب ٢٥٣/١ والبيان المغرب ٥/٢ واخبار مجموعة ٥ ـ ٦

رسل خير ومحبة يريدون تحرير الافكار والنفوس والعبيد . وهم لم يحيدوا في هذا الفتح العظيم عن اول وصية مأثورة وصى بها الخليفة ابو بكر الصديق (رض) قائد جيشه في اول غزو بعد وفاة رسول الله ﷺ حين خرج الى الشام لملاقاة الروم . الذين اعتدوا على مبعوثي رسول الله وسخروا منهم ، قال لافراد ذلك الجيش المؤمن : لا تخونوا . ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا طفلا ولاشيخا كبيرا . ولا امرأة ولا تقعروا (تقطعوا) نخلا ولا تحرقوه ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا الا لمأ كلة ، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع ، فدعوهم وما فرغوا انفسهم لــه . وسوف تقدمون على قوم يأتونكم بآنية فيها ألوان الطعام . فاذا اكلتم منها شيئا بعد شيء فاذكروا اسم الله عليها . وتلقون أقواماً قد فحصوا (١) اوساط رؤوسهم . وتركوا حولهــا مثل العصائب فأخفقوهم بالسيف خفقا ، اندفعوا باسم الله (٢) .

---

(١) فحصوا : حلقوا . اشارة الى وصية الرسول ﷺ امراء جيش المسلمين في معركة مؤتة حيث قال : وستجدون آخرين للشيطان في رؤوسهم مفاحص فافلقوها بالسيف ، اي ان الشيطان مستوطن رؤوسهم . وجاعل منها مفاحص له . وهي سكن القطا ومجاثمها .

(٢) الكامل ٢/٢٢٧

كان هذا دستور العرب الفاتحين ، فمالت اليهم القلوب وفتح السكان لهم الصدور ورحبوا بهم أينما حلوا .

بعد هذه الحملة الاستطلاعية الناجحة بدأ القائد موسى بن نصير يرسم خطة العبور وينفذها ، فجهز جيشا من سبعة آلاف مقاتل ، وجعل طارق بن زياد واليه على طنجة قائدا لهذه الحملة ، واستطاع طارق ان ينزل الى شواطيء اسبانيا ، فاحتل الجبل الذي أطلق عليه فيما بعد (جبل طارق) وهو أقوى موقع استراتيجي ، لانه يشكل همزة الوصل بين المغرب والاندلس ، يتحكم في المضيق . ولم يكن احتلاله امراً ميسوراً ، ولكن قدرة طارق بن زياد العسكرية ، وقيادته المخلصة ، وشجاعة واستبسال جنده ، كل ذلك ساعده على الالتفاف بحركة بارعة في اثناء الليل حول العدو الذي كان يرابط في الجبال ومباغتته من حيث لم يقدر ، فاستطاع احتلال الجبل وابادة العدو المرابط فيه وقد وصف المؤرخون ذلك فقال أحدهم : فمضى طارق لسبتة وجاز في مراكبه الى جبل فأرسى فيه ، فسمى جبـل طارق باسمه الى الآن ، وذلك سنة اثنتين وتسعين من الهجرة ، ووجد بعض الروم وقوفا في موضع وطيء كان عزم النزول فيه الى البر فمنعوه منه ، فعدل عنه ليلا الى موضع وعر ، فوطئه بالمجاذف وبراذع الدواب ، ونزل منه في البر وهم لا يعلمون ، فشن غارة عليهم وأوقع بهم وغنمهم (١) .

---

(١) البيان المغرب ٢/٩

ومن المرجح أن طارق بن زياد قد أبحر في سفن وأساطيل عربية كانت تحت قيادة موسى بن نصير ورهن إشارته، وضعها على الساحل المغربي المقابل لشواطيء اسبانيا .

وكان طارق قد ألقى في جنوده خطبة رائعة بعد اقتتال شديد ، دام ثلاثة أيام ، حين رأى ما في الناس من الشدة ، فقام يعظهم ويحظهم على الصبر ' ويرغبهم في الشهادة وبسط في آمالهم ، وهي بحق نموذج رائع لخطب قواد الفتح العربي قال : ايها الناس ، اين المفر ؟ البحر من ورائكم والعدو امامكم ، وليس لكم والله إلا الصدق والصبر ، واعلموا إنكم في هذه الجزيرة اضيع من الأيتام في مأدبة اللئام ، وقد إستقبلكم عدوكم بجيشه واسلحته ، واقواته موفورة ، وانتم لاوزر لكم (١) إلا سيوفكم ، ولا اقوات لكم إلا ما استخلصتموه من ايدي عدوكم ، وإن امتدت بكم الايام على افتقاركم ولم تنجزوا لكم امرا ذهبت ريحكم ، وتعوضت القلوب من رعبها منكم الجرأة عليكم ، فادفعوا عن انفسكم خذلان هذه العاقبة من امركم بمناجزة هذا الطاغية، فقد القت به إليكم مدينته الحصينة ، وإن إنتهاز الفرصة فيه لممكن إن سمحتم لانفسكم بالموت ، وإني لم احذركم امرا انا عنه بنجوة

---

(١) الوزر / الملجأ .

ولا حملتكم على خطة - ارخص متاع فيها النفوس - إلا وانا أبدأ بنفسي .

وإعلموا انكم إن صبرتم على الأشق - قليلا استمتعتم بالارفه الألذّ طويلا ، فلا ترغبوا بانفسكم عن نفسي . فما حظكم فيه بأوفى من حظي ، وقد بلغكم ما انشأت هذه الجزيرة من الحور الحسان . . . . وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك امير المؤمنين من الابطال عربانا ، ورضيكم لملوك هذه الجزيرة اصهاراً واختانا ثقة منه بارتياحكم للطعان ، واستماحكم بمجالدة الابطال والفرسان، ليكون حظه منكم ثواب الله على إعلاء كلمته ، وإظهار دينه في هذه الجزيرة ، وليكون مغنمها خالصا لكم من دونه ومن دون المؤمنين سواكم ، والله تعالى ولي إنجادكم على ما يكون لكم ذكرا في الدارين .

واعلموا انى اول مجيب إلى ما دعوتكم إليه ، واني عند ملتقى الجمعين حامل بنفسي على طاغية القوم لذريق فقاتله إن شاء الله تعالى ، فاحملوا معي ، وإن هلكت بعده فقد كفيتكم أمره ولم يعوزكم بطل عاقل تسندون أموركم إليه ، وإن هلكت قبل وصولي إليه فاخلفوني في عزيمتي هذه وأحملوا بانفسكم عليه ، واكتفوا اليهم من فتح هذه الجزيرة بقتله ، فانهم بعده يخذلون : (١)

---

(١) وفيات الاعيان ٣٢١/٥ ونفح الطيب ٢٤٠/١

وقد نقل المقري أبياتا لطارق بهذه المناسبة قال :

ركبنا سفيناً بالمجـاز مقيـّراً عسى أن يكون الله منا قد اشترى
نفوسا وأموالاً وأهلا بـجنـــة اذا ما اشتهينا الشيء منها تيسرا
ولسنا نبالي كيف سالت نفوسنا اذا نحن ادركنا الذي كان أجدرا

قال ابن سعيد : وهذه الأبيات مما يكتب لمراعاة قائلها ومكانته لا لعلو طبقتها (١) .

وبعد هذا النجاح الباهر الذي حققه طارق بن زياد اقـام عدة ايام عند جبل طارق ، وراح يبني خلالها سورا يحيط بجيشه ، اطلق عليه (سور العرب) (٢) . وهيأ قاعدة عسكرية الى جانب الجبل هي مدينة الجزيرة الخضراء . وحين علم لذريق بما حقق طارق من انتصار العبور واخبره احد اتباعه الفارين من المعركة السابقة بقوله : (اتتك الصورة التي كشف لك عنها التابوت ، فخذ لنفسك ، فقد جاءك منهم من لا يريد إلا الموت او اصابة ما تحت قدميك ، قد حرقوا مراكبهم إياساً لأنفسهم من التعلق بها ، وصفـّوا في السهل

---

(١) نفح الطيب ٢٦٥/١
(٢) البيان المغرب ١٣/٢

موطنين انفسهم على الثبات ، اذ ليس لهم في ارضنا مكان مهرب (١) راح يهيىء الحشود الضخمة لملاقاة المسلمين وقدر عدد مقاتليه بمائة الف مقاتل . فاستنجد طارق بموسى بن نصير وكتب اليه : ان الامم قد تداعت علينا من كل ناحية فالغوث الغوث (٢) .

وأمده موسى بنجدة سريعة تقدر بخمسة آلاف مقاتل بقيادة طريف بن مالك ، اغلبهم من الفرسان ، واشتبك المسلمون والقوط بعد هذه النجدة في معركة فاصلة توقف عليها مستقبل اسبانيا . دامت ثمانية ايام من يوم الأحد ٢٨ رمضان الى الاحد ٥ شوال من سنة ٩٢ هـ سميت بمعركة (شذونة) لانهـا حدثت في كورة شذونة في جنوب غرب اسبانيا وسميت معركة (وادي برباط) او (وادي لكة) قرب مدينة شذونة . وقد كانت معركة رهيبة قدمت فيها ضحايا لا تحصى اقتتل فيها الطرفان قتالا شديداً حتى ظنوا انه الفناء . كما يقول صاحب فتوح افريقيا والاندلس (٣) . ووصفها غيره بقوله : لم تكن بالمغرب مقتلة اعظم منها ، وان عظامهم بقيت في ارض المعركة دهرا طويلا لم تذهب (٤) اما المقرى فقد وصفها بتفصيل اكثر فقال:

---

(١) نفح الطيب ٢٥٨/١

(٢) ابن قتيبة الامامة والسياسة ١١٢/٢

(٣) ابن عبد الحكم ص٩٦

(٤) البيان المغرب ١٠/٢

فلما اصبح الفريقان تجمعوا وعبّؤا جيوشهم ، وحمل لذريق وهو على سريره ، وقد حمل على رأسه رواق ديباج يظلله ، وهو مقبل في غابة من البنود والاعلام ، وبين يديه المقاتلة والسلاح ، واقبل طارق في اصحابه عليهم الزرد (الدروع) ومن فوق رؤوسهم العمائم البيض ، وبأيديهم القسي العربية ، وقد تقلدوا السيوف ، واعتقلوا الرماح ، فلما نظر اليهم لذريق داخله منهم الرعب ، ورآه طارق فقال : هذا طاغية القوم ، ثم حمل وحمل اصحابه معه ، فتفرقت المقاتلة من بين يدي لذريق ، فخلص اليه طارق فضربه بالسيف على راسه فقتله على سريره ، فلما رأى اصحابه مصرع صاحبهم ، التحم الجيشان ، وكان النصر للمسلمين . ولم تقف هزيمة العدو على موضع بل كانوا يسلمون بلدا بلدا . ومعقلا معقلا (١) . ولم ينتزع طارق هذا الانتصار بسهولة ، فقد استشهد خيرة رجاله . حتى قدر عدد ضحايا المسلمين بثلاثة آلاف مقاتل (٢) .

وكانت هذه المعركة الفاصلة المفتاح الكبير الذي فتح به طارق ابواب الاندلس . فاتجه بعدها الى طليطلة واستولى عليها ، وقرطبة فدانت له بعد حصار طويل . وحين توغل طارق الى اعماق بعيدة

---

(١) نفح الطيب ٣٤٢/١

(٢) نفح الطيب ٢٩٥/١

داخل الجبال الوعرة ، وجهد جيشه استنجد بقائده موسى ، فعبر موسى بجيوشه في شهر رمضان سنة ٩٣ هـ ومعه ثمانية عشر الف مقاتل ، معظمهم من القبائل القيسية واليمنية من اهل الشام ، وسار موسى في طريق غير الطريق الذي سلكه طارق ، واستولى على كثير من المدن حتى التقى به عند (تاجو) بالقرب من طليطلة وتابعا المسير معا ومدن اسبانيا تتهاوى امام الفاتحين حتى بلغا حدود فرنسا الجنوبية (١) .

(١) انظر اخبار مجموعة ص ١٥ .

٢ ـ نظرة عامة فى تاريخ المسلمين في الاندلس

(العهود التاريخية)

اولاً : عهد الفتح : استمر فتح الاندلس حوالي اربع سنوات ابتداء من سنة ٩٢ ه الى سنة ٩٥ ه (٧١١ ـ ٧١٤ م) ٠

ثانياً : عهد الولاة : ويمتد من الفتح حتى مجيء عبد الرحمن الداخل الى الاندلس أي من سنة ٩٥ ه الى ١٣٨ ه (٧١٤ ـ ٧٥٥م) وفي هذا العهد كانت الاندلس ولاية عربية تابعة للخلافة الاموية في دمشق مباشرة او بواسطة ولاية الشمال الافريقي٠ وقد ولي الاندلس في هذه الفترة عشرون واليا . اولهم عبد العزيز بن موسى بن نصير الذي خلفه عليها ابوه موسى بعد ان استدعاه الخليفة سنة ٩٥ ه . وآخرهم يوسف بن عبد الرحمن الفهري (١) . ويعد عبد الرحمن الغافقي الذي دامت ولايته سنتين وثمانية اشهر ١١٢ ـ ١١٤ ه من ابرز

---

(١) انظر ثبتاً مفصلاً بأسماء ولاة الاندلس في البيان المغرب ٢/٢٣ـ ٣٨

هؤلاء الولاة فقد مضى في تطهير شمال الاندلس من الافرنج، ووصل الى شواطيء الرون ومدينة ليون الفرنسية ، فجهز الافرنج جيشا كبيرا يفوق كثيرا الجيش الاسلامي بقيادة شارل مارتل واستطاع ايقاف الزحف العربي واستشهد قائد الجيش العربي الغافقي ، وسميت هذه المعركة (بلاط الشهداء) . وشهد هذا العصر كثيرا من الثورات البربرية .

ثالثا : عهد الامارة : ويبدأ بمجيء الداخل الى الاندلس حتى اعلان الخلافة من قبل عبد الرحمن الناصر ودام هذا العهد مائة وثمان وسبعين سنة من ١٣٨ هـ الى ٣١٦ هـ (٧٥٥–٩٢٩) وكانت الاندلس في هذا العهد امارة اموية مستقلة سياسيا عن الخلافة العباسية في المشرق .

وقد ولى هذه الامارة الاموية سبعة امراء هم :

١ ـ عبد الرحمن الداخل ١٣٨ـ١٧٢ هـ

٢ ـ هشام بن عبد الرحمن ١٧٢ـ١٨٠ هـ

٣ ـ الحكم بن هشام ١٨٠ـ٢٠٦ هـ

٤ ـ عبد الرحمن الاوسط بن الحكم ٢٠٦ـ٢٣٨ هـ

٥ ـ محمد بن عبد الرحمن ٢٣٨ـ٢٧٣ هـ

٦ ـ المنذر بن عبد الرحمن ٢٧٣ـ٢٧٥ هـ

٧ ـ عبد الله بن محمد ٢٧٥ـ٣٠٠ هـ

والداخل مؤسس الامارة هو عبد الرحمن الاو لبن معاوية ابن هشام بن عبد الملك المتوفى في ١٠ جمادي الاولى سنة ١٧٢ ﻫ وكان ملكه ٣٢ سنة وخمسة اشهر • اذ ولي امارة الاندلس يوم الجمعة ١٠ من ذي الحجة سنة ١٣٨ ﻫ وهو ابن ثمان وعشرين سنة (١) وكان قد افلت بإعجوبة من ايدي العباسيين بعد أن سقطت الخلافة الاموية في دمشق سنة ١٣٢ ﻫ وكان في العشرين من عمره ، توجه الى فلسطين فمصر ثم وصل الى المغرب . وظل متخفيا فيها حتى استطاع الوصول الى قبائل (نفزة) وهم أخواله ، فنال عطفهم ومساعدتهم ، ومن مقره بين أخواله كان يستطلع أخبار الاندلس التي مزقتها الانقسامات ، ثم أرسل مولاه بدراً الى من في الاندلس من الشاميين واتباعهم، ونجح هذا في بث الدعوة له بين هؤلاء ، ومهد الطريق لعبوره في شهر ربيع الاول من سنة ١٣٨ ﻫ فسمى نفسه (الداخل) لأنه اول داخل من امراء بني مروان الى الاندلس ، واستطاع ان يجمع شمل القبائل العربية من مضر واليمن وكسب ود الرعية واستمال قلوب الجميع وبدأ يتقدم نحو المدن الاندلسية الواحدة تلو الاخرى ، وعندما تغلب على والي الاندلس

---

(١) العقد الفريد ٤/٤٨٨

يوسف بن عبد الرحمن الفهري بعد معركة دامية قـــرب قرطبة استقر له الامر وخضعت له العاصمة قرطبة ، فبدأ يعيد بناء دولة اموية ثانية ، فشيد الدور والقصور ، وبنى المسجد الجامع بقرطبة ، كما بنى مساجد في مدائن اخـــرى ، وبدأ فدون الدواوين ، وفرض الاعطية ، وعقد الالوية ؛ وجند الاجناد . واقام للملك آلته واخذ للسلطان عدته . حتى بات يخشى جانبه ، ولم يلبث ان دانت له بلاد الاندلس واستقل له الامر فيها . وهنا تشجع وقطع الدعـوة للخليـــفة المنصور العباسي وآله من فوق منابر الاندلس (١) .

واخفق ابو جعفر المنصور حين ارسل سنة ١٤٦ هـ جيشا لقتاله وهزم جيشه الذي ارسله بقيادة والي العباسيين على افريقية العلاء بن مغيث اليحصبي وانتصر عليه الداخل . وآلم ذلك المنصور حتى قال عنه : ما هذا الا شيطان ، الحمد لله الذي جعل بيننا وبينه البحر (٢) وهو الذي سماه (صقر قريش) فقد سأل اصحابه يوما : اخبروني عن صقر قريش ، من هو ؟ قالوا : امير المؤمنين الذي راض الملك ، وسكن الزلازل

(١) نفح الطيب ٣٢٨/١
(٢) المصدر السابق ٣٣١/١

وحسم الادواء ، وأباد الاعداء .

قال : ما صنعتم شيئا .

قالوا : فمعاوية .

قال : ولا هذا .

قالوا : فعبد الملك بن مروان .

قال : ولا هذا .

قالوا : فمن يا امير المؤمنين ؟

قال : عبد الرحمن بن معاوية الذي عبر البحر ، وقطع القفر ، ودخل بلدا اعجميا مفردا ، فمصر الامصار ، وجند الاجناد ، ودون الدواوين ، واقام ملكاً عظيما بعد انقطاعه ، بحسن تدبيره وشدة شكيمته .

ان معاوية نهض بمركب حمله عليه عمر وعثمان وذللا له صعبه ، وعبد الملك ببيعة تقدم له عقدها ، وامير المؤمنين بطلب عشيرته ، واجتماع شيعته ، وعبد الرحمن منفردا بنفسه ، مؤيدا برأيه ، مستصحبا لعزمه ، وطد الخلافة بالاندلس وافتتح الثغور ، وقتل المارقين ؛ وأذل الجبابرة . فقال الجميع : صدقت - والله - يا امير المؤمنين (١) .

---

(١) البيان المغرب ٢/٥٩ . واخبار مجموعة ١١٨ .

وكان عبد الرحمن الداخل اميرا عربيا شهما استطاع تجسيد المبادىء التي حملها طيلة ايام حكمه، وكان فصيح اللسان بليغ الكلام يقول الشعر المطبوع بعاطفة رقيقة واحساس مرهف واسلوب جميل اخاذ ينم عن قدرة شعرية دفينة وتمكن من ناصية القول واصالة عربية .

فحين رأى راكبا ميمماً صوب الشام نظم ابياتا رقيقة ارسلها الى اخته في الشام، بثها اشواقه وحنينه قال (١) :

ايها الراكب الميمم ارضي	أقر بعض السلام عني لبعضي
إن جسمي كما تراه بأرض	وفؤادي ومالكيه بأرض
قدّر البين بيننا فافترقنا	وطوى البين عن جفوني غمضي
قد قضى الله بالبعاد علينا	فعسى باقترابنا سوف يقضي

ومن اشعاره هذه الأبيات التي تفيض شوقا وحنينا الى بلاده في الشام، تفجرت بها قريحته حين نظر في حديقته بقصر الرصافة فرأى نخلة وحيدة (٢) :

---

(١) نفح الطيب ٢/٧٠٧ والبيان المغرب ٢/٦٠
(٢) نفح الطيب ٢/٧١٦ والبيان المغرب ٢/٦٠

تبدت لنا وسط الرصافة نخلة ... تناءت بأرض الغرب عن بلد النخل

فقلت: شبيهي في التغرب والنوى ... وطول التنائي عن بنيّ وعن اهلي

نشأت بأرض انت فيها غريبة ... فمثلك في الاقصاء والمنتأى مثلي

سقتك غوادي المزن في المنتأى الذي ... يسح ويستمري السماكين بالوبل

رابعا : عهد الخلافة :

ويبدأ باعلان عبد الرحمن الناصر الخلافة الاندلسية منهيا عهد الامارة في سنة ٣١٦ هـ معلنا استقلال الاندلس روحيا وسياسيا عن الخلافة العباسية بالمشرق . فقد استهل الخطيب بجامع قرطبة احمد بن بقي بن مخلد بذكر (امير المؤمنين الخليفة الناصر) يوم الجمعة مستهل ذي الحجة من سنة ٣١٦ هـ ، وفي يوم ولايته يقول احمد بن عبد ربه من قصيدة :

بدا الهلال جديداً ... والملك غض جديد

يا نعمة الله زيدي ... فما عليك مزيد (١)

واصدر الخليفة الناصر منشورا وزعه عماله في النواحي المختلفة من الاندلس ، يخبر فيه الناس بقراءة اعلان الخلافة (٢) .

---

(١) البيان المغرب ١٥٧/٢

(٢) انظر نص المنشور في تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس ٣١٩

وقد دام هذا العهد من ٣١٦ هـ الى ٤٠٠ هـ (٩٢٩ ـ ١٠٠٩) وقد تولى الخلافة فيه عدد من الخلفاء أولهم عبد الرحمن الثالث بن محمد بن عبد الله من احفاد عبد الرحمن الداخل الذي اعلن نفسه خليفة وتلقب بأمير المؤمنين الناصر لدين الله ، وهو اعظم خلفاء الاندلس قاطبة .

قال ابن عبد ربه : تولى الملك ، والارض جمرة تحتدم ، ونار تضطرم ، وشقاق ونفاق ، فأخمد نيرانها ، وسكن زلزالها ، وافتتحها عوداً ، كما افتتحها بدءاً سميه عبد الرحمن ابن معاوية (١) . وقد شجعه على هذا الاعلان بعد ان كان من قبله يخاف ان يجد المسلمون في اعلان الخلافة بدعة ومدعاة للانشقاق بين المسلمين حين يعلن لهم خليفة آخر غير الذي يحكم في المشرق .

شجعه ضعف الخلافة في المشرق وصيرورة الخليفة ألعوبة بيد الحكام الاتراك والديلم وبلوغ الحكم في الاندلس درجة من القوة لا يخشى معها اي تهديد من الشرق او الغرب .

وقد بلغت الاندلس في عهد الناصر أوج مجدها وقوتها وتوحدها، ونافست عاصمة الاندلس (قرطبة) بغداد وهي في اعظم ايام مجدها . وفي عصره بنى مدينة وقصر الزهراء قرب

---

(١) العقد الفريد ٤٩٨/٤ وانظر البيان المغرب ١٥٧/٢

قرطبة . واجتمع في دولته من علية الرجال وسروات الكتاب خدمة لم يخدم الملوك مثلهم، في فضل ادابهم واتساع افهامهم ، مع المروءة الظاهرة والسيرة الجميلة ، كموسى بن حدير الحاجب ، وعبد الحميد بن بسيل ، وعبد الملك بن جهور ، واسماعيل بن بدر ، وابن ابي عيسى القاضي ، ومنذر بن سعيد ، كان واحد عصره في العلم والأدب وحسن الخطاب ، وكان عيسى بن فطيس كاتبه أبلغ الناس اذا كتب (١) .

وقد وصف المقري ايامه فقال : فأوطأ عساكر المسلمين من بلاد الافرنج ما لم يطؤوه قبل في ايام سلفه . ومدت اليه امم النصرانية من وراء الدروب يد الاذعان ، وأوفدوا عليه رسلهم وهداياهم من رومة والقسطنطينية في سبيل المهادنة والسلم والاعتمال فيما يعنّ في مرضاته (٢) .

ولم يكن ابنه الحكم الذي تولى الخلافة بعده في سنة ٣٥٠ هـ اقل منه حزما وقوة مع ميل شديد الى العلم والادب فشيد المدارس وابتنى المساجد واقام المكتبات، حتى قيل ان عدد فهارس خزانته العلمية بلغت اربعا واربعين فهرسا، في كل فهرس عشرون ورقة ليس فيها الا ذكر الدواوين لا غير ،

---

(١) اخبار مجموعة ١٥٦

(٢) نفح الطيب ١/٣٣١

وفي عصره تم اقتناء النسخة الاولى من كتاب الاغاني بألف دينار من الذهب (١) .

خامسا : عهد ملوك الطوائف :

ويبدأ بانحلال الخلافة الاموية في الاندلس في حدود الاربعمائة للهجرة ، وقد حاول بعض الحكام الاصلاح الا انهم لم يستطيعوا فانهارت الخلافة نهائيا عندما اعلن الوزير ابو الحزم جهور ابن محمد بن جهور الغاء الخلافة في ذي الحجة سنة ٤٢٢ هـ وخلع هشام الثالث بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر ، فانقطعت الخلافة الاموية في قرطبة (٢) وصارت مدن الاندلس الكبيرة عواصم لدويلات صغيرة طائفية ضعيفة ومتنازعة فيما بينها ؛ فواحدة بربرية كالزيرية في غرناطة ومالقة ، واخرى شيعية كالحمودية في قرطبة ، وثالثة عربية تعتز بنسبها واصولها كالهودية في سرقسطة والعبادية في اشبيلية وهكذا ودام حكمهم ما بين ٤٠٠-٤٧٩ هـ وقد خطب بعض الملوك لبني امية واخرون لبني العباس ، ومنهم

---

(١) المصدر السابق ١٨٢/١

(٢) انظر تفصيل خلع هشام في البيان المغرب ١٤٧/٣-١٥٢ .

من تلقب بالقاب الخلفاء العباسيين ، ولذلك سخرمنهم بعض الشعراء فقال ابن عمار : (١)

مما يزهدني في ارض اندلس اسماء معتضد منها ومعتمد
ألقاب مملكة في غير موضعها كالهر يحكي انتفاخا صورة الاسد

ولعل ابرز الاحداث التي هزت دولة المرابطين بعنف استيلاء النورمانديين على بربشتر (٢) سنة ٤٥٦ هـ ، ثم استيلاء الفونس السادس على طليطلة سنة ٤٧٨ هـ بعد حصار دام سبع سنين (٣) ، وكان هذا الاستيلاء مصابا كبيرا ابكى كثيرا من شعراء الاندلس ، فرثوها باشعار حزينه باكية ، من ذلك قصيدة بلغت اثنين وسبعين بيتا لشاعر اندلسي يقول في مطلعها : (٤)

لثكلك كيف تبتسم الثغور سرورا بعدما بئست ثغور ؟

---

(١) نفح الطيب ١٩٩/١
(٢) بربشتر : حصن منيع بينه وبين قرطبة ثمانون ميلا ، وله قرى كثيرة وحصون خطيرة .
(٣) انظر تفصيل هاتين الحادثتين في تاريخ الادب الاندلسي (عصر الطوائف والمرابطين) ١٩ــ٢٢
(٤) انظر نص القصيدة في نفح الطيب ٦ /٢٨٨ـ٢٣٢

أنا وابي مصاب هدّ منه   ثبير الدين فاتصل الثبور

سادسا : عهد المرابطين :

عندما استغل الافرنج ضعف دويلات الطوائف ، فهاجموها بقصد القضاء على الوجود العربي في الاندلس تمكنوا من القضاء على معظم هذه الدول ، وحين وصلوا الى اشبيلية عاصمة بني العباد استنجد صاحب دولتهم المعتمد بامير المرابطين في المغرب فاستجاب امير المرابطين يوسف بن تاشفين ، وكان حاكما مسلما مخلصا ، وجهز جيشا عبر بقيادته ، واستطاع قهر جيش الاسبان في موقعة (الزلاقة)(١) في رجب سنة ٤٧٩ هـ (١٠٨٦م) . ولم يمكث ابن تاشفين في الاندلس بعد انتصاره على القشتاليين في الزلاقة ، وعاد الى المغرب ، ولكن الاسبان لم يكفوا عن الاندلس ، مستغلين سوء الاوضاع والتفكك الذي تعيشه دول الطوائف ، فاستعان المعتمد بن عباد بالمرابطين مرة اخرى لانقاذ شرقي الاندلس

---

(١) الزلاقة : بطحاء من اقليم بطليوس من غرب الاندلس . وفيها كانت الوقعة ضد أدفونش . انظر تفصيل المعركة في صفة جزيرة الاندلس ص ٨٣

من المحتلين ، فعبر ابن تاشفين الى الاندلس عبر مضيق جبل طارق ثانية في سنة ٤٨١ هـ ، وانضم اليه معظم سكان الاندلس المسلمين ، مع ملوك طوائفهم ، واستطاع ايقاف زحف المغيرين الاسبان ، ثم عاد الى المغرب ، وبعد رحيله ساءت احوال الاندلس ، وعاد ملوك الطوائف الى خلافاتهم القديمة ، فاستنجد العلماء وأبناء الشعب وكثير من ملوكهم بابن تاشفين ليتولى الحكم وينهي هذه الاوضاع السيئة فاستجاب المرابطون ودخلوا الاندلس ، وبويع في سنه ٤٩٥ هـ لابي الحسن علي بن يوسف بن تاشفين ، وانشيء جيش مرابطي مقيم في الاندلس، والمرابطون من قبيلة (لمتونة) احدى بطون صنهاجة في المغرب وهم من البربر ، ولذلك تسمى الدولة المرابطية الدولة اللمتونية ايضا ، ولاتخاذهم اللثام سموا بالملثمين، أما سبب تسميتهم بالمرابطين فيعود الى اقامة أحد زعماء حركتهم الدينية وهو عبد الله بن ياسين الجزولي في الصحراء متخذاً رباطا ، والتف حوله جماعة أخلصت له ولمذهبه الدينية ؛ قدر عددهم بألف رجل ، ومنهم زعيم قبيلة لمتونة يحيى بن عمر (١) .

وقد دام حكم دولة المرابطين متين سنة ما بين سنة ٤٩٥ و

---

(١) انظر التاريخ الاندلسي ٢٤٠

٥٥٥ هـ (١١٠١ ـ ١١٦٠ م) وقد قامت دعوة المرابطين على نشر مبادىء الدين الحنيف بعيدا عن التحريف والتجهل والخرافات .

سابعا : عهد الموحدين :

الموحدون فرقة اخرى من المغرب ترجع في نشأتها الى قبائل المصامدة في جنوب المغرب . نهض بدعوتهم ابو عبد الله المهدي محمد بن تومرت (٤٨٥ ـ ٥٢٤ هـ) وقد قامت لهم دولة في المغرب في اعقاب دولة المرابطين التي دب في اوصالها الضعف في اواخر ايامها ، وشيوع افكار دينية بعيـــدة عن جوهر الدين الصافي النقي ، اضافة الى تحرك عدوان اسبانيا الشمالية ومن ساعدها من الاوربيين من جديد .

وكان اول اتصال الموحدين بالاندلس سنة ٥٤٢ هـ عندما توجهت وفود من الاندلس طالبة نجدتهم بعد ان هددها العدو إثر القضاء على المرابطين في المغرب .

ومن ابرز امراء هذا العهد المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن الذي دام حكمه من سنة ٥٨٠ ـ ٥٩٥ هـ وقد

وصلت دولة الموحدين في عصره أوج عظمتها وقوتها ، وخاض ضد اعداء الاندلس من الافرنج معارك كثيرة وحقق كثيرا من الانتصارات . ومن اعظم الانتصارات نجاحه في معركة (الارك)(١) في سنة ٥٩١ ﻫ التي لا تقل عن معركة (الزلاقة) التي خاضها المرابطون ٠ فقد قتل في هذة المعركة من الاعداء ما يزيد على مائة الف مقاتل ، وأسر عشرات من الالوف، وفي عهد الموحدين انتشرت علوم الفلسفة وظهر من علمائها عدد كبير ، ابرزهم ابن طفيل وابن رشد . ودام عهدهم اكثر من مائة وثلاثـــين سنة ، وفي اواخر ايامهم استطاع الاسبان ان يثبوا من جديد على المدن الاندلسية ويخرجوها من الحكم العربي الواحدة تلو الاخرى ، نتيجة تولي حكم الموحدين شخصيات ضعيفة لا تقوى على مقارعة تكالب اوربا الصليبية على الاندلس ، واول معركة خسرها المسلمون ، وكانت بابا واسعا ولج منها الصليبيون الى المدن الاخرى هي معركة (العقاب) (٢) التي هزم فيها المسلمون وذلك سنة ٦٠٩ﻫ

---

(١) الارك : حصن منيع بمقربة من قلعة رباح اول حصون ادفونش بالاندلس . وانظر تفصيل هذه المعركة في صفة جزيرة الاندلس ص ١٢ ٠

(٢) العقاب : بين جيان وقلعة رباح ٠ انظر تفصيل هذه المعركة في صفة جزيرة الاندلس ١٣٧ .

وما خسره المسلمون بعد هذه الهزيمة اكثر مما لحق بهم في تلك المعركة من قتل خلق كثير .

ثامنا : عهد دولة بني الاحمر :

بعد ذهاب دولة الموحدين استطاع حاكم بطليوس محمد بن يوسف بن هود الجذامي الصمود أمام الهجمة الصليبية على الاندلس، وحالفه النجاح في توسيع سلطانه حتى شمل مدنا اخرى، هي اشبيلية وقرطبة ومرسية ، وكان يرى أن نجاحه واستمرار حكمه يتوقف على استمرار قتاله لاعداء الاندلس من الصليبيين ، فخاض معارك باسلة ضدهم ، إلا انه كان اضعف من ان يردهم أو يحمي دولته منهم، فهزم في كثير من المعارك ضد الاسبان ، وراحت مدن الاندلس الكبرى تتهاوى أمام ضربات الاعداء ؛ وبدأ سقوط قواعد الاندلس الواحدة تلو الاخرى ، وفي طليعتها ، عاصمة الاندلس التليدة قرطبة ، انتزعها ملك قشتالة ، بعد أن استماتت أبناؤها في الدفاع عنها ، وخذلهم ابن هود رغم محاصرتها عدة شهور . وفي هذه الاوضاع المتدهورة ظهر بنو الاحمر في (أرجونة) احدى حصون قرطبة، وهم قبيلة عربية يرجع نسبها الى سعد ابن عبادة سيد الخزرج، (١) وقد تولى قيادة بني الاحمر ابو

---

(١) نفح الطيب ١/٤٤٧

عبد الله محمد بن يوسف بن نصر المعروف بابن الاحمر ، فبويع اميرا لمملكة غرناطة سنة ٦٣٥ هـ واستطاع ان يحتفظ ببعض المناطق الجنوبية من الاندلس، وأسس مملكة غرناطة (الاندلس الصغرى) التي استطاعت ان تصمد رغم الصعوبات ما يزيد على قرنين ونصف ، توالى على حكمها اكثر من عشرين حاكما وقد ُعد بقاء مملكة غرناطة كل هذه المدة مع صغرها وقلة عدد سكانها وقوة اعدائها المحدقين بها من كل جانب معجزة ، ولكن الارادة القوية والتصميـم على التضحية للحفاظ على الوجود العربي في الاندلس مع انشغال ملوك الاسبان بمحاربة بعضهم بعضا ، وموقع غرناطة القريب من المغرب جعل الاخوة في المغرب لايتأخرون عن انجادها كلما سنحت الفرصة، ومن سوء الصدف ان يتولى امر غرناطة في اخر ايامها حاكم مستبد احمق مغامر هو ابو عبد الله محمد ابن علي ، الملك الصغير، حيث بدأ حكمه لغرناطة اواخر سنة ٨٨٧ هـ فكان سببا في انقسامات داخلية وفتن محلية مستمرة فاستغل الاوربيون ذلك وزحفوا موحدين بقيادة فرديناند الرابع وايزابيلا حتى بلغوا مشارف غرناطة . وعند ذلك جمع ابو عبد الله اعيان مملكته يستشيرهم في امر التسليم والصلح، فوافق الحاضرون على الاستسلام الا رجل واحد

كان بين الحاضرين لايزال دم العروبة والاسلام يجرى في عروقه ، انتفض من مجلسه وراح يهدر بصوته المتهدج ألما وحزنا على ما آل اليه امر الاندلس، وهوالامير موسى بن ابي الغسان الذي عارض بمفرده راى الحاضرين وخاطبهم بقوله :
لقد عجلتم الى الكلام في امر التسليم ، ان وسائلنا لم تنقطع ولم يزل عندنا بقية قوة عظيمة الفعل ، شديدة التاثير وطالما كانت الاستماتة سبب الفتح ، فلنستنفرن العامة الى الجهاد ، ولنسلحنهم ونقتحمن صفوف العدو حتى نخالط اسنتهم ، وانني لحاضر ان امضي في هذا السبيل ، واتوغل في كثيف جمع الاعداء ، وخير لي مرارا ان اعدّ فيمن استاكلهم الدفاع عن غرناطة ، من ان أعدّ في الاحياء من بعدها (١) وبعد ذلك طوقت جنود الاعداء غرناطة ، واستجاب السلطان للعدو بالاستسلام ، ويروى ان ذلك الفتى العربي ظل ثابتا على رايه الى آخر لحظة ، وحين كان الوزير يقرأ شروط الاستسلام امام اهل غرناطة الذين اجهشوا بالبكاء التفت اليهم قائلا :

دعوا يا موالينا البكاء والنحيب للنساء والاولاد ، فنحن رجال

(١) خلاصة تاريخ الاندلس ص ٣٢٩

ولنا قلوب لا لذرف الدموع ، بل لاجل سفك الدماء، وانني لأرى عزائم هذه الامة قد ارتخت ، وقطعوا املهم من نجاة الملك ، فوالله لقد بقي علينا اشرف الخطتين وهي الموت . فلنمت اذن في سبيل استقلالنا والانتقام من عدو غرناطة . فأمنا الارض تتلقى ابناءها في احشائها غير مقيدين بسلاسل العبودية ، ولا قدر الله ان يكون اشراف غرناطة صاروا يخافون الموت في الدفاع عنها (١). وعندما تأكد ان لا فائدة من كلامه وان القوم مصرون على قبول شروط التسليم هب من مجلسه قائماء وقبل مغادرته المجلس خاطبهم قائلا ومحذرا : يا قوم لا تغشوا انفسكم ، ولا تتسلوا بالمحال ، ولا تظنوا ان ملوك النصارى وافون بعهودهم لكم ، وانهم كرام عند المقدرة كما هم فتاكون عند القتال ، فوالله ان الموت الأحمر هو أهون ما نتوقع ، وانما نحن مستقبلون امرا أيسره اكتساح الأوطان وفضيحة العيال وانتهاب الأموال وقلب المساجد،وتدمير المنازل، هذا عدا السوط والنار والنطع والنفي من الأرض ، والضنى في اعماق الحبوس ، الى غير ذلك مما نحن صائرون اليه . ثم قال :

واذا لم يكن من الموت بد   فمن العجز ان تموت جبانا

---

(١) المصدر السابق ص ٣٣٠

اما انا فوالله لن اشهد ذلك (١) .

ثم خرج من المجلس ودار في ارجاء الحمراء ليلقي عليها النظرة الاخيرة، وبعد ذلك اسرج فرسه وامتطاه وغاب عن الأنظار، حيث لا يعلم له بعد ذلك خبر .

اما حاكم غرناطة الشقي فيروى انه خرج الى الناس وخاطبهم قائلا :

لا ذنب إلا علي . انا الذي عققت والدي ، وجلبت الأعداء على المملكة ، لكن الله اخذني بجزائي . وأنزل النقمة كلها على رأسي ، وها انا ذا الآن قبلت بهذه المعاهدة لأجلكم يا قومي ضناً بدمكم ان يراق ، وباطفالكم ان يموتوا جوعا ونسائكم وذراريكم ان ينزل فيهن معرات الحرب ، وحفظا لأموالكم واملاككم ، وحريتكم وشريعتكم وديانتكم ، في ظل ملوك إسعد طالعا من ابي عبد الله المشؤوم (٢) .

وفي اليوم الثاني سلم ابو عبد الله مفاتيح غرناطة الى الملكين في محرم عام ٨٩٧ هـ قائلا :

هذه المفاتيح هي آخر ما بقي من سلطان العرب في اسبانيا ، خذها ، فقد اصبح لك ملكنا ومتاعنا واشخاصنا ، كما قضت مشيئة الله تعالى . فتقبلها بالرأفة التي وعدت بها ، والتي ننتظرها منك .

(١) المصدر السابق ٣٣١

(٢) المصدر نفسه ٣٣٩

وحين اراد ان يودع المدينة بالزفرات والدموع نادته امه لا مواسية له بل، لتقول له :

أجل ، عليك ان تبكي بكاء النساء على ما عجزت ان تدافع عنه دفاع الرجال، ثم انشدت :

ابك مثل النساء ملكا مضاعاً   لم تحافظ عليه مثل الرجال

وهكذا تهاوى آخر معقل عربي في بلاد الأندلس، بعد ان حكمها العرب ما يقارب ثمانية قرون من سنة ٩٢ هـ الى ٨٩٨ هـ تركوا فيها مجداً أثيلا وحضارة وارفة وعلما غزيرا ، يشهد لهم بأنهم أرحم وأوفى وأخلص فاتح عرفته الدنيا .

٣ ـ المجتمع الاندلسي

أ ـ الشخصية الاندلسية

مرت الشخصية الأندلسية بأدوار تاريخية عديدة كما أشرنا سابقا ، وانتشر أبناء الأندلس في ربوع شاسعة من الأرضين ، مابين السهول والجبال والبحار والصحارى ، وحاول كثير من المؤرخين القدامى إجمال الصفات الغالبة على ابناء الاندلس والتي يمكن أن تجمع بين ابناء تلك الديار في اغلب ألازمان واوسع بقعة هي أرض الاندلس ، من ذلك وصف ابن غالب للرجل الاندلسي : بانه رجل مهتم بلباسه وهندامه وطعامه ، محب للهو والغناء والموسيقى ، حسن التدبير ، محب للعلوم والفلسفة والعدالة . ويضيف هذا المؤلف الاندلسي في رسالته « فرحة الانفس » التي احتفظ المقري بمقتطفات كثيرة منها في كتابه (نفح الطيب) مؤكداً بان الشخصية الاندلسية قد تميّزت بخير ما عند الشعوب الاخرى فقال :

اهـــل الاندلس عرب في الانساب والعزة والانفة وعلو الهمم وفصاحة الالسن وطيب النفوس وإباء الضيم وقلة احتمال الذل ، والسماحة بما في ايديهم ، والنزاهة عن الخضوع واتيان الدنية ، هنديون

في إفراط عنايتهم بالعلوم وحبهم فيها وضبطهم لهـا وروايتهم ، بغداديون في نظافتهم وظرفهم ورقة اخلاقهم ونباهتهم وذكائهم وحسن نظرهم وجودة قرائحهم ولطافة اذهانهم ، وحدّة افكارهم ونفوذ خواطرهم ، يونانيون في استنباطهم للمياه ومعاناتهم لضروب الغراسات واختيارهم لأجناس الفواكه وتدبيرهم لتركيب الشجر وتحسينهم للبساتين بأنواع الخضر وصنوف الزهر ، فهم احكم الناس لاسباب الفلاحة (١) .

ويقول ابن حزم في وصفهم : ان اهل الاندلس صينيون في إتقان الصنائع العملية واحكام المهن الصورية ، تركيون في معاناة الحروب ومعالجات آلتها والنظر في مهماتها (٢) .

ومهما أكثر الواصفون في تعداد هذه السمات لا يمكن ان ترسم الصورة الواضحة المعالم للشخصية الاندلسية ، الا انها قد تنير السبيل امام الباحثين وهم يسبرون غور تلك الشخصية العربية الاصيلة .

وعلى العموم يمكن ان نلمس سمات عامة يتميز بها أبناء الاندلس

---

(١) نفح الطيب ١٥٠/٣

(٢) نفح الطيب ١٥٠/٣ ـ ١٥١

في معظم عصورهم التاريخية ، وفي أغلب بقاع الأندلس ، نجملها فيما يأتي :

١ ـ التعلق بالشرق العربي والحنين الى أرض الاباء والاجداد :

لقـــد احب الاندلسيون المشرق ، وحنوا الى ديار العروبة حنين ود وصلة قربى ووحدة هدف وتاريخ مشترك ، فظلت قلوبهم تهفو الى تلك البقاع ، وابصارهم ترنو الى موطن الآباء والاجداد ، فلا رفاهية العيش تنسيهم إياها ، ولا طمأنينة الحياة الجديدة تجعلهم يسلونها .

فهذا عبد الرحمن الداخل ما إن يقع بصره على نخلة وحيدة في حديقة قصره حتى تلتهب جذوة الشوق في صدره ، وتتدافع أشجان الفراق في قلبه ، فينظمها كلمات رقيقة تعبر عن اللهفة والحنين، فيقول مخاطبا تلك النخلة :

تبدّت لنا وسط الرصافة نخلة
تناءت بأرض الغرب عن بلد النخل
فقلت : شبيهي في التغرب والنوى
وطول التنائي عن بنيّ وعن اهلي
نشأتِ بأرض أنتِ فيها غريبة
فمثلك في الإقصاء والمنتأى مثلي

سقتك غوادي المزن في المتنأى الذي

يسح ويستمري السماكين بالوبل(1)

ويفر ابن عمه الامير عبد الملك بن عمر بن مروان بن الحكم من الشام خوفا من العباسيين ، ويوليه عبد الرحمن على اشبيلية ، فيرى نخلة وحيدة في احدى حدائقها ، فتثير اشجانه ، وتحرك حنينه الى أهله ووطنه فيقول :

يا نخل انت فريدة مثلي — في الارض نائية عن الاهل

تبكي ، وهل تبكي مكمثمة — عجماء لم تجبل على جبلي

ولو انها عقلت اذاً لبكت — ماء الفرات ومنبت النخل

لكنها حرمت وأخرجني — بغضي بني العباس عن أهلي(2)

ولم يكن الحنين معتملا في صدور من فارق المشرق واستوطن الاندلس فحسب ، بل شمل حتى من ولد ونشأ في ديار الاندلس ، فالمشرق كعبتهم التى يحجون اليها ، ونور العين الذي يكتحلون بترابه ، فهذا ابن حزم من شعراء الاندلس في القرن الخامس يقول متشوقا الى العراق التى كلف بها واحبها من كل قلبه :

(1) البيان المغرب ٢/٦٠ ونفح الطيب ٣/٥٤

(2) المقري ٣/٦٠

ولي نحو اكناف العراق صبابة

ولا غرو أن يستوحش الكلف الصب

ولكن لي في يوسف خير اسوة

وليس على من بالنبي ائتسى ذنب (١)

وحرص عبد الرحمن الداخل على ان يجعل من قرطبة صورة اخرى لدمشق في مبانيها وحدائقها ونافورات مياهها وازهارها ، حتى انه كان يرسل رسلاً الى الشام لجلب اشجار الفاكهة الشامية الى قرطبة فقد ارسل رجلاً اردنيا اسمه « سفر بن عبيد الكلاعي » الى الشام فجلب الى قرطبة اشجاراً مشرقية ، وحين اثمرت نسب بعض ثمارها الى اسمه فقيل (التين السفرى) و (الرمان السفرى) ولا يزال هذا الرمان معروفاً في اسبانيا الى هذه الايام (٢) .

وبنى قصر الرصافة غرب قرطبة محاكاة لقصر جده هشام بن عبد الملك قرب دمشق ، وقصر الدمشق .

ومن دلائل عشق الاندلسيين للمشرق انهم لقبوا نابغي شعرائهم باسماء نابغي شعراء المشرق ، فلقبوا الرصافي بابن الرومي الاندلسي ومروان بن عبد الرحمن بابن المعتز الاندلسي وابن خفاجة بالصنوبري الاندلسي ، وابن زيدون بالبحتري الاندلسي وابن دراج القسطلي وابا

---

(١) سير النبلاء ٤٧ .

(٢) نفح الطيب ٢/١٥ .

طالب عبد الجبار الشقري بالمتنبي الاندلسي وحمدة بنت زياد بالخنساء الاندلسية وحسام بن ضرار بعنترة الاندلسي وابا بكر المخزومي ببشار ومحمد بن سعيد الزجالي بالاصمعي ومؤمن بن سعيد بن ابراهيم بدعبل الاندلسي وهكذا .

وفي بعض مدنهم حاكوا اسماء المدن المشرقية فسموا اشبيلية بحمص الاندلس . وحاولوا ترجمة هذا الحب والاعجاب في عاداتهم وتقاليدهم وحياتهم اليومية ، فما ان وصل زرياب المغني البغدادي المعروف في سنة ٢٠٧ هـ حتى استقبله امير قرطبة عبد الرحمن الاوسط ابن الحكم مرحبا بقدومه ، وانزله في دار من احسن الدور وحمل اليها ما يحتاج اليه وخلع عليه ، ورتب له ولاولاده مرتبات كبيرة فكتب له في كل شهر بمائتي دينار راتباً ولاولاده الاربعة بثمانين ديناراً ، واجرى عليه ثلاثة الاف دينار سنوياً ، وأقطعه طعاما ودوراً ومستغلات بقرطبة ما يقوّم باربعين الف دينار، كما خصص له حرسا خاصا من الفرسان يصحبه في تنقلاته . (١)

وكان زرياب رسول حضارة المشرق الى الاندلس فحمل معه فيضا من الانغام المشرقية ... فاصبحت هذه الاغاني الاصل النغمي للموسيقى الاسبانية .

وكان زرياب ينشد هذه الاغاني على عوده الخاص الذي كان

---

(١) انظر نفح الطيب ١٢٠/٤

يضرب به بمضراب من ريش الطيور ، بعد ان زاد فيه وترآ خامسا وكانت الاوتار أربعة قبله . (١) فأورث الاندلس من صناعة الغناء ما تناقلوه الى ازمان الطوائف ، وطما منها في اشبيلية بحر زاخر ، وتناقل منها بعد ذهاب غضارتها الى بلاد العدوة بافريقية والمغرب . (٢)

وكان لهذا الفنان تأثير مزدوج في نقل الحضارة المشرقية التي فتن بها الاندلسيون ، فالى جانب النواحي الفنية كان له تأثير كبير في العادات والحياة الاجتماعية فاشاع في الاندلس أنماطا من الحيـــاة الجديدة التي كان يحياها في بغداد عاصمة المشرق العربي .

وتصف لنا المراجع المعاصرة تأثير زرياب في الحياة الاندلســية ، فهو الذي علـّم الاندلسيين طريقة الطهي العراقي ، وضرورة الترتيب في تقديم الاطعمة بدلا من وضعها دفعة . واســتعمال الاواني الزجاجية بدلا من الاواني الفضية والذهبية . كذلك علمهم طريقة تصفيف الشعر ورفعه خلف الاذان بدلا من تركه مسدولا على جباههم واعينهم ، كما اشار عليهم بلبس الملابس في اوقاتها من حيث اللون او الخفة والثقل (٣) ولذلـك لقبه الاندلسيون بـ (معلم النــــاس المروءة) لما علمهم من اللطف والرقة وإرهف الذوق ، واتخذه ملوك

(١) الشعر الاندلسي . غارسيا ٣٣ .

(٢) مقدمة ابن خلدون ٣ /١١٠٥

(٣) المقرى ١٢٣/٣ وانظر في التاريخ العباسي والاندلسي ٣٤٢

الاندلس وخواصهم قدوة فيما سنّه لهم من آدابه ، واستحسنه من اطعمته ، فصار الى آخر أيام اهل الاندلس منسوبا اليه ، معلوما به (١) .

٢ ـ التسامح :

عاش المجتمع الاندلسي حياة تختلف عن حيـــاة المجتمعات الاسلامية الاخرى لقربه من ديار المسيحية ، واختلاط الاجناس المختلفة داخل مجتمعه ، فقد عاش فيـه المسلم الى جانب المسيحي الى جانب اليهودي وكان المسلمون من أجناس مختلفة ايضا .

ونجم عن اختلاط هذه الاجناس بعضها ببعض ، وبمجاورة الديانات بعضها لبعض جو سمح انساني شفّاف تختلط فيه اصوات المـــآذن برنين الاجراس . وقد بقيت نسبة ضخمة من الرعايا المسيحين تشكل في المدن الاندلسية وحدات مزدهرة ؛ لها كنائسها وأديرتها ورئيسها المسؤول ، وجابيها الخاص ، وقاضيها الذي كان يطبق في محكمته تحت اشراف الادارة العربية القانون القوطي القديم . وكان الحكام العرب يقرون بصورة دائمة تقريبا اختيار اصحاب الرتب الكهنوتية مطران طليطلة ، واسقف قرطبة ، حتى انهم كانوا يستعملون هؤلاء الأحبار

---

(١) المقرى ١٢٣/٤ وانظر الموسيقى الاندلسية ٣٥

في سفارات او مهمات سرية في الوقت المناسب (١) .

وكان للمسيحيين حظ وافر في مناصب الدولة ، ومكانة رفيعة في مجتمع الاندلس المتسامح ، ولم يكن اختلافهم الديني مع دين الدولة عائقا لتقريبهم او توليهم مناصب الدولة . فقد تولى (ارطباس) منصب اول قومس اندلسي في عهد عبد الرحمن الداخل (٢) . وتولى (ششنند) الوزارة في اشبيلية للمعتضد (٣) .

وكثيراً ما تولى قاضي نصارى قرطبة (وليد بن حيزون) منصب الترجمة بين الخليفة المستنصر ومن يفد اليه من الاسبان (٤) .

وبرز كثير منهم في ميادين العلم والادب كابي عامر بن غرسيّه الذي عاش في بلاط ملك دانية (مجاهد) ، والشاعر (ابن المرعز الاشبيلي) من مداح المعتمد بن عباد والمقربين اليه (٥)

ولم يمنع الاختلاف في الدين من تكوين علاقات زوجية بين

---

(١) حضارة العرب ٦٨
(٢) تاريخ افتتاح الاندلس ـ ابن القوطيه ٣٨
(٣) الذخيرة ق٩ م١ ص١٢٩ نقلا عن الشعر في ظل بني عباد ٤٩
(٤) نفح الطيب ٣٦٧/١ .
(٥) انظر المغرب ٢٦٤/١ و ٤٠٦/٢

المسلمين والمسيحيات حتى خلال القرن الذي يلي الفتح مباشرة ، اذ شهد هذا القرن زواج (أيله) أرملة لذريق من عبد العزيز بن موسى بن نصير قائد الفتح العربي (١) . وشهد زواج (لامبيجي) ابنة الدوق (اوديس الاكوتاني) من رئيس مسيرة البيرنية المسلم . وقد تزوج كثير من الامراء والخلفاء من الاسبانيات امثال الحكم المستنصر بالله (ت ٣٦٦ هـ) ، والحاجب المنصور (٢) (ت ٣٩٢ هـ) .

وشمل هذا التسامح الجالية اليهودية التى كانت تسكن الاندلس ايضا فتولى بعضهم اعلى مناصب الدولة وتسنموا الوزارة فتولى الشاعر الكاتب (حسداي بن يوسف بن حسداي) الوزارة في عصر المستعين من سنة ٤٧٨ الى سنة ٥٥١ هـ (٣) .

وتولى اليهودي (اسماعيل بن نغزالة) الوزارة في غرناطة لباديس ابن حيوس الذي وليها سنة ٤٢٩ هـ ، وولاه الكتابة وسائر اعماله ، ورفعه فوق كل منزلة (٤) .

ومن اليهود الذين تولوا منصب الوزارة ايضا الشاعر ابراهيم بن

---

(١) البيان المغرب ٢/٢٥٣

(٢) المصدر السابق ٣/٣٨

(٣) المغرب ٢/٤٤١ وانظر قلائد العقيان ١٨٣ .

(٤) البيان المغرب ٣/٢٦٤

سهل الاسرائيلي المتوفى سنة (٦٤٩هـ) (١) .

وقد تحدث العالم الانكليزي (جوزيف ماك كيب) عن منزلة اليهود في الاندلس مبينا مدى تسامح الحضارة العربية هناك معهم قال : كان اليهود مدرسين وتلاميذ ومساعدين للمور (يريد به مسلمي الاندلس) وكانوا خزنة وامناء موزعين لذخائر كنوز حكم المور الثمينة ، ومزيتهم العلمية ومقامهم السامي في الاندلس صار مشهورا في جميع انحاء اوربا ، فأخذ اولاد ابراهيم المنكوبون في جميع اقطار اوربا ينسلون من كل حدب . ويأتون من كل فج عميق الى تلك الارض التي تفيض عليهم لبناً ، فصارت لهم امة ضمن امة المور، ومع ذلك لم يكن بين الامتين ادنى تعصب او جفاء .

وكبار تجار اليهود الذين كانوا في البلدان الاخرى يجتهدون في اخفاء ما اكتسبوه بعرق الجبين من المال صاروا يتبوؤن قصوراً كقصور الامراء ، ويعدون في أعلى الطبقات من الوجهة الاجتماعية .وفي الاندلس ارتقى اليهود الى أعلى مناصب الدولة (٢) .

---

(١) نفح الطيب ٦٧/٥

(٢) مدنية العرب في الاندلس ٦٠ .

٣ ـ حب الغناء والموسيقى :

جبل ابناء الاندلس على حب الغناء والموسيقى ، وكان لطبيعة تكوين مجتمعهم من خليط بين العرب وغيرهم ، ورقة عواطفهم ، وجمال بلادهم اثر كبير في اذكاء هذه الخليقة لديهم ، ويؤيد هذا الرأي دوزي في (تاريخ مسلمي اسبانيا) حين يقرران للاختلاط بين العرب وغيرهم بالاندلس اثراً كبيرا في الغناء والادب معا، وقد كانت طبيعة الاقليم الجميلة من دواعي الغناء والطرب واللهو ، وكانت مجالس الغناء معقودة مستمرة ، حيث كانت الجواري يفدن عليها من مختلف الاقطار منذ عهد زرياب موصلي الاندلس وصاحب اليد الطولى في الحركة الغنائية بها .

وحفلت مجالس اكثر امراء الاندلس بالموسيقى والغناء ؛ وربما عرف من بين هؤلاء الامراء من شغف بالموسيقى وأجاد فن الغناء . فقد كان المعتمد بن عبّاد امير اشبيلية (ت ٤٨٨ هـ) يجيد الغناء والضرب على الطنبور ، وبرع ابنه الرشيد في العزف على كثير من

الالات الموسيقية المعروفة في زمانه . وعرف ابو الاصبغ عبد العزيز ابن عبد الرحمن الناصر بالغناء ايضا ، وحين نصحه اخوه المستنصر بترك الغناء ، قال له : والله لا تركته حتى تترك الطيور تغريدها . (١)

وقد ذكر ابو الوليد بن جهور صاحب قرطبة انه تلقى في يوم واحد كتاب من ابن صمادح صاحب المرية يطلب جارية عـوادة وكتاب من ابن عباد يطلب جارية زامرة . (٢) وقد مر بنا احتفالهم بزرياب عند قدومه الى الاندلس .

وعرفت اشبيلية اكثر من غيرها بحب الغناء والموسيقى ، ويكفي ان نذكر المحاورة التالية للتدليل على مكانة اشبيلية في هذا الفن، فقد روى ابو الفضل التيفاشي قال : جرت مناظرة بين يدي ملك المغـرب المنصور يعقوب ، بين الفقيه ابي الوليد بن رشد والرئيس ابي بكـر ابن زهر ، فقال ابن رشد لابن زهر في تفضيل قرطبة : ما ادري ما تقول ، غير انه اذا مات عالم باشبيلية فاريد بيع كتبه حملت الى قرطبة حتى تباع فيها ، وان مات مطرب بقرطبة فاريد بيع الاته حملت الى اشبيلية . (٣)

---

(١) نفح الطيب ١٢٣/٥ .

(٢) البيان المغرب ٢/ ٢٥٠ .

(٣)نفح الطيب ١/ ١٤٧ .

ومما يروى من قصص شغفهم بالموسيقى وايثارهم الغناء ، ان القاضي محمد بن ابي عيسى الليثي كان عند رجل من بني حدير وجارية لبني حدير تغني القوم هذه الابيات :

طابت بطيب لثاتك الاقداح   وزهت بحمرة خدك التفاح

واذا الربيع تنسّمت أرواحه   طابت بطيب نسيمك الارواح

واذا الحنادس ألبست ظلماءها   فضياء وجهك في الدجى مصباح

فكتب القاضي هذه الابيات في يده وخرج يكبِّر للصلاة على جنازة ، والابيات مكتوبة على باطن كفه (١)

ومن أبرز الشخصيات الاندلسية التي عرفت بالغناء والالحان الموسيقية ، فيلسوف الاندلس ، ووزيرها المعروف ابن باجة الغرناطي (ت ٥٣٣ هـ) فقد نهض علم الموسيقى على يديه ، واتم ما بدأه زرياب من قبل ، فعدّ امام الملحنين في عصره . (٢) وكان ذا لون وتلحين شائع في عصره والعصور التي تلته ، فقال عنه ابن خلدون : صاحب التلاحين المعروفة (٣) ووصفه ابن حزم بقوله : واليه تنسب الالحان

---

(١) جذوة المقتبس ص ٧٠

(٢) انظر المغرب ١١٩/٢

(٣) المقدمة ١٤٥٠/٤

المطربة بالأندلس ، التي عليها الاعتماد (١) .

ومنهم عباس بن فرناس (ت ٧٢٣ هـ) الذى وصفوه بانه كان ذا ابداعات لطيفة واختراعات عجيبة ، وضرب بالعود ، وصاغ الالحان الحسنة ، وكان مع ذلك مجيدا للشعر ، حسن التصرف في طريقته كثير المحاسن جم الفوائد (٢) وكما ألف الاصفهاني كتابا في الغناء المشرقي فقد ألف يحيى المرسي كتابا في الغناء الاندلسي سماه (الاغاني الاندلسية) (٣) والف أسلم بن احمد بن سعيد كتابا في (اغاني زرياب) (٤)

٤ ـ الرغبة في العلم :

عرف الاندلسيون باقبالهم الشديد على العلم ، وشغفهم الكبير في التعلم من اجل العلم ذاته . فتبوأ العلماء مكانة رفيعة في المجتمع الاندلسي ، وعجّت المساجد بطالبي العلم الذين كانوا يجدون التشجيع الكبير من لدن الحكام الذين رصدوا لهم مرتبات ليتفرغوا لطلب العلم وعدم الانشغال عنه بشيء سواه ، هذا ما كان في المدن الكبيرة

---

(١) نفح الطيب ٤/١٧٦

(٢) انظر دولة الاسلام في الاندلس ١/٢٤٩

(٣) نفح الطيب ٤/ ١٧٦

(٤) جذوة المقتبس ١٣٧

أما في القرى فكان في كل قرية مدارس كافية لحاجة اهلها ، وكان التعليم فيها قائماً على افضل التسهيلات وانفعها . كل الاطفال الذين قعد بهم العدم عن التعلم كانت الحكومة تعتني بهم ، وتؤسس لهم مدارس مجانية على نفقتها ، فلم تكن هناك قرية وان صغيرة جدا داخل حدود الاندلس قد حرمت من التعلم ، وكان التعليم عاما يتمتع به حتى اولاد ابسط الفلاحين .

وكان يتعذر ان يوجد فلاح اندلسي لايعرف القراءة والكتابة في حين كان ملوك بقية اوربا لايقدرون ان يكتبوا اسماءهم في توقيعاتهم (١) .

وكان ديدن الاندلسيين تعليم ابنائهم منذ نعومة اظفارهم حتى اذا شبوا اتقنوا طرفا من علوم الدين والعربية ، وتفتحت امامهم آفاق المعرفة . وقد اوجز ابن خلدون طريقتهم حين عقد فصلا ا (تعليم الاولاد واختلاف مذاهب الامصار الاسلامية في طرقه) قال : واما اهل الاندلس فمذهبهم تعليم القرآن والكتاب من حيث هو ، وهذا هو الذي يراعونه في التعليم ، الا انه لما كان القرآن اصل ذلك وأسه ، ومنبع الدين والعلوم جعلوه اصلا في التعليم فلا يقتصرون لذلك عليه فقط بل يخلطون في تعليمهم للولدان رواية الشعر في الغالب والترسل ، واخذهم بقوانين العربية وحفظها ، وتجويد الخط والكتاب ، ولا تختفي عنايتهم في التعليم بالقران دون هذه ،

(١) مدنية العرب في الاندلس ٤٦ .

بل عنايتهم فيه بالخط اكثر من جميعها ، الى ان يخرج الولد من عُمر البلوغ الى الشبيبة وقد شدا بعض الشيء في العربية والشعر والبصر بهما ، وبرز في الخط والكتاب ، وتعلق باذيال العلم على الجملة (١)

وقد نمّى هذه الرغبة في العلم توفر الكتب بين أيدي النـاس وجلبها من انحاء الدنيا كافة ، وتشجيع الحكام على إغناء المكتبات بها ، فالخليفة الحكم المستنصر جمع من الكتب ما لايحد ولايوصف كثرة ونفاسة ،حتى قيل انها اربعمائة الف مجلد ، وانهم لما نقلوها اقاموا ستة اشهر في نقلها ... وكان يستجلب المصنفات من جلّ الاقاليم والنواحي ، باذلا فيها ما أمكن من الاموال ، حتى ضاقت عنها خزائنه وكان ذا غرام بها ، قد آثر ذلك على لذات الملوك (٢) وكان اقتناء الكتب شارة من شارات الرياسة والشرف حتى عـند الجهال (٣) . وكان الرئيس من الاندلسيين الذي لا تكون عنده معرفة يحتفل في ان تكون في بيته خزانة كتب وبلغ عـدد مكتبات الاندلس العامة عددا كبيرا جدا ، ففي غرناطة وحدها كانت سبعين مكتبة عامة .

والامير عبد الرحمن الثاني (٢٠٦ — ٢٣٨ هـ) قد أوفد قبل

---

(١) المقدمة ١٢٤٠/٤

(٢) نفح الطيب ٣٩٥/١

(٣) نفح الطيب ١١/١ .

تَوليه الحكم عالما من قرطبة هو عباس بن ناصح الى العراق متوخيا الآثار العلمية المنقولة الى العرب عن اليونان واستنساخها له (١) .
وكانت الرحلة الى المشرق في طلب العلم ولقاء الشيوخ والعلماء من ابرز المعالم الثقافية الاندلسية ، فكان ابناء الاندلس وعلماؤه اكثر الناس رحلة الى المشرق يأخذون عن شيوخه ، ويلتقون باعلام المشرق ثم يعودون الى ديارهم ينشرون العلم الذي حصلوه والأدب الذي نقلوه ، ومن أشهر هؤلاء الاندلسيين الذين رحلوا الى المشرق طلبا للعلم والأدب : الامام العلامة ابو القاسم الشاطبي والفقيه ابوعبد الرحمن بقي بن مخلد والرحالة ابن جبير والحافظ ابن الفرضي والاديب المتكلم الباجي والمؤرخ الحميدي والعلامة ابن خلدون . ومنهم من رحل الى المشرق لينشر ما توصل اليه من ابتكار في العلم الذي اختص به كابن مالك صاحب الألفية ، ومحي الدين ابن العربي شيخ المتصوفة ، وابن البيطار المالقي العالم النباتي ، والطبيب المشهور الذي تتلمذ عليه ابن ابي اصيبعة ، وابن سعيد الاندلسي الأديب المعروف وصاحب « المغرب في حلى المغرب » .
ومن طريف ما يروى في هذا المقام ما حدث عبد الوهاب ابن الشاعر المعروف عباس بن ناصح الجزيري قال : كان ابي لا يقدم قادم الا كشف عمن نجم في الشعر بعد ابن هرمة ، حتى أتاه رجل من التجار فأعلمه

(١) مدنية العرب في الأندلس ص ٤٣ وانظر المغرب ٤٥/١

بظهور الحسن بن هاني ، وارتحاله من البصرة الى بغداد ، والمحل الذي حله من الأمين وبني برمك ، فأتاه من شعره بقصيدتين احداهما قوله :

جريت مع الصبا طلق الجموح   وهان عليّ مأثور القبيح

والثانية :

اما ترى الشمس حلت الحملا   وقام وجه الزمان واعتدلا

فقال ابي : هذا أشعر الجن والانس ، والله لا حبسني عنه حابس. فتجهز الى المشرق .

قال : فأخبرني ، قال : لما حللت بغداد ونزلت منزلة المسافرين ثم كشفت عن منازل الحسن فأرشدت اليه ، فاذا بقصر على بابه حفدة وخدام ، فدخلت مع الداخلين ، فوجدت الحسن جالسا في مقعد نبيل وحوله اكثر متأدبي بغداد ، يجري بينهم المثل والتمثيل والكلام في المعاني ، فسلمت وجلست حيث انتهى بي المجلس ، وانا في هيئة السفر ، فلما كاد المجلس ينقضي قال لي : من الرجل ؟ قلت: باغي أدب ، قال : أهلاو سهلا . من اين تكون ؟ قلت : من المغرب الاقصى ، وانتسبت له الى قرطبة ، فقال لي : دار القوم؟ قلت : نعم . قال لي : أتروي من شعر ابي المخشي شيئاً الذي قاله عندكم ؟ قلت:

نعم . قال : فأنشدني . فأنشدته في العمى . فلما بلغت :

كنت أباً للدرى إلا الدّرا ما فقأت عينيّ إلا الدنا

قال : هذا الذي طلبته الشعراء فأضلته ، ثم قال : انشدني لأبي الاجرب ، فأنشدته ، ثم قال : انشدني لبكر الكناني ، فأنشدته . قال : شاعر البلد اليوم عباس بن ناصح ؟ قلت : نعم . قال : فأنشدني له ؛ فأنشدته :

فأدت القريض ومن ذا فأد

قال لي : انت عباس ؟ قلت : نعم ، فنهض إليّ فتلقيته فاعتنقني الى نفسه وانحرف لي عن مجلسه ، فقال له من حضر مجلسه : من اين عرفته — اصلحك الله — في قسيم بيت ؟ قال : اني تأملته عند انشاده لغيره ، فرأيته لا يبالي ما حدث في الشعر من استحسان او استقباح ، فلما أنشدني لنفسه استبنت عليه وجمةً ، فقلت : انه صاحب الشعر . قال عباس : ثم اتممت الشعر . فقال : هذا شعر الغرب ، ثم نقلني الى نفسه فكنت في ضيافته عاما (١) .

وبالمقابل رحل كثيرون من علماء المشرق الى الاندلس وهم يحملون اليها ضروب العلم والفن والادب ، وقد خصص ابن بسام

(١) طبقات النحويين واللغويين ٢٦٢

فصلا خاصا بالملمّين بالاندلس والطارئين عليها في كتابه « الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة » (١) . هو (القسم الرابع) قال : أفردته لمن طرأ على هذه الجزيرة في المدة المؤرخة من اديب شاعر ، وأوى الى ظلها من كاتب ماهر ، واتسع فيها مجاله . وذكر المقري منهم عددا كبيرا ايضا (٢) .

ومن ابرز هؤلاء الوافدين على الاندلس من المشارقة ممن كان لهم دور بارز في حياة الاندلس الفنية والثقافية والادبية المغني زرياب ، والاديب ابو علي القالي ، والمؤرخ الرازي والشاعر زريق البغدادي وصاعد البغدادي والعالم الرياضي ابراهيم بن احمد ابو اليسر الشيباني البغدادي .

واذا لم يتيسر استقدام مثل هؤلاء الاعلام الكبار كان يحرص الخلفاء والامراء على الانتفاع من مصنفاتهم قبل اذاعتها في المشرق ، وتروي الأخبار ان الخليفة المستنصر الحكم بن عبد الرحمن الناصر ارسل الف دينار ذهب الى ابي الفرج الاصفهاني ليبعث اليه نسخة من كتابه (الاغاني) قبل ان يظهر بالمشرق فأرسل اليه منه نسخة منقحة قبل ان يظهر الكتاب لاهل العراق ، او يستنسخه احد

(١) ابن بسام ق١م١/١٨

(٢) نفح الطيب ٣/٥ ـ ٤٨١

منهم (١) . وفعل مثل ذلك مع القاضي ابي بكر الابهري في شرحه لمختصر ابن عبد الحكم (٢) وكان له ورّاقون بأقطار البلاد ينتخبون له غرائب التواليف ، ورجال يوجههم الى الآفاق عنها (٣) .

٥ ـ فتنتهم بطبيعة بلادهم الجميلة :

لقد حبت الطبيعة بلاد الاندلس جمالاً رائعا خلابا ، جعل ابناءها يفتنون بها ، ويتغنون بأمجادها ، فارتسمت صورها الجميلة في خيال شعرائها وادبائها ، واستثارت مشاعرهم ، وحركت عواطفهم وكان لها ابلغ الأثر في اخلاقهم وعاداتهم ، فهتف شعراؤهم لهذا الجمال ، وغرّدوا بتلك المفاتن والمحاسن ، فهي المصدر الذي يلهمهم ، والينبوع الذي يمدهم بفيض زاخر من أغاني الطبيعة ، ومن هنا عرفت ألوان متعددة من شعر الطبيعة في الاندلس ، مثل الروضيات والزهريات والثمريات والثلجيات والمائيات (٤) .

وهذه المفاتن هي التي جعلت شاعر الطبيعة الفذ ابن خفاجة

---

(١) نفح الطيب ٣٨٦/١

(٢) الحلة السيراء ٢٠١/١

(٣) المصدر نفسه ٢٠٢/١

(٤) انظر الادب الاندلسي للدكتور الشكعة ٢٥٧ ـ ٣٢٩

يقول :

يا أهل أندلس لله دركم ماء وظل وأنهار وأشجار
ماجنة الخلد إلا في دياركم ولوتخيرت هذا كنت أختار
لاتختشوا بعد ذا ان تدخلوا سقراً
فليس تدخل بعد الجنة النار (١)

وأسرت تلك الطبيعة قلوب ابنائها ، فشغفوا بها ، وهاموا في حبها فنطقوا مستمتعين بمفاتنها ؛ ولنمضي مع ابن خفاجة نتلمس ما ترسم ريشة فنه من جمال وفتنة حيث يقول :

ان للجنة في الاندلس مجتلى حسن وريّا نفس
فسنا صبحتها من شنب ودجى ظلمتها من لعس
فاذا ماهبّت الريح صبا صحت واشوقي الى الاندلس (٢)

ويهتف ابن شرف القيرواني من أعماقه مغنياً بجمال هذه الاندلس، فهي الجنة التي وجدوهـــا على الأرض ، وكل طريق اليهـــا نور وضياء (٣) :

(١) الديوان ص ٧٢
(٢) الديوان ص ٣٣
السنا: الضوء الساطع .الشنب: البياض. اللعس :لون السمرة في شفتي المرأة
(٣) نفح الطيب ١/١٤٤ .

رياض غلائلها سندس توشّت معاطفها بالزهر
مدامعها فوق خط الربا لها نظرة فتنت من نظر
وكل مكان بها جنة وكل طريق اليها سفر(١)

ويصفها ابن سفر المريني مختارا لها أحسن النعوت واجمل الصفات فيقول من قصيدة طريفة (٢) :

في أرض أندلس تلتذ نعماء ولا يفارق فيها القلب سرّاء
وليس في غيرها بالعيش منتفع ولا تقوم بحق الأنس صهباء
وكيف لا يبهج الأبصار رؤيتها وكل روض بها في الوشي صنعاء
أنهارها فضة ، والمسك تربتها والخز روضتها والدر حصباء
وللهواء بهـا لطف يرق به من لا يرق ، وتبدو منه أهواء
ليس النسيم الذي يهفو بها سحراً ولا انتثار لآلي الطل أنداء
وإنما أرج الندّ استثار بها في ماء ورد فطابت منه أرجاء
وأين يبلغ منها ما أصنّفه وكيف يحوي الذي حازته إحصاء
قد ميّزت من جهات الارض حين بدت فريدة وتولّى ميّزها الماء
دارت عليها نطاقاً أبحر خفقت وجداً بها اذ تبدت وهي حسناء

(١) سفر : مضيء
(٢) نفح الطيب ١٩٤/١

وفيهم من لا يكون عنده الا ما يقوته يومه ، فيطويه صائماء ويبتاع صابونا يغسل به ثيابه ، ولا يظهر فيها ساعة على حالة تنبو العين عنها (١)، ومما ذكر ابن حيان ان عدد حمامات قرطبة في عهد ابي عامر فقط بلغ تسعمائة حمام (٢) .

٧ ـ تحرير المرأة ومكانتها المرموقة :

لقد أتاحت الحضارة الاسلامية في الاندلس للمرأة مكانة اجتماعية ممتازة ، فأسهمت اسهاما كبيرا في ازدهار العلوم والفنون والاداب في وقت كانت اوروبا منشغلة فيه بالجدال حول آدمية المرأة ومكانتها في البشرية ، حيث ذهب فريق كبير منهم الى انها مخلوقة في المرتبة الثانية (٣) في هذا الوقت نالت المرأة في الاندلس منصب الاستاذية ، وتتلمذ على يديها كثير من العلماء مثل اشراق السويدات المتوفاة سنة (٤٤٣ هـ) ، قال عنها ابو داود سليمان بن نجاح : اخذت عنها العروض ، وقرأت عليها النوادر لابي علي القالي والكامل للمبرد (٤)

وتولت (لبنى او لبانة) منصبا لم تعرفه امرأة قبلها ، وهو منصب

---

(١) نفح الطيب ٢٢٣/١

(٢) نفح الطيب ٥٤٠/١

(٣) انظر تاريخ التربية الاسلامية لشلبي ٢٨٠

(٤) التكملة لابن الابار ٧٤٥/٢

سكرتيرة خاصة للخليفة الحكم ، وكانت حاذقة بالكتابة ، نحوية شاعرة ، بصيرة بالحساب مشاركة في العلم ، لم يكن في قصور الامراء انبل منها ، وكانت عروضية خطاطة (١) .

وشاع التعليم بين النساء ، فحفظت بعضهن كثيرا من دواوين شعراء العرب ورويتها ايضا ، وكن يقمن بالكتابة ، وقد روي انه كان بالربض الشرقي من قرطبة مائة وسبعون امرأة ، كلهن يكتبن المصاحف بالخط الكوفي ، هذا في ناحية واحدة من نواحي الكتابة (٢) .

وقد عرفت منهن طبيبات مثل ام الحسن بنت القاضي ابي جعفر الطنجالي وصفها ابن الخطيب بانها كانت امرأة واسعة الاطلاع ، كثيرة المعارف ، اجادت عدة علوم مع الطب ، ولكنها في الطب كانت ابرع واشهر (٣).

ومن المعروفات بالطب في الاندلس اخت الحفيد بن زهر وابنتها (٤).

اما النساء الشاعرات اللواتي ظهرن في الاندلس فهن الكثرة بحيث

---

(١) الصلة ٦٥٣/٢ وتاريخ التربية ٣٠١ .

(٢) المعجب ٣٧٢ .

(٣) الاحاطة ٤٣٠/١ .

(٤) ابن ابي اصيبعة ٧٠/٢ .

يمكن ان نؤكد ان عددهن قد فاق عدد اللواتي ظهرن في المشرق . وكان جهدهن في الشعر الاندلسي جهداً أسهم في دفع موكب ذلك الشعر أشواطا نحو الرقي والتقدم ، وقد فصل الحديث عنهن المقري في فصل سماه : الاديبات من اهل الاندلس (١) ويكفي ان تكون الاندلس قد انجبت خنساء المغرب حمدونة بنت زياد ، وشاعرة قرطبة ولادة بنت المستكفي . وقـد شهدت المرأة الاندلسية تحررا كبيرا وكانت تحضر المنتديات والمجتمعات العامة . فعندما وصفت حفلات الفروسية في حكم بني الأحمر مثلا قيل : ان من اهم مميزاتها اختلاط الجنسين فكان نساء غرناطة البارعات في الحسن والاناقة يشهدن هذه الحفلات وغيرها من الحفلات العامة سافرات ، ويسبغن بوجودهن عليها روعة وسحرا . وكن يتمتعن في الواقع بقسط وافر من الحرية الاجتماعية (٢) .

٨ ـ انتشار الشعر :

أحب ابناء الاندلس الشعر ، وتبوأ الشعراء لديهم مكانة مرموقة حتى قيل : اذا كان الشخص بالاندلس نحويا او شاعرا فانه يعظم في

---

(١) نفح الطيب ٥/٢٩٩ ـ ٣١١ وانظر الادب الاندلسي موضوعاته وفنونه ١١٢ ـ ٢٣٦

(٢) عنان ـ نهاية الاندلس ٢٣٢

نفسه لا محالة (١) .

وقلما تخلو ترجمة اي اندلسي من بعض المقطعات او الأبيات منسوبة له . مما يدل على شيوعه على كل لسان وتمكنه من نفس كل اندلسي من الرجال او النساء . ويكفي ان يلقي أحدنا نظرة سريعة على فهارس الذخيرة او البيان المغرب او المقتبس ليجدهـا تموج بالشعراء . وحين وصف ياقوت مدينة شلب الاندلسية قال : قلّ ان ترى من اهلهـا من لا يقول شعرا ولا يعاني ادبا ، ولو مررت بالفلاح خلف فدانه ، وسألته عن الشعر قرض من ساعته ما اقترحت عليه واي معنى طلبت منه (٢) .

ان هذا الرواج — للشعر — قد لا نجده في الشرق الاسلامي فقد كان الشعر في الشرق ، على الغالب ، انتاجا ارستقراطيا ، اما في الاندلس فهوظاهرة وطنية ساعدتها ظروف المحيط السياسية والاجتماعية والطبيعية ، حتى اصبح على فم كل انسان ؛ فهو في نظر العامل والفلاح الاندلسي انشودة تنسيه اتعابه ، وهو فى نظر الوزير والامير هرب من مشاغل السياسة والادارة ، وهو في نظر الشاعر الرسمي او شاعر البلاط سبب للرزق . ويمكننا ان نقول ان الشعر كان في نظر الاندلسي على الاطلاق رمزا للفخر ، وما كان الامير ليجد في ممارسته

---

(١) نفح الطيب ٢٢٢/١

(٢) معجم البلدان ٣١٢/٣

غضاضة او نقصا ، بل على العكس فخارا ومجدا (١) وكثير ما يرى الانسان في المجتمع الاندلسي جماعة من الرجال والنساء في ليالي الصيف في حديقة غناء تعبق روائح رياحينها في ساحات البيوت الجميلة جالسين يتباحثون في الاشعار ، ويتنازعون بلطف في المساجلة في نتاجات افكارهم (٢) .

وفصّل المقري موقف شعب الأندلس من الشعر فقال : والشعر عندهم له حظ عظيم ، وللشعراء من ملوكهم وجاهة ، ولهم عليهم حظ ووظائف (٣) .

---

(١) في الأدب الاندلسي - الركابيّ ٧٨ .

(٢) مدنية العرب في الأندلس ٤٤ .

(٣) نفح الطيب ١/ ٢٠٧

الوظائف : المرتبات

ب ـ عناصر السكان

(١) ـ العرب :

من اكبر العناصر التي تألف منها المجتمع الاندلسي بعد الفتح العربي هم العرب الذين استوطنوا الاندلس واستقروا فيها بعد ان دخلوا اليها فاتحين ومحررين .

وقد دخل العرب الى الاندلس على موجات متتابعة سميت بالطوالع، يضاف اليهم من هاجر اليها من عرب الشام وغيرها إثر انتصار طارق ابن زياد على القوط .

وتعد طالعة موسى بن نصير في رجب (٩٣ هـ) أولى تلك الطوالع ، وقد تألفت من ثمانية عشر ألفاً من وجوه العرب والموالي والبربر ، وكان بين هؤلاء العرب كثير من أبناء قريش ، واستقرت طوائف هذه الطالعة في كل ناحية من الطريق الذي سلكه موسى في أثناء دخوله الى الاندلس .

وتلا هذه الطالعة طالعة الحر بن يوسف الثقفي في ذي الحجة (٩٧ هـ) حيث قدم الى الاندلس واليا ، وبصحبته اربعمائة رجل من وجوه اهل افريقية . ومعظم عرب الطالعة الاولى والثانية كانوا من اليمنيين ، وقد اصطلح عليهم اسم (البلديين) لانهم استقروا في البلد ، وعدوا أنفسهم من أصحاب ذلك البلد . (١)

(١) فتوح افريقيا والاندلس ، لابن عبد الحكم ٩٦ وانظر جذوة المقتبس ص ٥ .

وتاتي بعد هاتين الطالعتين الثالثة ؛ وهي طالعة بلج بن بشر القيسي في سنة (١٢٤ هـ) ومعظمهم من عرب القيسية ، دخلت هذه الطالعة الاندلس إثر استعانة والي الاندلس عبد الملك بن قطن الفهري بهم لاخماد احدى ثورات البربر ، وقد قارب عدد هذه الطالعة عشرة الاف جندي ، الفان من الموالي وثمانية الاف من العرب (١) وقد سمي عرب هذه الطالعة بالشاميين تمييزا لهم عن العرب البلديين الذين سبقوهم في دخول الاندلس ، ثم توالت الوفود العربية الاخرى، يقول المقري : لما استقرت قدم اهل الاسلام بالاندلس وتتامّ فتحها، صرف اهل الشام وغيرهم من العرب هممهم الى الحلول بها ، فنزل بها من جراثيم العرب وساداتهم جماعة اورثوها اعقابهم . (٢)

وهكذا استوطن العرب الاندلس ، وكونوا قاعدة عريضة للعروبة في تلك البلاد ، وظلوا محتفظين بتقسيماتهم القبلية ، فنزلوا في عمائر وقبائل وبطون وافخاذ ، الى ان منع ذلك المنصور بن ابي عامر ، ليقطع التحامهم وتعصبهم في الاعتزاء . (٣) وقد حفظ ابن غالب في رسالته (فرحة الانفس) معلومات ذات قيمة كبيرة عن انساب القبائل العربية التي سكنت الاندلس بعد الفتح وفي عهد الدولة الاموية

(١) ابن القوطية ١٥ .

(٢) نفح الطيب ٢٩٠/١ والعمائر جمع عميرة وهي الحي العظيم .

(٣) نفس المصدر ٢٧٤/١ .

في الاندلس . (١)

واضاف المقري معلومات لا تقل قيمة وتفصيلاً عن رسالة ابن غالب . (٢) ان المنازل التي نزلها العرب في سائر انحاء الاندلس كانت تتميز بانها اخصب مناطق البلاد واطيبها ، فقد نزلوا في مدن السهول .

٢ - البربر :

قدم البربر الى الاندلس مع طلائع الجيش الاسلامي الذي عبر الى الاندلس بقيادة طارق بن زياد ، فقد كان البربر يشكلون نسبة كبيرة من ذلك الجيش . وما ان تحقق النصر لجيش طارق حتى هرع عدد كبير من البربر يعبرون من المغرب الى الاندلس ، طلبا للرزق او الاستقرار النهائي في هذه البلاد الغنية الخصبة التي اصبحت جزءاً من الدولة الاسلامية ، وقد ساعد على تدفق هذه الاعداد الكبيرة منهم قرب بلادهم المغربية من الاندلس ومجاورتها لها .

وقد اعتمد بعض خلفاء بني امية عند تكوين الدولة العربية في الاندلس على العناصر البربرية في جيوشهم التي كونوها ، لما يتمتع به هذا الانسان الجبلي من قوة وشجاعة ، وقد تعرض ابن خلدون(٣) الى

---

(١) نفح الطيب ١/٢٩٠ .

(٢) انظر نفح الطيب ١/٢٩٠ ـ ٢٩٨ .

(٣) ابن خلدون . بولاق ٦/١٠٦ .

ذكر قبائل البربر التي كانت في جيش طارق فذكر انهم ومن جاء بعد الفتح بقليل منهم يرجعون الى قبائل مطغرة ومديونة ومكناسة وهوارة . ومعظم هؤلاء من زناتة .

وذكر ابن حزم اهم القبائل البربرية التي وفدت الى الاندلس (١)

وفضّل البربر النزول في المناطق الجبلية من جنوب الاندلس وغربها لشبهها الكبير بمواطن سكناهم في بلادهم المغربية .

يقول الدكتور حسين مؤنس : ان المسلمين الاول الذين دخلوا البلاد ، عربا وبربرا ، استقروا حيث نزلوا او ساروا ، ولجأ كل فريق منهم الى ما يناسب مزاجه من النواحي : فأما العرب فكانوا يفضلون دائما البسائط و المنخفضات والنواحي الدافئة والقليلة المطر في الجنوب والشرق والغرب وناحية سرقسطة، وأما البربر فكانوا في بلادهم يعيشون في بلاد جبلية عالية ، فألفوا مثل هذه البلاد في الاندلس ، فاستقروا فيها باختيارهم(٢)

وقد لعب البربر دورا هاما في تاريخ الاندلس؛ اذ يرجع اليهم الفضل الاعظم في نشر الاسلام والجهاد في سبيله ، كما انهم اختلطوا باهل البلاد اختلاطا وثيقا ، وكانوا للعرب اعوانا في تغلغل الاسلام في سائر انحاء البلاد ، الامر الذي يجعل الطابع البربري ظاهرة واضحة في جنوب الاندلس حتى الوقت الحاضر .

وكان البربر اسرع اندماجا من العرب في البيئة الجديدة ، فقد حال

(١) جمهرة أنساب العرب ٤٦١ ـــ ٤٦٧ .

(٢) فجر الاندلس ٣٨٨ .

بين العرب وبين الاندماج السريع الكامل لغتهم واعتزازهم بعصبيتهم العربية ، اما البربر فلم يكن هناك ما يحول بينهم وبين الاندماج ، فلا عصبية ولا لغة مكتوبة ، ومع الزمن اصبحت غالبيتهم في جملة العرب الاندلسيين يتكلمون العربيـــة ويتخلقون باخلاق العرب ويتطبعون بطباعهم ، ويتسمون باسمائهم ، جمعت بينهم العقيدة الاسلاميه ووحدتهم الاندلسية الجديدة ، فالجميع أندلسيون ٠

٣ ـ الصقالبة :

كلمة الصقالبة ، ومفردها صقلب (esclave) ، وهي كلمة فرنسية قديمة ، تعني العبد او الرقيق ٠ (١)

وهي التسمية التي أطلقها الجغرافيون العرب على سكان البلاد المختلفة من بلغاريا التي امتدت اراضيها من بحر قزوين الى البحر الادرياتي، ثم تطور هذا المصطلح ليشمل كل الرقيق الذين ينحدرون من اصل اجنبي ، اوربي او اسباني . واكد الرحالة ابن حوقل الذي زار الاندلس في القرن الرابع الهجري ان الصقالبة الذين شاهدهم هناك لم يكونوا منحدرين من شواطىء البحر الاسود فقط ، بل هم ايضا من المقاطعات الاسبانية الشمالية ، وبعد ان يتم جلبهم الى الاندلس كانوا ينخرطون في سلك الجندية ، او يتخـذون لخدمة الحـرم في

(١) الصقالبة في أسبانيا ٨ :

القصر (١) وجاء اغلب الصقالبة وهم اطفال من الجنسين الى الاندلس واسلموا ثم تعلموا اللغة العربية ودربوا على اعمال القصر .

وقد سمّاهم المؤرخون العرب سميات عديدة منها : المجابيب والعلوج والخرس (لعجمتهم) والمماليك (٢) .

وقد اخذ عددهم في الازدياد ، وبلغوا في عهد عبد الرحمن الثالث (٣٧٥٠) صقلبيا ، ثم ازدادوا الى (٦٠٨٦) وارتفع هذا العدد حتى بلغ (١٣٧٥٠) واستطاع فريق منهم ان يتحرر من العبودية ويشغل مكانا لائقا في الحياة الاجتماعية (٣) .

ونبغ كثير منهم في الادب والعلم حتى خصهم احد الصقالبة وهو حبيب الصقلبي بكتاب يعدد فيه فضائلهم ، ويشيد بمناقبهم سماه (كتاب الاستظهار والمغالبة على من انكر فضائل الصقالبة) (٤) وقد عده المستشرق جولد زيهر البداية الادبية الاولى نحو الشعوبية في اسبانيا (٥) .

واستطاع عدد كبير منهم ان يحتل مكانة عالية في المجتمع

---

(١) صورة الأرض القسم الاول ١١٠

(٢) الصقالبة في اسبانيا ٩ .

(٣) في الأدب الاندلسي الركابي ٣٩

(٤) التكملة لابن الابار ٣٢/١

(٥) الصقالبة في اسبانيا ١٧

الاندلسي ، كما استطاع بعضهم تكوين ثروات طائلة وامتلاك اراضي شاسعة ، ومن بين الصقالبة من وصل الى اعلى مناصب الدولة في عصره فكان (الدرّي) الرئيس الأعلى للشرطة (وأفلح) صاحب الخيل (٣١٠-٣١٦ هـ) (وقند) حكم طليطلة سنة ٣٣٦ هـ ، (وتليد) كان يشرف على مكتبة الخليفة الحكم المستنصر الشهيرة ، (ونجدة) قلده عبد الرحمن الناصر قيادة الحملة المتوجهة الى ملك ليون في سنة ٣٢٧هـ . وحين دخلت الاندلس في فترة حكم الطوائف استأثر الصقالبة بشرقي الاندلس وأنشأوا فيه الممالك في طرطوشة والمرية ومرسية ودانية وبلنسية (١) .

والظاهر ان الصقالبة لم يذوبوا في المجتمع الاندلسي ، بل كان لهم كيانهم الخاص الذي جعل فريقا منهم يتعلقون بالشعوبية ويدعون لها، ويمثلهم في تلك النزعة ابن غرسية في رسالته التي كتبها في الطعن على العرب (٢) ولقد لعبوا دورا سيئا في الكيد للامويين ، وأسهموا في المؤامرات التي حيكت ضد كيانهم ودولتهم في الاندلس .

٤ ـ المسالمة والمولّدون :

لقد ميز المؤرخون العرب بين هذين المصطلحين ، فالمسالمة هم كل

---

(١) انظر الصقالبة في إسبانيا ص ١٢و١٧

(٢) انظر نص رسالة ابن غرسية في المصدر السابق ص ٣١-٤٢

من دخل في الاسلام من سكان الاندلس الاسبانيين ، اما المو ّلدون فهم الجيل الذي يلي المسالمة ، ولدوا نتيجة زواج المسلمين الفاتحين بالاسبانيات او نساء الصقالبة ونشئوا على الاسلام .

ومعروف ان ابناء الشعب الاسباني دخلوا الاسلام افراداً وجماعات بعد ان لمسوا سياسة التسامح الحكيمة التي يدعو اليها الاسلام ، والنهج القويم الذي سار عليه الفاتحون العرب بعد الفتح ، وبمرور الايام نبذ اكثر المسيحيين دينهم ، واعتنقوا الاسلام ، منهم الذين كانوا يرجون مكسبا او مصلحة ، واكثرهم اعلنوا ذلك ايمانا واقتناعا بمباديء الدين الجديد .

ولم يتعرض السكان الاصليون الى اي اضطهاد ديني او إكراه عقائدي اذ « لا إكراه في الدين قد تبيّن الرشد من الغيّ » (١) .

وقد كثر عدد المولدين نتيجة اقبال العرب على مصاهرة الاسبان، لان الفاتحين قد تركوا نساءهم في بلادهم ، وصار هؤلاء المولدون يؤلفون ـ ابتداءاً من عهد الامارة الاموية ـ غالبية سكان الاندلس .

وظل هؤلاء المولدون يحتفظون بهذه التسمية الى اواخر القرن الثالث حيث بدأت تتلاشى بعد الاختلاط بين الناس ، والانصهار في الاندلسية الجديدة بلا تمييز . ويُعد عبد العزيز بن موسى اول من تزوج

---

(١) سورة البقرة آية ٢٥٦

باسبانية حين تزوج ارملة لذريق (أيلة) (١) وحذا حذوه كثير من رجال الفتح .

ومن خلفاء الاندلس من كان يجري في عروقه الدم الاسباني من جهة الامهات والجدات ، وكانت جدة عبد الرحمن الناصر الاميرة (انيجا) ابنة فرتون غرسيس ملك بنبلونة ، وقد أسر في ايام الامير محمد ، وحمل الى قرطبة ، وبقى فيها اثنين وعشرين عاما ، ومن هذا النسب كان الناصر كأكثر ملوك بني امية الذين يلقبون في الملاحم الفرنسية بالملوك الشقر، ابيض ازرق العينين (٢) .

• - المستعربون :

يطلق هذا المصطلح على من احتفظ بدينه من مسيحي اسبانيا ويهودها وظل يعيش بين العرب ، ويتكلم بلسانهم العربي ، وقد كفلت الدولة الاسلامية لهؤلاء حرية العقيدة واقامة الشعائر الدينية وسمى هؤلاء بـ (اهل الذمة) لان المسلمين ادخلوهم في ذمتهم مقابل ادائهم الجزية على وفق ما تقتضي به تعاليم الشريعة .

وقد عاش معظم هؤلاء المستعربين في أحياء خاصة بهم ، وحاولوا التجمع في مدن معينة مثل قرطبة واشبيلية وطليطلة التي كانت ابرز

---

(١) البيان المغرب ٢/٢٣

(٢) وصف جزيرة الاندلس ٦٢

مدنهم لانها عاصمة القوط القديمة ، ولكن هذا التجمع لا يغني انهم بعيدين عن مخالطة السكان الاخرين .

وكان للمستعربين رئيس في كل مدينة يدعى (القومس) ينتخبونه بأنفسهم ، وقومس الأندلس هو القومس الاعلى ، وقد أوجد هذا المنصب الامير عبد الرحمن بن معاوية (١) . وعرف تاريخ العلم والادب والقضاء في الاندلس عددا كبيرا من هؤلاء المستعربين، امثال العلماء ابن شبرمة (٢) واحمد بن سليمان القوطي (٣) ، ونصر بن ابي الشمول (٤) والطبيب ابن فرتون (٥)، والقضاة مهدي بن مسلم (٦) وابي المطرف بن قورتش (٧) وابي عمر ابن الحصار (٨) .

وخير وثيقة تبين المعاملة الكريمة التى عامل بها الفاتحون من أهل

---

(١) تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس ١٣٠ .

(٢) تاريخ علماء الاندلس ١ / ٣١٢

(٣) نفس المصدر ١/٥٧

(٤) جمهرة انساب العرب ٥٦

(٥) التكملة ١/١٢١

(٦) نفس المصدر ١٢١/٢ .

(٧) تاريخ علماء الاندلس ٢٦٦/١

(٨) الصلة ٣٢٦

الذمة من سكان اسبانيا كتاب عبد العزيز بن موسى بن نصير الى تدمير صاحب اوريولة في رجب سنة ٩٤ هـ جاء فيه ما يلي :

بسم الله الرحمن الرحيم - كتاب من عبدالعزيز بن موسى بن نصير لتدمير بن عبدوش ، انه نزل على الصلح ، وان له عهد الله وذمة نبيه - صلى الله عليه وسلم - الا يقدم له ولا احد من اصحابه ، ولا يؤخر ولا ينزع عن ملكه ، وانهم لا يقتلون ولا يسلبون ، ولا يفرق بينهم وبين أولادهم ولا نسائهم ، ولا يكرهون على دينهم ، ولا تحرق كنائسهم ، ولا ينزع عن كنائسه ما يعبد ، وذلك ما ادى الذي اشترطنا عليه ، وانه صالح على سبع مدائن :

أوريولة وبلنتة ولقنت ومولة ولورقة وبقسرة وأله ، لايأوى لنا آبقاً ، ولا يأوى لنا عدوا ، ولا يخيف لنا آمنا ، ولا يكتم خبر عدو علمه ، وان عليه وعلى اصحابه ديناراً كل سنة ، وأربعة أمداد قمح ، وأربعة امداد شعير ، واربعة اقساط خل ، وقسطي عسل ، وقسطي زيت ، وعلى العبد نصف ذلك . وكتب في رجب سنة ٩٤ من الهجرة (١) .

وقد بقيت الكنائس والاسقفيات المسيحية فلم يخرب المسلمون شيئاً منها ، لانهم رسل خير ومحبة لم يخربوا في تاريخهم السابق كنيسة واحدة في الشام او مصر اللتين فتحتا قبل الاندلس .

---

(١) صفة جزيرة الاندلس ص ٦٢ ، وبغية الملتمس ٢٥٩ .

وربما كان اهم تغيير في النظام العام للنصرانية في الاندلس هو انتقال مركز الثقل من طليطلة الى قرطبة ، لم ينقل المسلمون كرسي المطرانية الكبرى من طليطلة الى قرطبة ، بل تركوه كما كان مراعاة لمشاعر النصارى ، ثم حرصوا على ان يكون المطران قريباً منهم في العاصمة ... وربما يكون رجال الدين انفسهم هم الذين حرصوا على ان يكونوا على مقربة من الامراء والخلفاء (١) .

(١) فجر الاندلس ٤٩٥



الأَدَبُ الأَنْدَلُسِيّ

١ - عصر الولاة

٢ - عصر الامارة

٤ - عصر الخلافه



عصر الولاة

٩٢ هـ - ١٣٢ هـ

سبق أن تحدثنا عن الخليط الذي تكون منه المجتمع الاندلسي بعد الفتح . فالعرب كانوا منقسمين الى يمانيين وقيسيين ، وحدت بينهم ظروف الفتح والعدو المشترك مؤقتا ، ولكن ما أن وطئت أقدامهم أرض الاندلس ، ووضعت الحرب أوزارها حتى عادت منازعاتهم القبلية القديمة ، وانبعثت العصبية القبلية من جديد، فعاشوا في نزاع مستمر ، ومعارك متعددة لم يخمد أوارها الا حين كانوا يواجهون الاضطرابات التي يقوم بها البربر الذين سبق أن وحدت بينهم وبين العرب العقيدة الدينية المشتركة ، ولكن ما ان نجحوا في فتح الاندلس حتى دبّت الخلافات بينهم وبين العرب . إذ أثارهم استئثار العرب بالولاية والمناصب الرئيسة في الاندلس ، واستيطانهم في في السهول الخصبة .

ان هذا الوضع أثار حساسية البربر ، فعملوا على احداث القلاقل وإثارة الفتن والانشقاقات الداخلية .

ولم يكن خطر الافرنج المترصدين وراء الحدود المحدقة بالاندلس من جميع جهاتها اقل من خطر الأحداث الداخلية ، وكان لهؤلاء

جيوب داخلية من سكان اسبانيا الاصليين، تؤيدهم وتتربص بالمسلمين الفاتحين وتحن الى ماضيها ، مستغلة غربة الفاتحين .

يضاف الى هذين الخطرين التقلبات السريعة التي كانت تحدث بين رجال الحكم ، ففي اقل من نصف قرن توالى على حكم الاندلس اربعة وعشرون والياً ، وما يمكن ان يترك ذلك من اضطراب ، وعدم استقرار في انظمة الحكم .

الشعر :

ان هذه الاوضاع تركت آثاراً واضحة في أدب تلك الفترة ، ولعل ابرز ما يميز شعر عصر الولاة قلة الشعراء ، والذين عرفوا بقول الشعر لم يكونوا بمستوى من كان في المشرق من الشعراء ، هذا مع خلو أدب تلك الفترة من كل ما يمكن ان يجعله ادباً اندلسياً ، فلولا انه قيل هناك لما صح ان ينسب الى الاندلس . فالشعراء قد حافظوا على خصائص الشعر التقليدي الذي كان يسود في المشرق ، من حيث الالفاظ والاسلوب والمعاني والاخيلة ، والاغراض التقليدية. ولا غرو في ذلك فكل شعراء هذا العصر كانوا وافدين من المشرق .

والملاحظ ان كثيرا من تلك الاشعار انما كانت تحفظ وتروى لشرف ومنزلة قائليها ، لا لصياغتها الفنية او اساليبها الشعرية الجيدة .

وأبرز شعراء هذا العصر :

١ ـ ابو الخطار حسام بن ضرار الكلبي القحطاني(١) :

أصله من الشام من أهل دمشق . كان شريفا في قومه مع فصاحة وبراعة ، أبلى في فتوح المسلمين بأفريقيا بلاءاً حسنا ، وولي امارة الاندلس في سنة ١٢٥ هـ وقيل ١٢٢ هـ من قبل حنظلة بن صفوان ابن نوفل الكلبي ، والي افريقيا للخليفة هشام بن عبد الملك ، بعد أن تولى في افريقيا ولايات عديدة في إمرة بشر بن صفوان الكلبي اخي حنظلة .

ويقال : ان اهل الاندلس كتبوا الى حنظلة والي افريقيا والمغرب يسألونه ان يبعث اليهم ، بعد اختلافهم الشديد ، والياً يجتمعون عليه، فبعث اليهم شاعرنا ابا الخطار ، فأقبل اليهم حتى قدم عليهم فأطاعه اهلها واجتمعوا عليه ، ودانت له الاندلس جمعاء الى ولاية مروان بن محمد آخر خلفاء بني امية . بعد ان رضي عليه الشاميون والبلديون ، ومن مآثره انه اطلق الاسرى والسبي ، فسمي ذلك العسكر (عسكر العافية) ومع كل هذا فانه لم يستطع التخلص من العصبية فانساق في اواخر ايامه في خضمها العنيف ، فاظهر ميلا واضحاً الى اليمانية .

---

(١) انظر اخباره في تاريخ افتتاح الاندلس ١٨ وجذوة المقتبس ١٨٨ وبغية الملتمس ت ٦٨٦ ، واخبار مجموعة ٥٦ ، والحلة السيراء ١ / ٦٤ .

وفضلهم على المضرية ، فآل به الامر الى الخلع ، ثم الفرار الى جهة باجة في غرب الاندلس ، وذلك في سنة ١٢٨ هـ بعد اربع سنين وتسعة اشهر من ولايته . وقد أسهبت كتب التاريخ في قصة خلعه (١) .

وكان ابو الخطار يجمع بين الشعر والفروسية حتى لقب (عنترة الاندلس) ولكن لم يصل الينا من شعره الا القليل ، ومع ذلك فان هذا القليل يرسم لنا صورة لهذا الشاعر ، ويتضح من خلاله انغمار الشاعر في القضايا السياسية التي كان يموج فيها عصره ، ونلمح فيه روح العصبية القبلية التي كانت تسيطر عليه .

ومن شعره في ذلك قوله بعد ان ولّى هشام بن عبد الملك رجلا من قيس افريقية ، وصرف واليها من اليمانية ، وقيل انه لما تتابع ولاة افريقية والاندلس من قيس قال هذا الشعر :

أفأتم بني مروان قيساً دماءنا

وفي الله ـ إن لم تنصفوا ـ حكم عدْل

كأنكم لم تشهدوا (مرج راهط) (٢)

ولم تعلموا من كان ثَمّ له الفضل

---

(١) انظر مثلا البيان المغرب ٢/٣٣ـ٣٧

(٢) مرج راهط : معركة دارت في الشام في عهد مروان بن الحكم =

وقيناكم حر القنا بنحورنا

وليس لكم خيل سوانا ولا رجل

فلما بلغتم نيل ما قد أردتم

وطاب لكم منا المشارب والاكل

تعاميتم عنـــا بعين جليّة

وانتم كذا ما قد علمنا لها فعل

فلا تأمنوا ان دارت الحرب دورة

وزلّت عن المرقاة (١) بالقدم النعل

فينتقض الحبل الذي قد فتلتم

ألا ربما يلوى فينتقض الحبل (٢)

ومن قوله بعد ان أخذ ثأر عزيز عليه من قومه :

فليت ابن جوّاس يخبّر انني سعيت به سعي امرىء غير غافل
قتلت به تسعين تحسب انهم جذوع نخيل صرّعت بالمسايل

= سنة ٦٥ هـ ومعه اليمانيون ضد القيسيين المشايعين لابن الزبير، وكانت معركة حاسمة دعّمت الدولة المروانية .

(١) المرقاة : درجة السلم .

(٢) الحلة السيراء ١/٦٤ وابن القوطية ٤٣

ولو كانت الموتى تباع اشتريته   بكفي وما استثنيت منها اناملي(١)

ومع اغراق هذا الشاعر في السياسة وتقلباتها ، فاننا نلمح في بعض اشعاره ضروربا من الحكمة كقوله :

اذا اتخذتَ صديقا او هممتَ به

فاعمد الذي حسَب إن شئت أو دين

ما يقدر الله في مالي وفي ولدي

لابد يدركني لو كنت بالصين (٢)

٢ ـ ابو الاجرب جعونة بن الصمة (٣) :

من العرب الطارئين على الاندلس ، كان يرحل ويحل بأكناف قرطبة ، جعله ابن حزم في طبقة جرير والفرزدق قال : واذا ذكرنا ابا الاجرب جعونة بن الصمة الكلابي في الشعر لم نباهِ به الا جريرا والفرزدق ، لكونه في عصرهما ، ولو أنصف لاستشهد بشعره ، فهو جار على مذاهب الاوائل ، لا على طريقة المحدثين (٤) .

---

(١) الحلة السيراء ٦٦/١

(٢) نفس المصدر ٦٦/١

(٣) انظر اخباره في طبقات النحويين ٢٨٦ وجذوة المقتبس ١٧٧ وبغية الملتمس ٢٤٤ والمغرب ١٣١/١

(٤) نفح الطيب ١٩/٤ .

كان قد هجا رئيس القيسية الصميل بن حاتم الكلبي المتوفى في سنة ١٤٢ ه وزير يوسف بن عبد الرحمن الفهري ، وهجا قومه ، فتعقبه الصميل ، ولما وقع في يده عفا عنه ، فنسخ الشاعر هجوه ، وافنى فيه قوافيه ، واقسم الصميل بعد ذلك على نفسه ان لا يراه الا اعطاه ما حضره ، فكان ابو الاجرب يعتمد اقلال لقائه ، وكان لا يزوره الا مرتين في العيدين . ويروى ان ابا نواس كان يسأل عنه ، وعن اخباره من الاندلسيين الذين يقدمون الى العراق ، فقد سأل عباس بن ناصح الاندلسي عنه ، وطلب اليه ان يسمعه من شعره حين التقى به في العراق .

توفي شاعرنا قبل ان يدرك الدولة الاموية في الاندلس ، ولم يصل الينا من شعره الا النادر القليل ، من ذلك قوله :

ولقد أراني من هواي بمنزل عال ورأسي ذو غدائر أفرع

والعيش أغيد ساسقط إفنانه والماء أطيبه لنا والمرتع

وثمة شعراء آخرون منهم مغيث بن الحارث الغساني مولى الوليد ابن عبد الملك كان شاعرا ناثرا ، قال عنه الحجاري : لمغيث من الشعر والنثر مايجوز كتبه(١) . والحصين بن الدجن بن عبد الله من قادة يوسف

(١) نفح الطيب ١٢/٣

الفهري ، ثم صار من رجال الداخل بعد انتصاره على الفهري (١) .

النثر :

لم يكن النثر في عهد الولاة ذا قيمة فنية او خصائص متميزة ، ولكنه موجود ، اقتضته ظروف الاندلس الجديدة ، وقد خطا خطوات قد تفوق خطوات الشعر ، لتوفر دواعي ازدهاره اكثر من توفر دواعي الشعر ، ولعل الخطابة ابرز فنون النثر في هذا العهد ، لانها من ضرورات الحياة التي عاشها الاندلسيون الاوائل في حروبهم المستمرة ضد الافرنج ، فقد كانوا يحتاجون آنذاك الى من يقوم خطيبا يذكي جذوة الحماس لدى المجاهدين المؤمنين ، والى من يعتلي المنابر داعياً الى وحدة العرب والمسلمين ضد العدو المشترك ، والى إماتة العصبية القبلية البغيضة ، التي كانت تثير البغضاء وتنشر الشحناء بين ابناء المجتمع الواحد من مضريين ويمانيين ، وكانوا في حاجة الى من ينهض مذكراً بدين الله ، شارحا مبادىء الاسلام السمحاء ، لئلا ينسى الفاتحون الغاية التي خرجوا من اجلها .

وكانت الدولة العربية الجديدة بأمس الحاجة الى من يدعو الى نظامها الجديد ؛ ويعمل على توطيد أسس ومبادىء هذا النظام .

لهذه الاسباب وغيرها كثر الخطباء ، وتعددت المنابر التي كان يعتليها رسل الفتح الجديد ، وأبناء الامة المجيدة التي عرفت ببلاغة

---

(١) الحلة السيراء ٢/٣٥٤

ابنائها وفصاحة ألسنة أهلها .

وتعد خطبة طارق بن زياد التى أثبتنا نصها فيما سبق اول نص خطابي يصل الينا من تلك الفترة المبكرة من تاريخ الاندلس . وقد اختلفت المصادر في رواية هذه الخطبة ولم تتفق على رواية واحدة ، فزاد البعض فيها ، وأنقص البعض الاخر ، وهي خطبة رائعة في تحريض جنوده وتحميسهم على القتال ، إلا ان كثيرا من الباحثين يشكك في صحة نسبتها لطارق بن زياد ، محتجين بخلو المصادر القديمة منها ، وبعدم تمكن طارق من العربية الى حد يجعله يلقي مثل هذه الخطبة البليغة (١) .

ووصلت الينا نصوص بعد هذه الخطبة منها خطبة قصيرة لعبد الرحمن الداخل، يخاطب بها أتباعه حين رأى ماقاسوه أمام زحف جيوش يوسف الفهري قال :

هـذا اليوم هو أس ما يبنى عليه ، إما ذل الدهر وإما عز الدهر، فاصبروا ساعة فيما لا تشتهون ، تربحوا بها بقية اعماركم فيما تشتهون (٢) .

وثمة مناظرة خطابية قصيرة جرت بين الصميل ورجل من بني مرة

---

(١) انظر مناقشة هذه المسألة في الادب الاندلسي لهيكل ص ٦٤

(٢) نفح الطيب ٤٢/٣ .

كنيته ابو عطاء . فحين أكثر الصميل القتل في أسراه قام اليه عطاء فقال : يا أبا جوشن اغمد سيفك وراجع نفسك . قال له : اقعد يا ابا عطاء فهذا عزك وعز قومك . فجلس ولم يغمد السيف ، ثم قام اليه فقال : يا اعرابي — والله — إن تقتلنا إلا بعداوة صفين لتكفنّ أو لأدعونّ بدعوة هشامية . فأغمد سيفه وأمن الناس على يدي ابي عطاء بعد بلاء عظيم . وكان ذلك قبل سنة ١٣١ هـ (١)

ومن خلال هذه الشذرات القصيرة من خطابة ذلك العصر نستطيع ان نلمس ما تميزت به الخطابة من بلاغة وايجاز ووضوح ، وبعد عن التكلف والزخرفة اللفظية .

والى جانب الخطابة عرف هذا العصر الكتابة ايضا متمثلة برسائل العهد والصلح والشؤون الشخصية .

وقد برزت أسماء لبعض كتاب هذا العصر منهم : خالد بن زيد وهو من اصل اسباني ، عمل كاتبا لوالي الاندلس يوسف الفهري ، ثم لعبد الرحمن الداخل بعده .

وقد وصل الينا نصان لهذا الكاتب يعبران عن قدرة كبيرة في هذا الميدان . ولم يستقرهذا الكاتب في الاندلس طويلا بعد انتصار الداخل ، وخشي ان يتهم بالولاء لابناء يوسف الفهري ، الذين تعددت ثرواتهم بعد انقضاء ولاية أبيهم ، فاستأذن الامير عبد الرحمن الداخل بالخروج

---

(١) اخبار مجموعة ٦١

الى المشرق ، وبعد الحاح طويل أذن له الامير نزولاً عند رغبته وأمر كاتبه أمية بن يزيد ان يكتب له كتاب سراح ، فأبى امية ذلك واعتذر بقوله : معلمي وولي الاحسان قبلي ، يكون اول شيء يجري على يدي الكتاب بخروجه عن أهله وماله (١) . ومنهم :

أمية بن يزيد . الذي دخل الاندلس في سنة ١٢٣ هـ ، واتصل بخالد ، وعمل معه في الكتابة ايضا (٢) .

ومما حفظ من كتابات هذا العصر عهد عبد العزيز بن موسى بن نصير لاحد حكام القوط (٣) ، وجزء من رسالة يوسف الفهري الى عبد الرحمن الداخل عندما علم بنزوله بالاندلس التي يقول فيها :

أما بعد ، فقد انتهى الينا نزولك بساحل المنكب ، وتأبش من تأبش اليك ، ونزوع نحوك من السراق ، واهل الختر والغدر ونقض الايمان المؤكدة ، التي كذبوا الله فيها وكذبونا ، وبه — جل وعلا — نستعين عليهم ، ولقد كانوا معنا في ذرى كنف ورفاهية عيش ، حتى غمصوا ذلك ، واستبدلوا بالأمن خوفا ، وجنحوا الى النقض ، والله

---

(١) اعتاب الكتاب ٧١

(٢) اعتاب الكتاب ٧١ وانظر مقالة للدكتور الهراس في مجلة المناهل العدد ٤ سنة ١٩٧٥

(٣) الروض المعطار ١٣١ . واسم الحاكم تدمير

من ورائهم محيط ، فان كنت تريد المال ، وسعة الجناب ، فأنا أولى بك ممن لجأت اليه ، أكنفك ، وأصل رحمك ، وأنزلك معي إن اردت ، وبحيث تريد . ثم لك عهد الله وذمته في ألاّ اغدر بك ، ولا أمكن منك ابن عمي صاحب افريقية ولا غيره (١) .

عصر الامارة

١٣٨ هـ — ٣١٦ هـ

بعد ان نجـح عبد الرحمن الداخل في الانتصار على خصومه السياسيين في الاندلس بما اوتي من مهارة وحذق وذكاء سياسي ، مستثمراً ظروف الاندلس الداخلية ، راح يعمل على توطيد أركان حكمه وأسس دولته الجديدة ، ومنذ ان اصبح عبد الرحمن الداخل امير الاندلس أخذ في تحقيق برنامجه ، وكان هذا البرنامج يرمز الى أمور ثلاثة :

١ ـ تنظيم الجيش الذي قاده الى الظفر .

٢ ـ فتح ابواب الاندلس امام الامويين المضطهدين في الشرق .

٣ ـ ايجاد التفاهم بين عناصر العرب ، ولا سيما القبائـل التي

(١) البيان المغرب ٢/ ٤٥ .

يحارب بعضها بعضا ، ودعم السلطة الاموية باللجوء الى توطيد الامن في جميع انحاء البلاد الاندلسية (١) .

ان نجاح عبـــد الرحمن الداخل في تأسيس الدولة الاموية في الاندلس يعد حدثا مهما ، وانعطافا تاريخيا للوجود العربي في المغرب الاندلسي ، ففي هذا العهد برزت قرطبة كأكبر مركز للاشعاع الفكري في انحاء العالم الغربي ، ونافست بغداد في أوج عظمتها وحضارتها؛ واجتذبت الادباء والعلماء والشعراء ورجال الفن من ارجاء المعمورة كافة . وظهر لأول مرة في تاريخ الاندلس شعراء اندلسيون يعبرون عن الاندلس في أشعارهم وثقافتهم وصورهم التي يرسمونها . لأنهم اندلسيون مولدا ونشأة وثقافة ، ولعل ابرز هؤلاء الشعراء :

عبد الرحمن الداخل (٢) :

هو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك ، ولد عام ١١٣ ه بدير حنا من اعمال دمشق . وامه بربرية اسمها (راح)

---

(١) في الادب الاندلسي ١٦

(٢) انظر في ترجمته واشعاره ، العقد الفريد ٤٨٨/٤ ، والبيان المغرب ٤٠/٢ ؛ ونفح الطيب ٢٧/٢ ـــ ٥٥ ، واخبار مجموعة ٥٠ ، وابن القوطية ٤٥ .

مات ابوه معاوية في عهد جده هشام بن عبد الملك ، وقد جزع هشام عليه جزعا شديداً وحزن عليه طويلا مع ما هو معروف عنه من قسوة وشدة ٠

وقد تميز عبد الرحمن هذا في شبابه بتدربه على استعمال السلاح والأعمال الحربية ومخالطة كبار رجال الدولة لتعهد جده اياه ولاشرافه علي تسيير كثير من الامور في ديوان الخلافة ٠ وعرف بمهارته في تسيير كثير من الامور في ديوان الخلافة ٠ كما عرف بتفوقه على اقرانه في اكثر من ناحية ، من ذلك :

أ ـ حسن استعماله السلاح

ب ـ مطارته المتقنة في الصيد

ج ـ رجاحة العقل

د ـ متانة الخلق

وصفه مؤرخ الاندلس ابن حيان بقوله : راجح الحلم ، فاسح العلم ، ثاقب الفهم كثير الحزم ، نافذ العزم ، بريئا من العجز ، سريع النهضة ، متصل الحركة ، شديد الحذر ، قليل الطمأنينة ، لا يخلد الى راحة ، ولا يسكن الى دعة ، ولم ترفع له قط راية على عدو إلا هزمه ، ولا بلد إلا فتحه ، شجاعا مقداما ، لا يكل الامور الى غيره

ثم لا ينفرد في إبرامها برأيه ، بعيد الغور ، شديد الحدة ، بليغا مفوها ، شاعرا محسنا ، سمحا سخيا ، وكان يلبس البياض ويعتم به ويؤثره (١) .

وتحدث عن سياسته واصفا اياها وصفا دقيقا جامعا ، قال :

لما ألفى الداخل الاندلس ثغرا قاصيا غفلا من حلية الملك ، عاطلا أرهف اهلها بالطاعة السلطانية ، وحنكهم بالسيرة الملوكية ، واخذهم بالاداب ، فأكسبهم عما قليل المروءة ، واقامهم على الطريقة ، وبدأ فدون الدواوين ، ورفع الأواوين ، وفرض الاعطية ، وعقد الالوية وجند الأجناد ، ورفع العماد ، وأوثق الأوتاد ، فأقام للملك آلته ، واخذ للسلطان عدته ، فاعترف له بذلك أكابر الملوك ، وحذروا جانبه ، وتحاموا حوزته ، ولم يلبث ان دانت له بلاد الأندلس ، واستقل له الامر فيها (٢) .

وكان خلاص عبد الرحمن من بني العباس — الذين تتبعوا بني أمية بالقتل والتمثيل إثر نجاحهم في معركة الزاب الرهيبة — اعجوبة ، وقصة اسطورية اقرب الى الخيال منها الى الحقيقة ، ولكنها حدثت فعلا ، وكانت صفحاتها وفصولها الاولى تباشير انبلاج الحكم الأموي

---

(١) المقتبس ٦٧ ، والنص في نفح الطيب ٣٧/٣

(٢) المقتبس ٧٨

في الاندلس ، ولنترك بطل هذه القصة الغريبة يرويهـا بنفسه قال :

إني لجالس في القرية في دار كنا فيها ، ولم يبلغنا بعد اقبال المسودة ، في ظلمة بيت تواريت فيه وانا شديد الرمد ، ومعي خرقة سوداء أمسح بها قذى عيني ، وابني سليمان بكر ولدي يلعب قدامي ، وهو يومئذ ابن اربع سنين أو نحوها ، اذ دخل الصبي من باب البيت فزعا باكيا ، فأهوى الى حجري فصرت ادفعه لما كان بي ويأبى إلا التعلق ، وهو دهش يقول ما يقوله الصبيان عند الفزع ، فخرجت لأنظر ، فاذا بالروع قد نزل بالقرية ؛ ونظرت فاذا بالرايات السود عليها مطلّة وأخ لي حديث السن كان معي يشتد هاربا ويقول لي : النجاء يا أخي ، فهذه رايات المسودة . فضربت بيدي على دنانير تناولتها ونجوت بنفسي والصبي اخي معي ، واعلمت اخواتي بمتوجهي ومكان مقتصدي وامرتهن أن يلحقنني وغلامي ومولاي بدر معهن إن سلمت وخرجت ، فكنت في موضع ناء عن القرية ، فما كان الا ساعة حتى اقبلت الخيل فاحاطت بالدار فلم تجد اثراً .

ومضيت ولحقني بدر فأتيت رجلا من معارفي بشط الفرات فأمرته ان يبتاع لي دوابا وما يصلح لسفري ، فدل علي عبد سوء له العامل ، فما راعنا الا جلبة الخيل تحفزنا فخرجنا نشتد على ارجلنا ، وأبصرتنا الخيل ، فدخلنا بين أجمة على الفرات واستدارت الخيل فخرجنا وقد

احاطت بالأجمة ، فتبادرنا وسبقناها الى الفرات فترامينا فيه . واقبلت الخيل فصاحوا علينا من الشط : ارجعا لا بأس عليكما . فسبحت حاثاً لنفسي وكنت أحسن السبح ، وسبح الغلام اخي، فلما سرنا ساعة سبقته بالسباحة وقطعت قدر نصف الفرات ، وقصّر اخي ودهش فالتفت اليه لاقوي من قلبه واصيح عليه ليلحقني ، فاذا هو لما سمع تأمينهم اياه أصغى اليهم وهــم يخدعونه عن نفسه وخاف الغرق فهرب من الغرق الى الموت ، فناديته : تقتل يا اخي ، إلي إلي ، فلم يسمعني واغتر بأمانهم ، وخشي الغرق ، فاستعجل الانقلاب نحوهم، وقطعت انا الفرات وبعضهم قد همَّ بالتجرد للسباحة في اثري ، فاستكفه اصحابه عن ذلك فتركوني ، ثــم قدموا الصبي اخي الذي صار اليهم بالامان فضربوا عنقه ، ومضوا برأسه وانا انظر اليه وهو ابن ثلاث عشرة سنة ، فاحتملت فيه ثكلا ملأني مخافة ، ومضيت الى وجهي احسب اني طائر وانا ساع على قدمي فلجأت الى غيضة اشبة ، فتواريت فيها حتى انقطع الطلب ، ثم خرجت هاربا أؤم المغرب حتى وصلت الى افريقية (١) .

وبقي مختفيا في شواطيء افريقيةمن جهة الاندلس ، يتسمّع اخبار الأندلس ، ويخطط لاقامة دولته فيها ، وكاتب عرب الشام من سكان الاندلس ، ثم أرسل مولاه بدرا بعد ان رسم له خطة العمل ،

---

(١) اخبار مجموعة ٥٢ ونفح الطيب ١ / ٣١٢

وأعطاه رسالة يعرض فيها على موالي الأمويين أمره ، ويسألهم تأييده لترشيح نفسه أميرا على الاندلس مكان يوسف الفهري والصميل لكي يستطيع أن يضع حدا للفوضى الضاربة أطنابها ، ولكي يقيم امر بني أمية في البلاد من جديد ، وكان ذلك في ربيع سنة ١٣٦هـ ونجح بدر فى اقناع بني امية هناك ، وكسبهم الى جانب عبد الرحمن ، وظل يعمل بتوجيهات عبد الرحمن لغاية ربيع الآخر من سنة ١٣٨هـ حيث اقترب رسل بني امية بمركبهم من شاطىء افريقية في احدى امسيات هذا الشهر ، وكان عبد الرحمن قائما يصلي المغرب ، فلما ابصرهم أسرع اليهم ، وقفز بدر الى الماء لكي يسرع الى مولاه بالبشرى ، ولم تكد الوجوه تتلاقى بعد طول انتظار حتى أفضى اليه بجلية الامر وأنبأه بتوفيقه مع موالي بني امية واليمنيين ؛ وبأن جماعات قوية من هؤلاء تنتظر لتسير في ركابه مؤيدة . فانطلق مع هذه المجموعة في قارب نحو الاندلس ووطئت قدماه شاطىء الاندلس عند المنكب في أخريات ربيع الثاني سنة ١٣٨هـ فكانت ساعة نزوله بدءاً لعصر جديد في تاريخ الاندلس (١) .

ان هذه القصة الغريبة حدثت لعبد الرحمن فعلا ولكن الى جانبها كان له الصبر والجلد والارادة التى لا تفل والعمل الدائب ، حتى وصل الى ماوصل اليه من مجد وشهرة . ولذلك كان اشد ما يؤلمه ان يسمع

---

(١) انظر فجر الاندلس ٦٦٠ ــ ٦٩٠

من يقول ان الحظ والسعد رفعاه الى ما وصل اليه . او ان لأحد من اعوانه يد فيما بناه او وصل اليه ، ولذلك نراه حين بلغه عن بعض أعوانه في ايام محنته انه يقول : لولا انا ما توصل الى هذا الملك ، ولكان منه ابعد من العيوق . وان آخر يقول : سعده أعانه لا عقله وتدبيره . حين سمع هذين الرجلين غضب أشد الغضب ، واستوحى شاعريته ليرد عليهما قائلا (١) :

لا يَأْلف ممتنٌ علينا قائل	لولايَ ما ملك الأنام الداخل
سعدي وحزمي والمهند والقنا	ومقادر بلغت وحـال حائل
ان الملوك مع الزمان كواكب	نجم يطالعنـا ونجم آفل
والحزم كل الحزم ألا يغفلوا	أيروم تدبير البرية غافل
ويقول قوم سعده لا عقله	خير السعادة ما حماها العاقل
أبني أمية قد جبرنا صدعكم	بالغرب رغماً والسعود قبائل
مادام من نسلي إمام قائم	فالملك فيكم ثابت متواصل

وكان حاضر البديهة ، يأتيه الشعر طوعا وتنساب عليه معانيـه انسيابا ، فيصوغها أشعاراً محكمة ومعاني عميقة ذكية ، فقدروى ابن حيان ان جماعة من القادمين عليه من قبل الشام يوما حدّثوه في بعض مجالسهم عنده ما كان من الغمر بن يزيد بن عبد الملك أيام محنتهم ،

---

(١) نفح الطيب ٣/٤٢

وكلامه لعبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس الساطي ، وفد حضروا رواقه وفيه وجوه المسودة من دعاة القوم وشيعتهم راداً على عبدالله فيما أراقه من دماء بني أمية وسلبهم ، والبراءة منهم ، فلم تردعه هيبته ، وعصف ريحه واحتفال جمعه عن معارضته والرد عليه بتفضيله لأهل بيته والذب عنهم ، وانه جاء بكلام غاظ عبد الله وأغضبه ، فما كان من عبد الله الا ان قتل الغمر ، روى الامويون ذلك إعجابا بالغمر ، فأغضب ذلك عبد الرحمن ولم يسترح له ، لانه لم يقدّم لقومه شيئاً وان فاداهم بنفسه ، وقام من مجلسه وهو يقول شعراً يعبر فيه عن رأيه في ذلك (١) :

شتّان من قام ذا امتعاض

مذ قال ما قال واضمحلا

ومن غدا مصلتاً لعزم

مجرداً للعـــداة نصلا

فجاب قفراً وشق بحراً

ولم يكن في الانام كلا

فبنى ملكا وشاد عزاً

ومنبراً للخطاب فصلا

(١) اخبار مجموعة ١١٧ والعقد الفريد ٤/٤٨٨ ونفح الطيب ٣٨/٣

وجنّد الجند حين أودى

ومصّر المصر حين أجلى

ثم دعا اهله جميعا

حيث انتأوا أن هلمّ أهلا

فجاء هذا طريد جوع

شديد روع يخاف قتلا

فحلّ أمناً ونال شبعاً

وحاز مالاً ونال أهلا

ألم يكن حق ذا على ذا

أعظم من منعم ومولى

وكان يجسد مثله العليا بشعره ، ويصور الحياة التي يسعى اليهـا والمنهج الذي سار عليه في بناء دولته وتأسيس حكمه ، فحين دعاه أحد مرافقيه باحدى غزواته الى صيد بعض الطيور (الغرانيق) التى وقعت الى جانبه ، لانه كان معروفا لديهم بولعه وحبه للصيد والطرد ، أطرق ثم أجاب ذلك الرجل (١) :

(١) اخبار مجموعة ١١٧

دعني وصيد وُقع الغرانق (١)

فان همي في اصطياد المارق

في نفق ان كان او في حالق

اذا التظت هواجر الطرائق

كان لفاعي ظل بند خافق

غنيت عن روض وقصر شاهق

بالقفر والايطان في السرادق

فقل لمن نام على النمارق

ان العلا شُدت بهمّ طارق

فاركب اليها ثبج المضائق (٢)

أو لا فأنت أرذل الخلائق

ان هذه النصوص الشعرية القليلة وما سبق ان أثبتناه عند الحديث عن عصر الامارة في العهود التاريخية ، تعبر عن شاعرية فذة وقدرة على النظم الجيد فائقة . وبعد عن الغموض او الاغراب او التعقيد

---

(١) الغرانق : طيور مائية

(٢) الثبج : وسط الشيء ومعظمه

في القول او المعنى ، والميل الى الاقناع والمنطق ، ومعظم هذه الاشعار تدور في السياسة والفخر والحنين الى الوطن والتغني بأمجاد الامة .

وبرع عبد الرحمن الداخل في النثر ايضا ، وفي المسهب : ان عبد الرحمن كان من البلاغة بالمكان العالي ، الذي يرتد عنه اكثر بني مروان حسيراً (١) . فترك نصوصا نثرية تعبر عن امكانية حسنة في الترسل، وقد تميز هذا النثر بالارتجال في اكثر مناسباته ، وبقصر فقراته ، وجمال اسلوبه ووضوح معانيه ، ومراعاة الفواصل فيه . وصفه ابن الخطيب بقوله : وكان فصيحا بليغا ، حسن التوقيع مليح الفصول (٢) .

ومن ذلك النثر انه حين جلس في قصره بقرطبة بعد تغلبه على حاكم الاندلس السابق يوسف بن عبد الله الفهري وانثالت عليه الوفود مهنئة مبايعة ، جاءه رجل من جند قنسرين ، وخاطبه مستجديا اياه بقوله : يا ابن الخلائف الراشدين والسادة الاكرمين ، اليك فررت ، وبك عذت من زمن ظلوم ودهر غشوم ، قلل المال وكثّر العيال وشعّث الحال فصير الى نداك المآل ، وأنت ولي الحمد والمجد ، والمرجو للرفد ، فأجابه عبد الرحمن مسرعا :

---

(١) نفح الطيب ٣٩/٣

(٢) أعمال الاعلام ص ١٠

قد سمعنا مقالتك وقضينا حاجتك ، وأمرنا بعونك على دهرك ، على كرهنا لسوء مقامك ، فلا تعودن ولا سواك لمثله من إراقة ماء وجهك ، بتصريح المسألة والالحاف في الطلبة . واذا ألمّ بك خطب او حزمك امر فارفعه الينا في رقعة لا تعدوك ، كيما نستر عليك خلتك ، ونكف شمات العدو عنك ؛ بعد رفعها لك الى مالكك ومالكنا عز وجهه باخلاص الدعاء وصدق النية • وامر له بجائزة حسنة ، وخرج الناس يتعجبون منه ومن حسن منطقه وبراعة ادبه (١) .

٢ ـ ابو المخشي (٢) :

ابو الحسين عاصم بن زيد التميمي العبادي ، نسبة الى عباد الحيرة النصارى وصفه الضبي فقال : قديم الجود والصنعة ، عربي الدار والنشأة وانما تردد بالاندلس غريبا طارئا ، وهو من فحول الشعراء القدماء المتقدمين (٣) ، وفد والده على الاندلس مع جند الشام في عصر الولاة • نبغ بالشعر الا انه تميز بسلاطة اللسان ، فكان اهجى

(١) نفح الطيب ٣٩/٣

(٢) تاريخ افتتاح الاندلس ٥٩ . جذوة المقتبس ٣٧٧ .
انظر ترجمته واشعاره في المغرب ١٢٣/٢

(٣) بغية الملتمس ٥١٣

واقذع شعراء عصره، ولهذا كان عرضة لخصومات كثيرة . واستغل خصومه نسبه النصراني واتخذوه مغمزا ينالون به منه ، وبخاصة في بلد مثل الاندلس ذي العداء القديم مع اوربا .

وساقه سوء حظه الى ان يتعرض في شعره الى هشام بن عبدالرحمن الداخل بقوله :

وليس كمثل من إن سيم عرفا يقلب مقلة فيها اعورار

وكان هشام أحول فاضمرها له ، ثم استدعاه الى ولايته (ماردة) متظاهرا باكرامه فالقى عليه القبض وامر بقطع لسانه ، وسمل عينيه جزاء مابدر منه في هجائه ، ويروى انه تحسن نطقه بعد حين ، الا انه ظل فاقدا لنور عينيه مما احال حياته الى مأساة وليل طويل لا انقضاء له .

ويروي هذه الحادثة ابن القوطية بصورة اخرى فيقول : وكان ابو المخشي شاعر الاندلس في ايامه ، فمدح سليمان بن عبد الرحمن بشعر ، وتوهم عليه فيه انه عرّض بهشام اخيه ، وكانت بينهما مباعدة ومنافسة فتعصب متعصب لهشام فسمل عينيه (١) .

وحين سمع عبد الرحمن الداخل بما حدث لهذا الشاعر وبّخ ابنه هشاما وعنفه ، وحاول تقريب الشاعر وتعويضه عن بعض ما فقده ،

---

(١) تاريخ افتتاح الاندلس ٥٩

فاغدق عليه الاموال ، وقيل انه دفع له دية عينيه مضاعفة ، وندم هشام على فعلته ، وحين تولى بعد ابيه بالغ في إكرامه وتقريبه ، وجعل له غلاما ينشد عنه شعره ، ودفع له دية اخرى مضاعفة ، وقد عمّر طويلا حتى ادرك اول عهد عبـــد الرحمن الاوسط في بعض الروايات .

وشعره قليل جدا اذا قسناه بالدور الكبير الذى قام به هـــذا الشاعر وعمره المديد ، ونلمس في هذا الشعر التيّار المحافظ والصور البدوية .

وقد أبدع غاية الابداع في تصوير محنته ، وما جره عليه لسانه من ويلات ومصائب . وصفه الرازي فقال : كان شاعر الاندلس في حينه وانه كان صاحب المعاني الحسنة والنوادر الكثيرة والقول الغزير. وقال ابن شهيد في كتاب (حانوت عطار) : انه قديم الحوك والصنعة ، عربي الدار والنشأة ، وهو من فحول الشعراء المتقدمين(١).

ومن اشعاره ذات الصور البدوية قصيدته في مدح عبد الرحمن الداخل ، التى يشيد فيها بانتصاراته قال :

امتطيناها سمانا بدنا
فتركناها نضاء بالعنا

---

(٤) جذوة المقتبس ٣٧٧

ومن محاسن أشعاره التي تموج بالصور البدوية الرائعة قوله (١) :

وهمٍ ضافني في جوف يمٍ ... كلا موجيهما عندي كبير
فبتنا والقلوب معلقات ... وأجنحة الرياح بنا تطير

ومن أشعاره التي تصور هموم محنته ، وما نزل بامرأته بعد مصيبته قوله (٢) :

خضعت أمُّ بناتي للعدى ... إن قضى الله قضاء فمضى
ورأت أعمى ضريرا إنما ... مشيه في الارض لمس بالعصا
فاستكانت ثم قالت قولة ... - وهي حرى - بلغت مني المدى
ففؤادي قرح من قولها ... ما من الأدواء داء كالعمى

وعندما أنشد عباس بن ناصح (الشاعر الاندلسي) الحسن بن هانيء (أبا نواس) قول ابي المخشي (كنت الذرى الى الذرى) قال : هذا الذي طلبته الشعراء فأضلته (٣) .

وهذا القول يدل على ما كان يتمتع به الشاعر من قدرة بارعة

---

(١) ابن القوطية ٥٩
(٢) نفس المصدر
(٣) انباه الرواة ٢/٣٦٦

على رسم الصور وتفريع المعاني .

ومما يصور ، محنته وقيل انه آخر شعره قوله (١) :

ام بنياتي الضعيف حويلها (٢)   تعول امرأ مثلي وكان يعولها
اذا ذكرت ماحال بيني وبينها   بكت تستقيل الدهر ما لايقيلها

ومن هذه النماذج الشعرية القليلة نستطيع ان نتلمس شاعريته الفذة وتأثره بالصور التقليدية القديمة في مدحه ، مع جنوحه نحو الابداع والتجويد في شعره الذاتي ، الذي يعبر فيه عن معاناته وصدق تجربته، وبخاصة بعد محنته .

٣ ـ حسانة التميمية (*) :

تعد حسانة بنت ابي الحسين عاصم بن زيد الملقب بابي المخشي الذي مرت ترجمته ، أولى شواعر الاندلس الحرائر من غير القيان الوافدات من المشرق .

---

(١) ابن القوطية ص ٦٠

(٢) الحويل : الحول والقدرة

(*) انظر ترجمتها وشعرها في نفح الطيب ١/٣٠٠ وهيكل ١٠٦ والادب الاندلسي موضوعاته وفنونه ١٢١

ولدت بثغر البيرة (١) ونشأت متأدبة في بيت والدها الشاعر المعروف في اواخر القرن الثاني واوائل القرن الثالث ، لاذت بعد وفاة والدها بالامير الحكم بن هشام الربضي ، ومدحته فاستحسن الربضي شعرها ، وكان هذا الشعر يقطر رقة ، ويعبر عن عمق مأساتها بعد فقد والدها، اذ قالت مستعطفة الامير (٢) .

إني اليك ابا العاصي موجعة أبا الحسين سقته الواكف الديم (٣)
قد كنت ارتع في نعماه عاكفة فاليوم آوي الى نعماك يا حكم
انت الامام الذي انقاد الأنام له وملّكته مقاليد النهى الأمـم
لا شيء أخشى اذا ما كنت لي كنفاً آوي اليه ولا يعرو لي العدم
لا زلتَ بالعزة القعساء مرتديا حتى تذل اليك العرب والعجم

فاكرمها الامير الربضي واجرى عليها راتبا ، محاولا تعويضها عن فقد ابيها ، مقدرا مأساتها ، ولكن هذا التعويض لم يدم طويلا ، فما ان توفى الامير الربضي حتى قلب حاكم البيرة جابر بن لبيد للشاعرة ظهر

(١) من كور الاندلس نزلها جند دمشق من العرب وكثير من موالي الداخل .

(٢) نفح الطيب ٣٠٠/٥

(٣) موجعة ابا الحسين : ناعية ابا الحسين وهو ابوها .

المجن ؛ وحجب عنها الراتب الذي اجراه لها الامير الراحل ، فلاذت ثانية بالشعر ، ليكون لها خير شفيع لدى الامير الجديد عبد الرحمن الاوسط ، وحاولت تذكيره بما كان من فعل ابيه الربضي معها ، وترحمت على ايامه التي وجدت في ظلها الحياة الكريمة ، وشكت اليه الحاكم الذي جعل من وفاة والده وسيلة للانقضاض عليها والتنكر لها ، صاغت هذه المعاني جميعها باسلوب خطابي مؤثر ، وبعبارة واضحة بينة ، فقالت مخاطبة الامير الجديد (١) :

الى ذي الندى والمجد سارت ركائبي
على شحطٍ تُصلى بنار الهواجر

ليجبر صدعي إنه خير جابر
ويمنعني من ذي الظلامة جابر

فاني وأيتامي بقبضة كفه
كذي ريش اضحى في مخالب كاسر

جدير لمثلي ان يقال مروعة
لموت ابي العاصي الذي كان ناصري

سقاه الحيا ، لو كان حيا لما اعتدى
عليَّ زمان باطش بطش قادر

(١) نفح الطيب ١/٢٩٠ .

أيمحو الذى خطته يمناه جابر

لقد سام بالاملاك إحدى الكبائر

وحين وصل هذا الشعر الى الامير رق لحالها ، وسارع الى إزالة الحيف الذي لحق بها ، فعزل الحاكم الذي ظلمها ، وأجرى عليها ما منعها من مرتب ، وامر لها بجائزة .

وقيل انه حين رأى خط والده بتحرير املاكها اخذ الكتاب فقبّله وقال : تعدى ابن لبيد طوره ، ووقع لها بمثل توقيع ابيه الحكم ، وامر ابن لبيد بتنفيذ ما أجراه (١) ، فأرسلت له قصيدة تذكر له هذه الايادي الجديدة (٢) :

ابن الهشامين خير الناس مأثرة

وخير منتجع يوما لرواد

ان هز يوم الوغى أثناء صعدته

روّى أنابيبها من صرف فرصاد(٣)

قل للامام أيا خير الورى نسبا

مقابلا بين اباء واجداد

(١) نفح الطيب ٥/٣٠١

(٢) نفس المصدر

(٣) فرصاد : دم أحمر

جوّدت طبعي ولم ترض الظلامة لي

فهاك فضل ثناء رائح غاد

فان أقمت ففي نعماك عاكفة

وان رحلت فقد زودتني زادي

هذه الابيات وما سبقها تنم عن قدرة فائقة لدى هذه الشاعرة ، واصالة موروثة في فن الشعر ، ميزتها بالبساطة والجمال في التعبير ، وجلت في شعرها حرارة طبيعة المرأة من حيث الانوثة ، وفرط الاحساس ، ووضحت معاناتها لمشاعر القلق ، والحاحها على اللوذ بكنف رجل ، والبحث عن الرعاية .

وثمة شعراء آخرون عرفوا في هذه الفترة ، وصلت الينا بعض اشعارهم قد ترسم صورة تقريبية لحياتهم وشاعريتهم منهم :

الامير الحكم بن هشام الربضي (١) المتوفى سنة (٢٠٦) هـ ، ومن شعره الذي فخر فيه ببطولته وشجاعته وانتصاراته في وقعة الربض قوله (٢) :

رأبت صدوع الارض بالسيف راقعا

وقدما لأمت الشعب مذ كنت يافعا

---

(١) انظر ترجمته في البيان المغرب ٦٨/٢ ونفح الطيب ٣١٧/١ ـ ٣٢٢

(٢) اخبار مجموعة ١٣٢ ونفح الطيب ٣٢٠/١

فسائل ثغوري هل بها اليوم ثغرة

ابادرها مستنضي السيف دارعا

وشافه مع الارض الفضاء جماجما

كأقحاف شريان الهبيد لوامعا (١)

تنبئك أني لم اكن في قراعهم

بوانٍ ، وقدما كنت بالسيف قارعا

واني إذ حادوا جزاعا من الردى

فلم اك ذا حيد من الموت جازعا

حميت ذماري فانتهبت ذمارهم

ومن لا يحامي ظلّ خزيان ضارعا

ولما تساقينا سجالاً حروبنا

سقيتهم سما من الموت نافعا(٢)

وهل زدت ان وفيتهم صاع قرضهم

فوافوا منايا قدرت ومصارعا

فهاك بلادي إنني قد تركتها

مهاداً ولم أترك عليها منازعا

---

(١) بشريان الهبيد : شجرة الحنظل .

(٢) في الاصل : سقيتم

ومنهم عباس بن ناصح الثقفي الجزيري المتوفى بعد سنة ٢٣٠هـ (*)
ومن شعره حين سمع يوما إمرأة تقول : واغوثاه ، ياحكم ضيعتنا وأسلمتنا ، واشتغلت عنا حتى استأسد العدو علينا .

فصاغ هذه الاستغاثة شعرا ، ورفعه الى الحكم ، وقد وصل منه قوله(١) :

تململت في وادي الحجارة مسهدا
أراعي نجوما ما يردن تغوّرا
إليك ابا العاصي نضيت مطيّتي
تسير بهمّ سارياً ومهجّرا
تدارك نســاء العالمين بنصـرة
فإنك أحرى ان تغيث وتنصرا

ومنهم يحيى بن الحكم الغزال المتوفى في سنة (٢٥٠) هـ(٢) والذي وصل الينا شعر كثير له ، منه قوله في الزهد(٣) :

ارى اهل اليسار اذا توفوا — بنوا تلك المقابر بالصخور
أبوا إلا مباهاة وفخـــرا — على الفقراء حتى في القبور
فان يكن التفاضل في ذراها — فان العدل فيها في القعور

(*) انظر ترجمته في ابن الفرضي ٢٩٦ وانباه الرواة ٢/٢٦٥
(١) نفح الطيب ٣٢١/١
(٢) ترجمته في المغرب ٥٧/٢ ونفح الطيب ٢/٢٥٤-٢٦٢
(٣) نفح الطيب ٢٥٦/٢

رضيت بمن تأنى في بناءٍ | فبالغ فيه تصريف الدهور
ألمّا يبصروا ما خربته الد | هور من المدائن والقصور
لعمر ابيهم لو ابصروهم | لما عرف الغني من الفقير
ولا عرفوا العبيد من الموالي | ولا عرفوا الاناث من الذكور
ولا من كان يلبس ثوب صوف | من البدن المباشر للحرير
اذا اكل الثرى هذا وهذا | فما فضل الكبير على الحقير

ومنهم العباس بن فرناس (اول من حاول الطيران) المتوفى في سنة (٢٧٤)هـ(*) وكان هذا الشاعر في طليعة شعراء الوصف في الاندلس، قال في وصف النخيل(١) :

حنايا كامثال الأهلة ركبت | على عمدٍ تعتد في جوهر البدر
كأن من الياقوت قيست رؤسها | على كل مسنون مقيض من السدر
ترى الباسقات الناشرات فروعها | موائس فيها من مداولة الوقر
كأن صناعا صاغ بين غصونها | من الذهب البادي عراجين من تمر
نشت لؤلؤآثم استحالت زمردا | يؤول الى العقيان قبل جنى البسر

ومن صوره الجميلة وتشبيهاته الرائعة قوله في فلاة(٤) :

(*) ترجمته في جذوة المقتبس ٣٠٠ ونفح الطيب ١/١٠١
(١) كتاب التشبيهات من اشعار اهل الاندلس ٧٠
(٢) مسنون : مخروط مصقول ، مقيض : منقعر ، اي قطع من منابته واتخذ للبناء
(٣) الوقر : الحمل
(٤) المصدر السابق ١٧٧

موسومة بالبعد تحسب سهلها ألقى السماء بحوله أطنابا
فكأنها دار تقاذف صحنها لم يجعل الباني لها أبوابا

وعرفت هذه الفترة من تاريخ الاندلس عددا كبيراً من الشعراء غير الذين ذكرناهم ، يستطيع القاريء الرجوع اليهم ، والتعرف عليهم في مصادر الادب الاندلسي ، نحيل في ادناه الى صفحات بعض تلك المصادر (١) .

---

(١) انظر المغرب ١/١١١و١٣٢و١٤٣و٣٦٢و٢/٢٣و٥٨ . والبيان المغرب ٢/٨٦و١١٣و١٥٤ . والمقتبس ٨و١٢و٣٤و٣٥و٤٥و٤٧و٤٨و١٤٣ . والتشبيهات ٣٢٢ و ٣٢٥ و ٣٣٢ و ٣٣٥



الفنونُ الشَعبيّة

١ - الموشحات الاندلسية

٢ - فن الزجل

٣ - الدوبيت



الموشحات الاندلسية

الموشح لون من ألوان النظم ، ظهر في الاندلس ، في أواخر القرن الثالث الهجري « التاسع الميلادي » وهو يختلف عن غيره من ألوان النظم الاخرى ، بالتزامه نظاما خاصا في التقفية ، وبخروجه على بحور الخليل في أغلب الاحيان وخلوه من الوزن في احيان أخـــرى ، مع استعماله اللغة العامية او الأعجمية في بعض أجزائه،وتقسيمه الى اجزاء لانجدها في ألوان النظم الاخرى ، وحين عدّ الابشيهي الفنون لم يجعل الموشحات نوعاً من الشعر ، بل جعلها فنيّا قائما بذاته مثله مثل الشعر والفنون الاخرى ، قال : والفنون السبعة المذكورة عند الناس هي : الشعر القريض والموشح والدوبيت والزجل والمواليا والكان كان والقوما(١) .

وقد عرض الاقدمون لتعريف هذا المصطلح فقال ابن سناء الملك : الموشح كلام منظوم على وزن مخصوص(٢) . وزاد الصفدي على هذا التعريف فقال : هو كلام منظوم ،على قدر مخصوص ، بقـــواف

---

(١) المستطرف ٢/٢٣٦ .

(٢) دار الطراز ٢٥ .

مختلفة(١) . اما ابن خلدون فقال : استحدث المتأخرون منهم (يعني الاندلسيين) فنا سموه بالموشح ، ينظمونه اسماطا اسماطا ، واغصانا اغصانا ، يكثرون منها ومن اعاريضها المختلفة(٢) .

وقال المحبي : وهو في اعرابه كالشعر ، لكنه يخالفه بكثرة اوزانه، وتارة يوافق اوزان الشعر ؛ وتارة يخالفها(٣) .

وقال صاحب التاج : انه اسم لنوع من الشعر استحدثه الاندلسيون وهو فن عجيب له اسماط واغصان واعاريض مختلفة(٤) .

والصلة بين هذا المصطلح الادبي وبين المعنى اللغوي وثيقة وواضحة ، لأن الوشاح في اللغة : العقد من لؤلؤ وجوهر منظومين بطريقة مخالف بينهما ومعطوف احدهما على الاخر ، تتوشح المرأة به. ويقول الجوهري : انه ينسج من أديم عريض ويرصع بالجواهر ، وتشدّه المرأة بين عاتقيها وكشحيها(٥). ومن معانيه التنميق ايضا كما قال الشاعر الاندلسي ابو بكر بن عمار :

---

(١) توشيع التوشيح ٢١ .

(٢) المقدمة ٣/٣٩٠ .

(٣) خلاصة الأثر ١/١٠٨ .

(٤) الزبيدي مادّة (وشح) .

(٥) انظر اللسان والقاموس (وشح)

سيأتيك في امري حديث وقد اتى

بزور بني عبد العزيـز موشّح

أي منمق بالتزوير .

والشبه واضح بين هذه المعاني وبين مصطلح الموشح في اختلاف الوزن والقافية في الابيات وجمعها في كلام واحد(١) .

وربما سمي بذلك نقلاً عن قولهم : ثوب موشح ، وذلك لوشيٍ يكون فيه ، فكأن هذه الاسماط والاغصان التي يزينون بها ، هي من الكلام في سبيل الوشي من الثوب ، ثم صارت بعد ذلك علمـا(٢) . وقال المحبي : إنما سمي بذلك لأن خرجاته وأغصانه كالوشاح(٣) .

اندلسية الموشحات :

أجمع مؤرخو الشعر العربي على ان فن الموشحات هو فن اندلسي خالص ، ُعرف به ابناء الاندلس ومنهم انتقل متاخراً الى المشرق. وانه اروع ما خلف الاندلسيون من تراث ادبي .

فقال ابن بسّام : وكانت صنعة التوشيح التي نهّج اهل الاندلس طريقها ، ووضعوا حقيقتها(٤) .

---

(١) بلاغة العرب في الاندلس ٢٢٤ .

(٢) تاريخ آداب العرب ٣/١٦٠ .

(٣) خلاصة الاثر ١/١٠٨ .

(٤) الذخيرة ق ١/م ٢/١ .

ويؤكد ابن سناء الملك اندلسية الموشحات ايضا فيقول : وبعد فان الموشحات مما ترك الاول للاخر ، وسبق بهـا المتأخر المتقدم ، واجلب بها أهل المغرب على اهل المشرق ... صار المغرب بها مشرقا لشروقه في أفقه ، وإشراقها في جوه(١) .

ويؤيد ابن دحية الكلبي هذا الرأي فيقول عن الموشحات : وهي من الفنون التي اغرب بها اهل المغرب على أهل المشرق ، وظهروا فيها كالشمس الطالعة والضياء المشرق(٢) .

ويتحدث ابن خلدون عن ظروف ظهور الموشح في الاندلس ويؤيد الرأي القائل باندلسيته فيقول : واما اهل الاندلس لمـا كثر الشعر في قطرهم وتهذبت مناحيه وفنونه ، وبلغ التنميق فيه الغاية ، إستحدث المتأخرون منهم فناً سموه الموشح(٣) .

ويجعل المقري الموشح من فضائل اهل الاندلس الذين سبقوا اهل المشرق فيها واستحسنها اهل المشرق فاقتدوا بالمغاربة فيـها ، قال : ومن فضائلهم إختراعهم للموشحات التي إستحسنها اهل المشرق وصاروا ينزعون منزعهم فيها(٤) .

---

(١) دار الطراز ٢٣ .

(٢) المطرب ١٨٦ .

(٣) المقدمة ٣/٣٩٠ .

(٤) نفح الطيب ٢/١٢٣ .

اما الباحثون المحدثون فيذهب معظمهم الى اندلسيتها ايضا كالدكتور شوقي ضيف في (مقدمة فن التوشيح)(١) والدكتور مصطفى عوض في (فن التوشيح)(٢) والدكتور غنيمي هلال في (الادب المقارن)(٣) والدكتور ممدوح حقي في (العروض الواضح)(٤) والدكتور جودت الركابي في (في الادب الاندلسي)(٥) والدكتور عمر الدقاق في (ملامح الشعر الاندلسي)(٦) والدكتور مصطفى الشكعة في (الادب الاندلسي)(٧) والدكتور احمد ضيف في (بلاغة العرب في الاندلس)(٨) وهلال ناجي في مقدمة (جيش التوشيح) (٩) والدكتور احمد هيكل في (الادب الاندلسي من الفتح الى سقوط

---

(١) فن التوشيح ص ٨

(٢) فن التوشيح ص ٩٣

(٣) الادب المقارن ص ٢٧

(٤) العروض الواضح ص ١٤٣

(٥) في الادب الاندلسي ص٢٨٦

(٦) ملامح الشعر الاندلسي ص ٣٣٣

(٧) الادب الاندلسي ص ٣٧٢

(٨) بلاغة العرب في الاندلس ص ٢٢٤

(٩) جيش التوشيح المقدمة ٠ ع

الخلافة)(١)والدكتور حكمت الاوسي في (فصول في الادب الاندلسي)(٢) والدكتور إحسان عباس في (تاريخ الادب الاندلسي - عصر الطوائف والمرابطين)(٣)والدكتور محمد مهدي البصير في(الموشح في الاندلس)(٤)

اما الموشح الذي نسب الى الشاعر المشرقي ابن المعتز المتوفي في سنة ٢٩٥ هـ فأوهم بعض الباحثين وجعلهم يقولون بمشرقية الموشحات لان ابن المعتز سبق في وفاته جميع الاندلسيين الذين تنسب اليهم الموشحات الاندلسية الاولى ، والحقيقة ان هذا الموشح ليس لابن المعتز ، بل هو لوشاح اندلسي اسمه ابن زهر ، وسنناقش هذه القضية عندما نعرض لأوائل الوشاحين بعد قليل .

أوائل الوشاحين :

اختلف مؤرخو الموشحات الاندلسية في اسم اول من اخترع هذا الفن ، فذهب ابن بسام الى القول : واول من صنع اوزان هذه الموشحات بأفقنا ، واخترع طريقها - فيما بلغني - محمد بن حمود (محمود) القبري الضرير ... وقيل : ابن عبد ربه صاحب

---

(١) الادب الاندلسي ص ١٤٠

(٢) فصول في الادب الاندلسي ص ١٢٨

(٣) تاريخ الادب الاندلسي ص ٢١٦

(٤) الموشح في الاندلس ص ٧

كتاب العقد اول من سبق الى هذا النوع من الموشحات عندنا . ثم نشأ يوسف بن هارون الرمادي فكان اول من اكثر فيها(١) وينقل المقري عن الحجاري قوله : ان المخترع لها بجزيرة الاندلس المقدم ابن معافى القبري ، من شعراء الامير عبد الله المرواني ، واخذه عنه ابو عمر أحمد بن عبد ربه صاحب العقد ، ثم غلبهما عليه المتأخرون وأول من برع فيه منهم عبادة بن القزاز شاعر المعتصم صاحب المرية

ويقول ابن خلدون : وكان المخترع لها بجزيرة الاندلس مقدم بن معافر القبري ، من شعراء الامير عبد الله بن احمد بن محمد المرواني واخذ عنه ذلك عبد الله بن عبد ربه صاحب كتاب العقد (٢) . ولم يظهر لهما مع المتاخرين ذكر ، وكسدت موشحاتهما ، فكان اول من برع في هذا الشأن بعدهما عبادة القزاز شاعر المعتصم بن صمادح صاحب المرية.وقد ذكر الاعلم البطليوسي انه سمع ابا بكر بن زهر يقول كل الوشاحين عيال على عبادة القزاز فيما اتفق له من قوله :

بدر تم ـ شمس ضحى ـ غصن نقا ـ مسك شم
ما اتم ـ ما اوضحا ـ ما اورقا ـ ما انسم

---

(١) الذخيرة ق١ م٢/١

(٢) كذا في هذه الطبعة وهو احمد .

لاجرم ـ من لمحا ـ قد عشقا ـ قد حرم

وزعموا انه لم يسبق عبادة وشاح من معاصريه(١) .

ومهما يكن فان هذين القبريين ليسا اسما لواحد كما يقول الدكتور الاهواني ، بل هما اسمان مختلفان لشاعرين اندلسيين نشأ كلاهما في بلدة واحدة ، هي قبرة وكانا متعاصرين(٢) . وان موشحات هذين الرجلين لم تصل الينا ، ولا موشحات ابن عبد ربه الاندلسي ، ولم يصبح الموشح فنا قائما بذاته على وفق اسسه وقواعده التي سنراها إلا على يدي الشاعر عبادة بن ماء السماء المتوفى سنة ٤٢٢ هـ حيث قال ابن بسام : وكان ابو بكر (عبادة بن ماء السماء) في ذلك العصر شيخ الصناعة وإمام الجماعة ، سلك الى الشعر مسلكا سهلا ، فقالت له غرائبه : مرحبا واهلا ، وكانت صنعة التوشيح التي نهج اهل الاندلس طريقها ووضعوا حقيقتها ، غير مرقوقة البرود ، ولا منظومة العقود ، فاقام عبادة هذا منآدها وقوم ميلها وسنادها ، فكأنها لم تسمع بالاندلس الا منه ، ولا اخذت الا عنه ، واشتهر بها اشتهارا غلب على ذاته ، وذهب بكثير من حسناته(٣) .

وقد حاول الصفدي ان يقدم ثبتا يسرد فيه من سبق الى فن التوشيح

---

(١) المقدمة ٣٩١/٣

(٢) انظر مجلة الاندلس العدد ١٣ .

(٣) الذخيرة ق١م١/٢

من الاندلسيين في فصل مستقل ، فقال : فمن سبق الى فن التوشيح وسبق الى اهل الغاية من اهل المغرب جماعة وهم : عبادة بن مـــاء السماء ، وابو بكر محمد بن عبادة القزاز ، وعبادة بن محمد بن عبادة الاقرع ، ويليهم في الاجادة ابو العباس التطيلي ، وابو بكر بن بقي وابو بكر الابيض الشاعر ، وابن عبد ربه صاحب كتاب (العقد) وابو بكر بن اللبانة ، وابو عبد الله بن رافع رأسه ، وابو الحسن علي ابن عبد الغني الحصري ، وابو عبد الله محمد بن الحسن البطليوسي الكميت ، وابو عبد الله محمد بن شرف ، وابو القاسم المنيشي ، والوزير ابو بكر يحيى بن الصيرفي ، وابو الوليد يونس بن ابي عيسى المرسي الشاعر الخباز ، وابو بكر السرقسطي الجزار ، وابن الفرس ، والوزير عيسى بن لبون ، والوزير المشرف ابو بكر بن رحيم ، والوزير ابو عامر بن ينق ، والوزير ابو بكر محمد بن زهر الحفيد ، والوزير الكاتب احمد بن مالك السرقسطي ، وابن سماديس وابو بكر بن ملوك القرطبي ، وابن جاخ الصباغ ، وابو الحسن علي بن الحسن بن علي بن معبد القرشي المعروف بتلل الغد ، وابن هاني الاصغر ، وذو الوزارتين ابن عمار ، وابن ابي الرجال ، وابن الزقاق ، وابو الحكم مالك بن عبد الرحمن المرحل ، وابراهيم بن سهل الاسرائيلي (١).

ومهما يكن من اختلاف في حقيقة مخترع الموشحات فان ذلك

(١) توشيع التوشيح ٣١

لاينفي وجوده ، وقد يكون تعاور اكثر من اديب على تطويره حتى وصل الينا وهو على هذه الصورة المتكاملة ، شأنه في ذلك شأن اي عمل فني او ادبي . ولا ينفي ان يكون مخترعه الاول اندلسيا وليس مشرقيا كما ذهب البعض حين وجدوا موشحا لابن المعتز في احدى نسخ ديوانه(١) مطلعه :

ايها الساقي اليك المشتكى   قد دعوناك وان لم تسمع

ونحن نقطع بان هذا الموشح ليس لابن المعتز بل هو لشاعر اندلسي اسمه ابو بكر محمد بن عبد الملك بن زهر الايادي المعروف بالحفيد ولد في سنة ٥٠٤ هـ وتوفي في سنة ٥٩٥ هـ .

وثمة ادلة كثيرة تثبت هذه الحقيقة اشار الى اكثرها من سبقنا من الباحثين(٢) وابرز هذه الادلة . ان هـذا الموشح انفردت بطبعه واحدة من طبعات الديوان في بيروت اخذت عن نسخة مخطوطة فريدة محفوظة في المكتبة الخديوية بالقاهرة ، وهي نسخة غير مؤرخة وليس فيها اسم الناسخ لنعرف قيمتها . وان الطبعات الاخرى لم تثبت هذه الموشحة

---

(١) ديوان ابن المعتز القسم الثاني ص٣٣ . وانظر نظرات في تاريخ الادب الاندلسي ص ٢٢٧ .

(٢) انظر ادباء العرب ص٧٧ وفن التوشيح ص٩٤ ومجلة الرسالة العدد ٤٥٩

مما يجعلنا نظن ان ناسخ الديوان هو الذي اضاف هذه الموشحة الى شعر ابن المعتز .

ويؤكد هذا ان الصولي ت ٣٣٥ هـ صديق ابن المعتز ، وجامع ديوانه ومؤلف كتاب الاوراق لم يثبت هذا الموشح في شعر ابن المعتز الذي جمعه او الذي اختاره في اوراقه . وتوصل صديقنا الدكتور يونس احمد السامرائي الى ان المصدر المسؤول عن نسبة هذا الموشح الى ابن المعتز هو كتاب (الاعلام باعلام بيت الله الحرام) لقطب الدين النهروالي المتوفى سنة ٩٩٠هـ وتمثل بنماذج من شعر ابن المعتز،كان من جملتها هذا الموشح . وانه لم يعثر على هذا الموشح منسوبا لابن المعتز في اي كتاب اخر مخطوط اومطبوع يرقى الى ابعد من هذا التاريخ،اي تاريخ وفاة النهروالي.

وقد كان للحياة الاجتماعية في الاندلس اثر كبير في ظهور هذا اللون من النظم ، فشيوع مجالس الانس واللهو والطرب والغناء مع تفشي اللغة الوسطى بين العامية والفصحى والاعجمية مع حب الابتكار لديهم وميلهم الى الجمال والرفاهية حتى في اوزان الشعر(١)هذه العوامل مجتمعة اتاحت لهذا الفن ان يظهر وينمو لانه يعتمد الغناء في تقسيماته ، والالفاظ العامية والاعجمية في خرجاته، مما ينسجم مع القريض العربي ولا يستطيع الشاعر ان يعبر عنه بيسر . فكان الموشح ثمرة من ثمرات الغناء الذي انتشر في ارجاء الاندلس ، ولهذا بقيت الموشحات غذاء الاندلسيين يجدون فيها ذلك اللحن والموسيقى ، وتلك النشوة المتصلة التي لاتعرف اليقظة الاعلى يأس جديد ولهو جديد ، وكان ابتداع فن الموشح فتحا جديدا في التفلت من قيود الوزن والقافية(٢) .

---

(١) بلاغة العرب في الاندلس ٣٢٥ (٢) في الادب الاندلسي ٢٩٣

ويؤكد ما ذهبنا اليه ان مصادر موثوقة اثبتت هذا الموشح لابن زهرالاندلسي، منها المطرب(١) ومعجم الادباء (٢) وطبقات الاطباء (٣) والمغرب (٤) وجيش التوشيح (٥) وتوشيع التوشيح (٦)، وهو في اقدم مصدر مشرقي للموشحات (دار الطراز) (٧) مذكور ضمن الموشحات المغربية .

ولم أر مصدراً قديما ينسبه لابن المعتز او يذكر ان ابن المعتز كان معروفا بنظم الموشحات. ولو كان كذلك لما جعل المؤرخون ابن سناء الملك اول وشاح مشرقي، وهو من القرن السادس اذ توفي في سنة ٦٠٨ هـ .

ولوجدنا موشحات اخرى لابن المعتز سواء في ديوانه او في ثنايا تراجمه وملتقطات شعره في المصادر الاخرى ، ولكننا لم نر موشحا

---

(١) ابن دحية الكلبي ص ١٨٧

(٢) ياقوت ٢١٩/١٨

(٣) ابن ابي اصيبعة ٢ /٧٢

(٤) ابن سعيد الاندلسي ٢٦٧/٢

(٥) لسان الدين الخطيب ص ٢٠٢

(٦) الصفدي ص ١٣٦

(٧) ابن سناء الملك ص ٧٣

آخر منسوباً له ، وليس معقولاً ان ينفرد وشاح بموشح واحد فقط ، بينما نجد موشحات كثيرة لابن زهر تشبه هذا الموشح (١).

بناء الموشح :

يتألف الموشح من اجزاء مختلفة يكوّن مجموعها بناء الموشح الكامل، وقد اصطلح النقاد على تسمية هذه الاجزاء بمصطلحات ، وهذه الاجزاء هي :

١ ـ المطلع .
٢ ـ القفل .
٣ ـ الدور .
٤ ـ السمط .
٥ ـ الغصن .
٦ ـ البيت .
٧ ـ الخرجة .

وقبـــل ان نشرع في توضيح هذه المصطلحات نثبت نصاً لموشح اندلسي ، ليمكن الرجوع اليه في شرح هذه المصطلحات . والموشح

---

(١) انظر مثلا توشيع التوشيح ٥٧ و ١٠١ و ١٠٦ وجيش التوشيح ١٩٦ ـ ٢١٢

لابي بكر يحي بن محمد القرطبي ، المعروف بابن بقي المتوفى سنة ٥٤٠ هـ (١) :

عبث الشوق بقلبي فاشتكى ألم الشوق فلبت أدمعي

* * *

أيها الناس فؤادي شغف

وهو من بغي الهوى لا يُنصف

كم أداريه ودمعي يكف

أيها الشادن من علمكا بسهام اللحظ قتل السبع (٢)

* * *

بدر تم تحت ليل أغطش (٣)

طالع في غصن بان منتشي

أهيف القد بخد أرقش (٤)

ساحر الطرف وكم ذا فتكا بقلوب الأسد بين الاضلع

* * *

---

(١) نفح الطيب ٥/ ٣٦٨

(٢) الشادن : ولد الظبية الذي استغنى عن امه

(٣) اغطش : مظلم

(٤) ارقش : حسن جميل

أي ريم رمته فاجتنبا

وانثنى يهتز من سكر الصبّا

كقضيب هزه ريح الصبّا

قلت: هب لي يا حبيب وصالكا   واطرح اسباب هجري ودع

* * *

قال: خدي زهرة مذفوّفا(١)

جرّدتْ عيناي سيفا مرهفا

حذراً منه بأن لا يقطفا

إنّ من رام جناه هلكا   فأزل عنك علال الطمع (٢)

* * *

ذاب قلبي في هوى ضبي غرير

وجهه في الدجن صبح مستنير

وفؤادي بين كفيه أسير

لم أجد للصبر عنه مسلكا   فانتصاري بانسكاب الأدمع

---

(١) فوّف : صار ابيض مشربا بحمرة

(٢) علال الطمع : استدراره باستمرار

١ ـ المطلع :

مطلع كل موشح ويسمى مذهبه هو الجزء الاول منه ؛ ويقابل مطلع القصيدة الذي هو البيت الاول منها . واذا ذكر المطلع في الموشح سمي (الموشح التام) ويمثل موشح ابن بقي هذا النوع ومطلعه :

عبث الشوق بقلبي فاشتكى   ألم الشوق فلبت أدمعي

وقد يحذف المطلع فيسمى (الموشح الاقرع) لانه لا غطاء له ؛ وليس في رأسه شيء ، مثل موشح ابن زهر الذي يبـدأ بقوله (١) :

يا من تعاطينا الكؤوس على اذكاره
وقضى على قلبي فلم يأخذ بثاره
وأقرّ أحكام القصاص على اختياره

ان أقل حسبي   فالجور تأباه الطباع

وأقل أشطار المطلع اثنان مثل النموذج الذي ذكرناه في موشحة ابن بقي ، ويجوز ان تكون الاشطار افقية او عمودية .

ويمكن ان يكون المطلع مركبا من ثلاثة اجزاء ،مثل موشح

(١) جيش التوشيح ١٩٨

ابن الجزار السرقسطي والذي يقول في مطلعه (١) :

ويح المستهام   صار الجسم فيا   بأيدي السقام

او اربعة اجزاء مثل مطلع موشح ابن رافع رأسه (٢) :

قد كانت في عدن   فاختلت والهني   كأن ابليس   قد وشى الى إلفي

أو مركبا من خمسة اجزاء او ستة او سبعة ، وقد يصل الى الثمانية مثل مطلع موشح ابن اللبانة (٣) :

على عيون العين   رعي الدراري   من شغف   بالحب
واستعذب العذاب   والتذ حاليه   من أسف   وكرب

قال ابن سناء الملك : واقل ما يتركب القفل من جزئين فصاعدا الى ثمانية اجزاء ، وقد يوجد في النادر ما قفله تسعة اجزاء وعشرة اجزاء ، ولم اجد للمغاربة منه ما أثق بنسبه ، فلهذا لم اذكر مثالاً منه (٤) .

(١) جيش التوشيح ١٤٧
(٢) المصدر السابق ٧٣
(٣) المصدر نفسه ٥٩
(٤) دار الطراز ٢٧

٢ ـ القفل :

وهو الجزء الذي يتكرر في الموشحة متفقا مع المطلع من حيث الوزن والقافية وعدد الاجزاء ، يتكرر ست مرات في الموشح التام ، وخمس مرات في الموشح الاقرع .

والمطلع في كل موشح دو القفل الاول ، والقفل الثاني في موشح ابن بقي والذي يكون ترتيبه بعد المطلع هو :

ايها الشادن من علمكا   بسهام اللحظ قتل السبع

والقفل الثالث هو :

ساحر الطرف وكم ذا فتكا   بقلوب الاسد بين الأضلع

٣ ـ الدور :

وهو الجزء الذي يعقب المطلع في الموشح التام ، ويتصدر الموشح في الاقرع ، وتكون اشطره موحدة القافية ، إلا ان قافية كل دور تختلف عن قافية الدور الاخر في الموشح نفسه ، والدور الاول في موشح ابن بقي هو :

ايها الناس فؤادي شغف

وهو من بغي الهوى لا ينصف

كم أداريه ودمعي يكف

والدور الثاني :

بدر تم تحت ليل أغطش
طالع في غصن بان منتشي
أهيف القد بخد أرقش

وهكذا حتى يتكرر خمس مرات ، وهو العدد الذي غلب على الموشحات التى نظمت للغناء ، اما الموشحات الشعرية فلم يتقيد الوشاحون فيها بهذا العدد ، ونظموها في اكثر من خمسة ادوار، فقد نظم السرقسطي مثلا موشحا في ستة ادوار (١) ونظم ابن بقي موشحا في سبعة ادوار (٢) ونظم الصفدي موشحا في تسعة ادوار (٣) .

٤ ـ السمط :

هو كل جزء او شطر من اشطر الدور ، ولا يقل عددها في اي دور عن ثلاثة . وقد يزيد على ذلك على حسب ما يرتئيه الوشاحون، وعددها في الدور الاول هو الذي يحددها في الادوار الاخرى، ففي

(١) جيش التوشيح ٢١٨
(٢) المصدر نفسه ١٤
(٣) توشيع التوشيح ١٦٦

موشحة ابن بقي السابقة التزم الوشاح بثلاثة اسماط في الدور الاول ، وكرر هذا العدد في الادوار الاخرى .

ويجب ان تكون اسماط كل دور من قافية موحدة ، ولا يشترط ان يكون الدور الاخر من القافية نفسها .

فالسمط الاول من الدور الاول في موشحة ابن بقي هو :

ايها الناس فؤادي شغف

والسمط الاول من الدور الثاني هو :

بدر تم تحت ليل أغطش

والقافية مختلفة في هذين السمطين كما نرى ؛ وهما يختلفان عن قافية الدور الثالث الذي سمطه الاول هو :

اي ريم رمته فاجتنبا

والثلاثة تختلف عن قافية اسماط الدور الرابع والخامس في الموشحة نفسها .

وقد يكون السمط مفردا ، اي من شطر واحد ، مثل موشح ابن بقي السابق ، او يكون مركبا من فقرتين او اكثر .

ومثال المركب من فقرتين قول الاعمى التطيلي في الدور الاول من موشحة له (١) :

---

(١) جيش التوشيح ص ٢٧

سطوة الحبيب	أحلى من الجنى النجل
وعلى اللبيب	ان يخضع للذل
انا في حروب	مع الأعين النجل

ومثـــال المركب من ثلاث فقرات قول ابن بقي في موشحة له (١) :

كيف لا	يغدو لباسي	ثوب السقام
وطـــلا	ظبي الكناس	سر الغرام
ما على	مثلي من باس	ان يستهام

ومثال المركب من اربع فقرات قوله في موشحة اخرى (٢) :

بأبـــي	ظبي حمى	تكنفه	أسد غيل
مذهبي	رشف لمى	قرقفه	السلسبيل
يستبي	قلبي بما	يعطفه	اذ يميل

وللوشاح ان يزيد في عدد الفقرات كما يشاء ، ولكن يشترط أن يحافظ على عدد فقرات الاسماط في الادوار جميعا ، كما حددها في الدور الاول .

---

(١) المصدر السابق ص ٧

(٢) المصدر السابق ص ٥

وعليه ان يحافظ على توحيد قوافي الاجزاء الداخلية في كل سمط اذا تعددت ، والا كان عيبا في الموشح ، كالذي فعله ابو العباس المنتاني حين لم يلتزم بوحدة قافية الاجزاء الداخلية من اسماط الدور الاول،فقال (١) :

اشرب على مبسم الزهر حين رق الاصيل

والشمس تجنح للغرب والنسيم عليل

وكلنا مثل ُورق لها لدينا هديل

وهذا خروج الجاهل بفن التوشيح ، لا خروج العبقري المتحدي للقوانين التي تقيده ، فهذا الرجل ليـس من مشاهير الوشاحين ، وموشحه هذا ركيك سقيم الاسلوب (٢) .

٥ ـ الغصن :

اصطلاح يطلق على كل شطر من اشطر الاقفال . وأقل أغصان أي قفل اثنان من قافية واحدة ، كقول ابن بقي في مطلع موشحة له له (٣) :

---

(١) المغرب ٢٦٣/٢

(٢) فن التوشيح ٣١

(٣) جيش التوشيح ١٤

ما العتب احتياطاً عندي ولا صاحب العتب مني

وقوله في القفل الثاني :

بقلبي أحاط وجدي فأجراه في سحب جفني

او اثنان من قافيتين مختلفتين كقول ابن رافــع رأســه في مطلع موشح له (١) :

بسيفك أم لحظك الفاتر سفكت دم الاسد

وقوله في القفل الثالث :

جرى الماء في خدك الزاهر فنمّ على الورد

وقد تكون اغصان القفل ثلاثة من قافية واحدة ، كقول ابن اللبانة في مطلع موشح له (٢) :

هلا عذولي قد خلعت العذار لا اعتذار

عن ظبا الانس وشرب العقار

او ثلاثة من قواف مختلفة ، كقول الوزير ابن شرف (٣) :

---

(١) المصدر السابق ٨١

(٢) المصدر السابق ٧٠

(٣) المصدر السابق ١٠٣

نم يا رذاذ　　هذي الربا والرياض　　من هواك أيقاظ

وقد يتكون القفل من اربعة اغصان ، مرتبة افقيا او عموديا ، كما يشاء الوشاح ، وهذا العدد هو المشهور في اغلب الموشحات ، وان وجد بعضها بزيد على ذلك فهو قليل ، وخاص بوشاحي المشرق كابن سناء الملك وابن نباته .

٦ ـ البيت :

البيت في الموشح غير البيت في القصيدة ، فهو في القصيدة كما هو معروف يتكون من شطرين هما الصدر والعجز .

اما البيت في الموشح فيتكون من الدور مع القفل الذى يليه ، وهو في موشح ابن بقي :

ايها الناس فؤادي شغف

وهو من بغي الهوى لاينصف

كم اداريه ودمعي يكف

أيها الشادن من علمكا　　بسهام اللحظ قتل السبع

(٧) الخرجة :

الخرجة هي القفل الاخير من الموشح، ووجودها شرط اساس في

كل موشح ، ولا يمكن الاستغناء عنها ، بينما يمكن الاستغناء عن القفل الاول وهو المطلع في الموشح الاقرع كما بينا ذلك سابقا .

وقد اكد ابن سناء الملك اهمية الخرجة ، ووصفها بقوله(١) :

والخرجة عبارة عن القفل الاخير من الموشح ، والشرط فيها ان تكون حجاجية(٢) من قبل السخف ، قزمانية(٣) من قبل اللحن حارة محرقة ، حادة منضجة ، من ألفاظ العامة ؛ ولغات الداصة(٤) . هي أبزار الموشح ، وملحه وسكره ، ومسكه وعنبره ، وهي العاقبة وينبغي ان تكون حميدة ، والخاتمة بل السابقة ، وان كانت الاخيرة ، وقولي السابقة لانها التي ينبغي ان يسبق الخاطر اليها ؛ ويعملها من نظم الموشح في الاول ، وقبل ان يتقيد بوزن او قافية ، وحين يكون مسيبا مسرحا ومتبحبحا منفسحا ، فكيف ما جاءه اللفظ والوزن خفيفا على القلب ، انيقا عند السمع ، مطبوعا عند النفس ، حلوا عند الذوق تناوله وتنوّله ، وعمله وعمله ، وبنى عليه الموشح ، لانه قد وجد الاساس ، وامسك الذنب ، ونصب عليه الرأس .

---

(١) دار الطراز ٣٠

(٢) نسبة الى الشاعر العباسي ابن حجاج ت ٣٩١هـ المعروف بمجونه

(٣) نسبة الى الشاعر الزجال الاندلسي ابن قزمان ت ٥٥٤ هـ المعروف بازدرائه للاعراب .

(٤) الداصة ـ اللصوص وسفلة الناس .

وقد اشترط ابن سناء الملك عدم الالتزام بالاعراب في الخرجة وان تكون عامية الالفاظ .

ومثال الخرجة العامية قول الجزار السرقسطي(١) :

احمد محبوبي بالنبي تجي حبيبي بالله جيني حين جي

ومثلها قول ابن زهر(٢) :

عليش حبيبي قطعت الزياره وعينيك سحـــاره

قال ابن سناء الملك عن الخرجة :

فان كانت معربة الالفاظ منسوجة على منوال ما تقدمها من الابيات (الادوار) والاقفال خرج الموشح من ان يكون موشحا(٣) .

وقد استثنى ابن سناء الملك من هذا الشرط :

(١) ما كان موشح مدح ، وذكر الممدوح في الخرجة ، فانه يحسن ان تكون الخرجة معربة كقول ابن بقي :

انما يحيى سليل الكرام واحد الدنيا ومعنى الانام

(٢)ان تكون الفاظها غزلة جـــدا هزازة سحارة خلابة ، بينها وبين

---

(١) جيش التوشيح ١٥٠

(٢) جيش التوشيح ٢١٢

(٣) دار الطراز ٣٠

الصبابة قرابة ، وهذا معجز معوز ، وما يوجد منه في الموشحات سوى موشحين او ثلاثة ، كقول ابن بقي :

ليل طويل ولا معين يا قلب بعض الناس أما تلين ؟

(٣) ان يأخذ الوشاح بيت شعر مشهورا ، فيجعله خرجة ، ويبني موشحه عليه ، كما فعل ابن بقي في بيت ابن المعتز وهو :

علموني كيف اسلو والا فاحجبوا عن مقلتي الملاما

فجعله خرجة لموشح له(١)

وثمة نوع ثالث من الخرجات وهو ان تكون لغة الخرجة اعجمية ، بشرط ان تكون الفاظها من عامية تلك اللغة (٢) • مثال ذلك قول الاعمى التطيلي (٣) :

ما والحبيب دموصار فادر شنار بنفس آست كساد موعار

---

(١) انظر هذا الموشح في دار الطراز ص ٧٤

(٢) انظر دار الطراز ٣٢

(٣) جيش التوشيح ٢٥ . وفي هامشه • الخرجة اعجمية انظر تفسيرها في العدد ١٩ من مجلة الاندلس ــ القطعة الثامنة ــ ١٩٥٤

وقول البطليوسي(١) :

بانه عند حبي شيباش مسطور طرهيره سماجه اشي ادونون

واذا كان اللحن والعامية مما يستحسن في الخرجة فانهما مما يستقبح في غير هذا الموضع من الموشح ، ولذلك سمي الموشح الذي يتضمن لحنا او عامية في غير الخرجة بـ (المزنم) اشتقاقا من الزنيم ، وهو المستلحق في قوم وليس منهم(٢) .

والمتعارف عليه ان الخرجة لابد ان تكون على لسان ناطـق او او صامت ؛ قال ابن سناء الملك : واكثر ما تجعل على ألسنة الصبيان والنسوان ، والسكرى والسكران ، ولابد في البيت (الدور) الذي قبل الخرجة من : قال او قلت او قالت او غنى او غنيت او غنت ، فمما جعل على لسان الحمام قول عبادة :

ان الحمام في ايكها تشدو

قل هل علم او هل عهد او كان كالمعتصم والمعتضد ملكان(٣)

---

(١) المصدر السابق ٨٦

(٢) انظر دار الطراز ٢٧ . والقاموس المحيط (زنم)

(٣) دار الطراز ٣٧

وثما جعل على لسان الوشاح نفسه ، قول ابن اللبانة(١) :

وصحح الناضر العيانا   شدوت لاألتوى لسانا

لم يمش على الصعيد   مثل الرشـــيد

وثمة ألفاظ كثيرة من هذا النوع تسبق الخرجة ؛ وتدل على فعل القول مثل :

يغني وما اشتق منها ؛ وينشد وما اشتق منها ، ونـادى ومشتقـاتها ، واجاب ومشتقاتها . يمكن ان نجدها في اي سمط من الدور الاخير .

أوزان الموشحات :

تعد الاوزان التي نظمت فيها الموشحات الاندلسية اكبر حركة للتجديد في اوزان الشعر العربية ان لم تكن ثورة جريئة ضد تلك الاوزان . كما انها ثورة ضد القوافي الرتيبة التي كانت الاشعار العربية تلتزم بها دائما .

والمعروف ان الاسماع لا يمكن ان تستسيغ الاوزان الجديدة بيسر ولاول وهلة . ولابد لنا من الدربة والمران على وزن بعينه قبل ان نألفه ونستسيغه . واوزان الشعر في هذا كالموسيقى القومية ، نألفها فنحبها ولا نرضى عنها بديلا ، فاذا سمعنا موسيقى امة اخرى أحسسنا بغرابتها ، ونفر معظمنا منها ، حتى نسمعها مرات ومرات ، فنبدأ

(١) جيشس التوشيح ٦٦

في تذوقها والارتياح اليها ، والناس عادة لايقبلون الطفرة في تطـور موسيقاهم وأوزان شعرهم ، ولكنهم حين يبصرون بنواح من الجمال جديدة في مثل هذا التطور ، وتتكرر على أسماعهم تلك الانغـــام الجديدة ياخذون في الاقبال عليها رويدا رويدا . لهذا فان الموشحات قد نظمت اول ما نظمت على الابحر القديمة ، ثم تطورت فيما بعد فهي في نشأتها تعد مرحلة من مراحل تطور القافية ، ثم تناول التطور اوزانها ايضا(١) .

وربما كان ابن سناء الملك اول من تحدث عن أوزان الموشحات وخير من صنف تلك الاوزان ، وان اعترف بانه عجز عن ضبط تلك الاوزان وحصرها ، مع انه بذل جهدا كبيرا في ذلك على امل ان يحصي تلك الاوزان ويحصرها ، كما فعل الخليل في أوزان القريض . الا انه لم يستطع ذلك قال : وكنت أردت ان اقيم لها عروضا ، يكون دفترا لحسابها ، وميزانا لاوتارها واسبابها ، فعز ذلك واعوز ، لخروجها عن الحصر وانفلاتها في الكف . ويؤكد هذا ان ليس لها وزن الا التلحين والغناء بهما يعرف الموزون والمكسور ، وما لها عروض الا التلحين ، ولا ضرب الا الضرب ، ولا اوتار الا الملاوي . ولا اسباب الا الاوتار ، فبهذا العروض يعرف الموزون من المكسور والسالم من المزحوف ، واكثرها مبني على تاليف الارغن ، والغناء بها

---

(١) موسيقى الشعر ١٢ و ٢١٩

على غير الارغن مستعار وعلى سواه مجاز(١) .

ويمكن تقسيم الموشحات من حيث الوزن الى قسمين رئيسيين هما(٢) :

ما كان على أوزان اشعار العرب ، وهو على نوعين ايضا :

(أ) ما لا يتخلل اقفاله وادواره كلمة تخرج به عن الوزن الشعري ، ويسميه ابن سناء الملك المرذول والمخذول ، وهو بالمخمسات أشبه منه بالموشحات ، ولا يفعله الا الضعفاء من الشـعراء ، ويستثنى من هذا الحكم من جعل قوافي قفله مختلفة ، فانه يخرج باختلاف قوافي الاقفال عن المخمسات كقول بعضهم :

ياشقيق الروح من جسدي أهوىً بي منك ام لمم

فهذا من المديد ، وكقول ابن زهر :

ايها الساقي اليك المشتكى قد دعوناك وان لم تسمع

فهذا من الرمل .

(ب) ما تخللت أقفاله وادواره كلمة او حركة ملتزمة (كسرة كانت او ضمة او فتحة) تخرجه عن ان يكون شعرا صرفا ، وقريضا محضا .

فمثال : الكلمة قول ابن بقي :

صبرت والصبر شيمة العاني ولم اقل للمطيل هجري معذبي كفاني

فهذا من المنسرح واخرجه منه (معذبي كفاني)

---

(١) دار الطراز ٣٥

(٢) اعتمدنا في هذا التقسيم على تقسيم ابن سناء الملك في الطراز ٣٢ ـ ٣٦

ومثال الحركة هو ان يجعل حركة على قافية في وزن ، ويتكلف شاعرها ان يعيد الحركة بعينها وبقافيتها كقوله :

يا ويح صب الى البرق له نظر وفي البكاء مع الورق له وطر

فهذا من البسيط ، والتزام إعادة القافية في وسط الوزن على الحركة المخفوضة هو الذي اشرنا اليه .

٢ ـ ما لا مدخل لشيء منه في شيء من أوزان العرب ، وهذا القسم منها هو الكثير، والجم الغفير ، والعدد الذي لا ينحصر والشارد الذى لا ينضبط .

ويمكن تقسيم الموشحات من جهة اخرى الى قسمين ايضا :

١ ـ قسم اقفاله وزن ادواره حتى كأن اجزاء الادوار من اجزاء الاقفال، كقول الاعمى التطيلي :

أحلى من الامن	يرتاح من قربي	ويغرق
في وجهه سنة	يشجي بها العذول	ويشرق
لله ما أقرب	على محبيـــه	وأبعدا
حلو اللمى أشنب	آسى الضنى فيه	وأسعدا
أحبب به أحبب	ويا تجنّيه	طال المدى
اما ترى حزني	ناراً على قلبي	تحرق
حسبي بها جنة	يا ماء ياظل	يارونق

٢ ـ وقسم أقفاله مخالفة لاوزان ادواره تتبين لكل سامع ، ويظهر طعمها لكل ذائق ، كقول بعضهم :

الحب يجنيك لذة العذل — واللوم فيه أحلى من القبل

لكل شيء من الهوى سبب — جد الهوى بي وأصله اللعب

وان لو كان جد يغني — كان الاحسان من الحسن

فها انت ترى مباينة الاقفال للاوزان مباينة ظاهرة ، ومخالفة بعضها لبعض مخالفة ظاهرة .

وهذا القسم لا يجسر على عمله الا الراسخون في العلم من أهل هذه الصناعة ، ومن استحق منهم على اهل عصره الامامة .

وثمة تقسيم آخر من جهة التلحين وهو قسمان ايضا :

١ ـ قسم يستقل التلحين به ويفتقر الى ما يعينه عليه ، وهو اكثرها .

٢ ـ قسم لا يحتمله التلحين ولا يمشي به الا بأن يتوكأ على لفظة لا معنى لها تكون دعامة التلحين وعكاز للمغني ، كقول ابن بقي:

من طالب — ثار قتلي — ظبيات الحدوج — فتانات الحجيج

فان التلحين لا يستقيم الا بأن يقول « لا لا » بين الجزئين الجيميين من هذا القفل .

وقد حاول ابن سناء الملك احصاء الاوزان التي تنظم بها الموشحات الى زمانه ، فعجز عن ذلك ووجدها بلا جدول ، كما اشرنا قبل قليل . ونلاحظ ان المستشرق الالماني (هارتمان) في كتابه القديم عن الموشح قد حاول ارجاع اوزان الموشحات الى ١٤٦ وزنا او بحرا

مشتقة من بحور الشعر العربي الستة عشرة ، ولكن لا يمكننا ان نرى في هذه المحاولة الا التصنع والتكلف ، اذ هناك موشحات تشذ عن الاوزان التي ذكرها (هارتمان) ولا تخضع لها .

يتبين مما تقدم ان العرب انما اخترعوا الموشحات من اجل الغناء، فيجدر بنا اذن الا نطلب من الشاعر الوشاح ان يتقيد بوزن قديم معروف تقيدا شديدا ، ان الذي يميز هذا الفن ويكسبه جمالاً ليس العروض المقنن بل حرية الوزن ، وهي مع هذا حرية تقودها اذن موسيقية وضرورات التلحين ، وعلى هذا فليس العجز هو الذي جعل العرب يحجمون عن ايجـــاد عروض مقنن كعروض الشعر العربي التقليدي ، بل وجدوا ذلك يتنافى مع روح هذا الفن الخاضع للحرية والتجديد والتلحين والغناء (١) .

ويظهر ان اكـــثر مؤرخي الشعر القدامى لم يكونوا ينظرون الى الموشحات نظرة ارتياح ، لخروجه على النمط التقليدي من حيث الوزن والقافية ؛ وكانوا يتحرجون من ايراده في كتبهم ، لما فيه من سخف وتماجن ، ولانصراف فحول الشعراء الاندلسيين في القرون الاولى عنه كابن هانيء الاندلسي (٣٢٦ ــ ٣٦٣ هـ) وابن دراج القسطلي (٣٤٧ ــ ٤٢١) وابن شهيد (٣٨٢ ــ ٤٢٦ هـ) وغيرهم .

---

(١) في الادب الاندلسي ـ الركابي ٣٠٢

وقد خلا كتاب العقد الفريد من أي ذكر للموشحات ، مع أنه تحدث عن فنون وعروض الشعر في كثير من فصول كتابه . وخلو هذا الكتاب من اي ذكر للموشحات يجعلنا نشك في ان يكون ابن عبد ربه من اوائل الوشاحين ، فلو كان كذلك لما تردد في ذكر تلك الموشحات ، او الاشادة بفنها في كتابه . وقد رجح باحث معاصر الا يكون صاحب العقد هو المعني في حديث القدامى عن الوشاحين، بل ابن اخيه سعيد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد ربه (١) .

اما ابن بسام فقد اعتذر عن ايراد الموشحات في كتابه الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة . ولم ير الموشحات مما يدخل في ذخيرة محاسن الأندلس ،لان اوزانها خارجة عن غرض اعاريض شعر العرب (٢) وكرر هذا الاعتذار في موضع آخر بقوله ان (تلك الاعاريض خارجة عن هـذا التصنيف) (٣) والفتح بن خاقان يظهر منتهى الاحتقار والسخرية حين يتعرض لهذا الفن في ترجمة المنيشي المعروف بـ (عصا الاعمى) قال : وله ادب ولسن ومذهب فيهما يستحسن ، لكنه نكب عن القطع الجزل الى الغرض الفسل، وليس من شرط كتابي هذا

---

(١) انظر فن التوشيح ١١٢

(٢) الذخيرة ٢/٢/١

(٣) الذخيرة ٣٠/٢/١

اثبات بذاءه ، ولا ان اقف حذاءه ، وقد أثبت له ما هو نافق ولغرضي موافق (١) .

وقد تحدث الدكتور عوض الكريم في هذا الموضوع حديثا ممتعا فلينظر كتابه في ذلك (٢) .

أغراض الموشحات :

تنوعت موضوعات الموشحات وفنونها ، كما تنوعت موضوعات وفنون الشعر ، وثمة شبه كبير بين الموشحات والاشعار من حيث الاغراض والموضوعات . وقد اكد ابن سناء الملك ذلك فقال : والموشحات يعمل فيها مايعمل في انواع الشعر من الغزل والمدح والرثاء والهجو والمجون والزهد (٣) .

وقد كانت بداية الموشحات موشحات الغزل ، لصلتها الوثيقة بفن الغناء الذي عم الاندلس ، وتلحينها في مجالس اللهو والشرب والطرب، فتغنى بهـا المغنون في حلقاتهم ومجالسهم ، وارتفعت بها اصوات القينات . ومن هنا كانت موشحات الغزل من أوائل الموشحات في الاندلس ، وما وصل الينا منها اكثر من أى غرض آخر . وعندما

(١) مطمح الانفس ٨٨
(٢) فن التوشيح ١١٢
(٣) دار الطراز ٣٨

توسع الوشاحون في الاغراض ؛ وادخلوا فنها في المديح ، وجعلوها وسيلة للوصول الى قلب الممدوح وماله وجاهه ، كانوا يصدّرون تلك المدحات بالغزل ايضا ، مقلدين شعراء القريض في ذلك .

وابرز وشاحي الغزل ابو بكر عبادة بن ماء السماء ، إمام الوشاحين المتوفى في سنة ٤٢٢ هـ ، وأبو جعفر احمد بن عبد الله المعروف بالاعمى التطيلي المتوفى في سنة ٥٢٥ هـ ، وابو بكر يحيى ابن بقي المتوفى سنة ٥٤٠ هـ ، وابراهيم بن سهل الاسرائيلي المتوفى في سنة ٦٤٩ هـ ،

ومن موشحات الغزل الشهيرة موشحة أبي بكر محمد بن زهر الاشبيلي ت ٥٩٠ هـ :

ايها الساقي اليك المشتكى   قد دعوناك وان لم تسمع

* * *

ونديم همت في غرته

وبشرب الراح من راحته

كلما استيقظ من سكرته

جذب الزقّ اليه واتكا   وسقاني أربعاً في أربع

* * *

ما لعيني عشيت بالنظر

أنكرت بعدك ضوء القمر

واذا ماشئت فاسمع خبري

عشيت عيناي من طول البكا وبكا بعضي على بعضي معي



غصن بان مال من حيث استوى

بات من يهواه من فرط الجوى

خفق الاحشاء موهون القوى

كلما فكر بالبين بكى ويحه يبكي لما لم يقع



ليس لي صبر ولا لي جلد

يا لقومي عذلوا واجتهدوا

أنكروا شكواي مما أجد

مثل حالي حقه ان يشتكي كمد اليأس وذل الطمع



كبدي حرى ودمعي يكف

يعرف الذنب ولا يعترف

أيها المعرض عما أصف

قد نما حبك عندي وزكا   لا تقل في الحب اني مدع (١)

ومما يميز موشحات الغزل انها كانت تلحّن وتغنّى ومعظم هذه الموشحات يلتزم الوشاحون فيها غرض الغزل ، دون الانتقال الى غرض آخر ، كالذي وجدناه في موشحة ابن زهر السابقة ، وصور ومعاني الغزل في الموشحات لا تختلف كثيرا عن صور ومعاني الشعر القريض .

وقد تسبق خرجاتها بلفظ يدل على الغناء : كغنى وأنشد وشدا ، ففي موشحة الاعمى التطيلي سبق الخرجة بقوله (٢) :

انا فيه أهيم   وهو بي يغني

وفي موشحة لابن بقي سبق الخرجة بقوله (٣) .

واسأل من   عندي ان يغني   على اللسن

---

(١) جيش التوشيح ٢٠٢ ودار الطراز ٧٢

(٢) جيش التوشيح ١٦

(٣) نفس المصدر ٥

وفي موشحة اخرى لابن بقي سبق الخرجة بقوله (١) ٠

قد ملك الحسن في مضمار　　　شدوت والقلب في أدوار

والامثلة في ذلك كثيرة (٢) ٠

ويأتي بعد الغزل فن المديح ، اذ استحوذ على كثير من الموشحات ، وان كانت غير خالصة له ، بل قد تختلط بها بعض الفنون الاخرى مخالفة في ذلك موشحات الغزل الخالصة له . وتوسع الوشاحون في غرض المدح حتى استوفوا اكثر اغراضه ، كالتهنئة ووصف مجالس الممدوحين ، وقصورهم ومناسباتهم الخاصة ٠ وتفرع عن هذا الفن مدح النبي (ص) ، فقد نظم في هذا اللون من المديح كثير من الوشاحين ، وفي طليعة هؤلاء ابوعبدالله بن زمرك الذي يقول في مطلع موشحته (٣) :

هل يحمل الزاد لدار الكريم　　　والمصطفى الهادي شفيع مطاع

وابن الصباغ الجذامي الذي أورد له المقري في ذلك عددا من الموشحات كلها في مديح الرسول (ص) ، مؤكدا انه لم يذكر منها إلا الغرر على انها كلها غرر ٠ ومن تلك الموشحات قوله في مطلع

---

(١) المصدر السابق ٣

(٢) انظر مثلا جيش التوشيح ١٣و٢٥و٤٩و٥١و٦٦و٧٥

(٣) نفح الطيب ١٠/ ١٤٠

موشحة (١) :

لاحمد بهجة　　　كالقمر الزاهر　　　في أبرج السعد

وقريب من مدح رسول الله (ص) موشحات الزهد والتصوف ، التي ساعد على انتشارها كثرة مجالس الذكر وأصحاب الطرق الصوفية . وفي طليعة وشاحي هذا اللون الشيخ محي الدين بن عربي المتوفى سنة ٥٤٣ هـ وابو الحسن الششتري المتوفى في سنة ٦٦٨ هـ ونجد في هذا اللون من الموشحات كثيرا من مصطلحات التصوف واشاراته ورموزه مما يضفي عليه كثيراً من الغموض ، وفيما يلي موشح ابن عربي كنموذج للموشحات الصوفية (٢) :

سرائر الاعيان(٣)　　　لاحت على الاكوان　　　للناظرين

والعاشق الغيران　　　من ذاك في حران　　　يبدي الأنين

❁ ❁ ❁

يقول والوجد　　　أضناه والبعد　　　قد حيّره

لما دنا البعد　　　لم أدرِ من بعد　　　من غيّره

وهيّم العبد　　　والواحد الفرد　　　قد خيّره

(١) ازهار الرياض ٢/٢٣٠

(٢) نفح الطيب ٢/٣٨٠ .

(٣) الاعيان : الاشياء المدركة بالعيان .

في البوح والكتمان والسر والاعلان في العالمين
أما هو الديّان يا عابد الأوثان أنت الضنين

❀ ❀ ❀

كل الهوى صعب على الذي يشكو ذل الحجاب(١)
يا من له قلب لو أنه يذكو عند الشباب
قد قرّب الرب لكنه إفك فانوِ المتاب
وناد يا رحمان يارب يا منان إني حزين
أضنانيَ الهجران ولا حبيب دان ولا معين

❀ ❀ ❀

فنبيت بالله عما تراه العين من كونه
في موقف الجاهِ وصحت أين الأين(٣) في بينه
فقال يا ساهي ماعاينت قط عين بعينه
اما ترى عيلان وقيس أو من كان في الغابرين

---

(١) الاعيان : الاشياء المدركة بالعيان
(٢) الحجاب : المادة التى تحجب الانسان عن رؤية الله تعالى
(٣) الأين : التعب

قالوا الهوى سلطان ان حلّ بالانسان أفناه دين(١)

* * *

كم مرة قالا :	أنا الذي اهوى	من هو أنا ؟
فلا ارى حالا	ولا ارى شكوى	الا الفنـــا
لست كمن مالا	عن الذي يهوى	بعد الجنى
ودان بالسلوان	هذا هو البهتان	للعارفـــين
سلوهم ماكان	عن حضرةالرحمان	والآفكين

* * *

دخلت في بستان	الانس والقرب	كمكنسه(٢)
فقال لي الريحان	يختال بالعجب	في سندسه
انا هو الانسان	مطيّب الصب	في مجلسه
جنّان يا جنّان(٣)	إجن من البستان	الياسمين
وحلل الريحان	بحرمة الرحمان	للعاشقين

فانت ترى ان هذا الموشح يزخر بالفاظ ومصطلحات ليس من السهولة فهمها ، الا من قِبل من تمرّس بهذا العلم وكشف أسراره ٠

ومن موشحات الزهد لون يدعى (المكفّر) وقد عرف ابن سناء

---

(١) الدين : الداء ٠

(٢) المكنسة : المأوى .

(٣) الجنان : حارس الجنة

الملك هذا الموشح بقوله : وما كان منها في الزهد يقال له المكفر.
والرسم في المكفر خاصة ان لا يعمل الا على وزن موشح معروف وقوافي اقفاله ، ويختم بخرجة ذلك الموشح ، ليدل على انه مكفره ومستقبل ربه عن شاعره ومستغفره(١) .

ولابن الصباغ الجذامي عدد من الموشحات المكفرة ، من ذلك الموشح الذي مطلعه :

أطلع الصبح راية الفجر   فتبدّى المكتوم من سرّي

فقد ضمنه مطلع موشحة ابن باجة الذي يقول فيه :

جرّر الذيل أيما جر   وصل الشكر منا بالشكر

كما جعل خرجة موشحه الذي مطلعه :

آه من فرط الوجيب   أورثت قلبي خبلا
زفرات شوق مدنف   منكم لم يُعط وصلا

قول الزجال الشهير بالبعبع :

يافلان ان ريت حبيبي   افتل اذنو بالرسيلا
ليش اخذ عنق الخشيّف   وسرق فم الجحيلا(٢)

(١) دار الطراز ٣٨
(٢) انظر فن التوشيح ٣٥ ــ ٣٧

وقد طاوعت الموشحات موضوع الرثاء ، فبكى بعض الوشاحين من رثوهم في موشحاتهم بكاء حاراً ، ممايدل على قدرة هذا الفن في التعبير عن آلام القلب واحزانه ، من ذلك موشحة ابن حزمون في رثاء قائد الاعنة ببلنسية ابي الحملات بن أبي الحجاج التي مطلعها :

يا عين بكي السراج الأزهرا النيرا اللامع
وكان نعم َ الرتاج فكسرا كي تنثرا مدامع (١)

ومما له صلة وثيقة بالغزل وصف الخمرة ومجالسها ووصف الطبيعة، وكثيرا ما نجد هذين الغرضين مبثوثين في ثنايا موشحات المدح ، أو ممتزجين في موشح واحد مع الغزل ، ولذلك تخلو مثل هذه الموشحات من وحدة الموضوع .

ومن خير مايمثل هذا النوع من الموشحات موشحة الاعمى التطيلي الخمرية الغزلية التى مطلعها (٢) :

ضاحك عن جمان سافر عن بدر
ضاق عنه الزمان وحواه صدري

وموشحة ابن زهر التى يمزج فيها بين الغزل والخمر والطبيعة التى

(١) انظر تكملة الموشح في المغرب ٢١٧/٢
(٢) المغرب ٤٥٣/٢ ونفح الطيب ٣٧٣/٤

يقول فيها (١) :

شاب مسك الليل كافور الصباح ... ووشت بالروض أعراف الرياح



فاسقنيها قبل نور الفلق

وغناء الورق بين الورق

كاحمرار الشمس عند الشفق

نسج المزج عليها حين لاح ... فلك اللهو وشمس الاصطباح

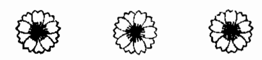


وغزال سامني بالملق

وبرى جسمي وأذكى حرقي

أهيف مذ سل سيف الحدق

قصرت عنه مشاهير الصفاح ... وانثنت بالذعر أغصان الرماح



صار بالذل فؤادي كلفا

وجفوني ساهرات وطفا

كلما قلت جوى الحب انطفا

---

(١) معجم الادباء ٧/٢٣

أمرض القلب بأجفان صحاح وسبى العقل بجد ومزاح

* * *

يوسفيّ الحسن عذب المبتسم

قمريّ الوجه ليليّ اللمم

عنتريّ البأس عبسيّ الهمم

غصني القد مهضوم الوشاح مادري الوصل طائي السماح

* * *

قدّ بالقد فؤادي هيفا

وسبى عقليَ لما انعطفا

ليته بالوصل أحيا دنفا

مستطار العقل مقصوص الجناح ماعليه في هواه من جناح

* * *

يا علي انت نور المقل

جُد بوصل منك لي يا أملي

كم أغنيك اذا ما لحتَ لي

طرقت والليل ممدود الجناح مرحباً بالشمس من غير صباح

واخيراً فلم تُعدم الموشحات ممن جعلها سهاماً توجه الى المهجوين، يعرضون فيها مساوىء خصومهم ويقدحون في اعدائهم ، وقد يخرج الوشاح عن اللياقة والأدب ، فيفحش ويسف في هذا الهجاء ،

وربما كان ابو الحسن علي بن حزمون أبرع من عرف بهذا الفن في الموشحات الاندلسية ، وابن حزمون هذا صاعقة من صواعق الهجاء، هجا حتى نفسه ، وسلك طريقة ابن حجاج البغدادي ، فأربى فيها عليه ، ولم يدع موشحة تجري على ألسنة الناس الا عمل في عروضها ورويها موشحة على طريقته المذكورة ، طريقة ابن حجاج الهجاء الماجن (١) .

(١) المعجب ٢٩٥ وانظر الادب العربي في الاندلس ٣٧٩

فنّ الزّجل

الزجل في اللغة الصوت ، يقال : سحاب زجل اذا كان فيه الرعد، ويقـــال لصوت الاحجار والحديد والجماد ايضا (زجل) قال الشاعر :

مررت على وادي سياث فراعني
به زجل الاحجار تحت المعاول
تسلّمها عبل الذراع كأنما
جنى الدهر فيما بينهم حرب وائل
فقلت : شلت يمينك خلها
لمدّكر او مخبر او مسائل
منازل قوم أذكرتنا حديثهم
ولم أر أحلى من حديث المنازل (١)

والزجل (محركة) اللعب والجلبة والتطريب (٢)

وانما سمي هذا الفن زجلاً لانه لا يلتذ به ، وتفهم مقاطع أوزانه

---

(١) العاطل الحالي ١٠

(٢) القاموس المحيط (زجل)

ولزوم قوافيه حتى يغنى به ويصوت ، فيزول اللبس بذلك (١) وهو من الفنون الشعبية العامية ، قال صفي الدين الحلي : انه من الفنون التي اعرابها لحن ، وفصاحتها لكن ، وقوة لفظها وهن ، حلال الاعراب بها حرام ، وصحة اللفظ بها سقام ، يتجدد حسنها اذا زادت خلاعة ، وتضعف صنعتها اذا أودعت من النحو صناعة ، فهي السهل الممتنع ، والأدنى المرتفع ، طالما أعيت بها العوام الخواص ، وأصبح سهلها على البلغاء يعتاص ، ... فمعرفتها بالطبع السليم وآفتها من الفهم السقيم ، لاسيما فن الزجل الذي تختلف أوزانه ، ويضطرب ميزانه ويتغاير لزومه ، ويشتبه منظومه .

وأول من تحدث عن هذا الفن من القدامى في كتاب مستقل عالم مشرقي ، هو صفي الدين ابو الفضل عبد العزيز بن سرايا الحلي (المتوفى سنة ٧٤٩ هـ) في كتابه (العاطل الحالي والمرخص الغالي) وبعده ألف ابن حجة الحموي (المتوفى سنة ٨٣٧ هـ) كتاب « بلوغ الامل في فن الزجل » (٢)

كما تحدث عن فن الموشح في كتاب مستقل مشرقي ايضا هو ابن سناء الملك كما مر بنا .

---

(١) العاطل الحالي ١٠ ـ ١١

(٢) حققه الدكتور رضا القرشي نشر في دمشق ١٩٧٤

نشأة الزجل :

نشأ الزجل اندلسيا ، كما نشأ الموشح من قبل اندلسيا ايضا ، ومن الاندلس انتشر الى بقية انحاء الودلة العربية .

واكد هذه الاندلسية كثير من القدامى الذين تحدثوا عن هذا الفن منهم ابن سعيد (المتوفى سنة ٦٨٥ هـ)(١) وصفي الدين الحلي (المتوفى سنة ٧٤٩ هـ)(٢) وابن خلدون (المتوفى سنة ٨٠٨ هـ) قال :

ولما شاع فن التوشيح في اهل الاندلس ، واخذ به الجمهور لسلامته ، وتنميق كلامه وترصيع اجزائه ، نسجت العامة من اهل الامصار على منواله ، ونظموا في طريقته بلغتهم الحضرية ، من غير ان يلتزموا فيه اعرابا ، واستحدثوا فنا سموه بالزجل ، والتزموا النظم فيه على مناحيهم لهذا العهد ، فجاءوا فيه بالغرائب ، واتسع فية للبلاغة مجال ، بحسب لغتهم المستعجمة(٣) . ويظهر ان اول ما نظموا الازجال جعلوها مقصدة ، وابياتا مجردة في ابحر عروض العرب بقافية واحدة كالقريض لايغايره بغير اللحن واللفظ العامي ، وسموها القصائد الزجلية ، فاذا حكم عليهم فيها لفظة معربة غالطوا فيها

---

(١) الزجل في الاندلس ص ١

(٢) العاطل الحالي ٩ .

(٣) المقدمة ٣/٤٠٤

بالادماج في اللفظ والحياة في الخط كالتنوين ، فانهم يجعلون كل منون منصوبا ابدا ، ويكتبون اللفظة بمفردها مجردة من التنوين ، وبعدها الفا ونونا مثل ان يكتبوا (رجلا) على هذه الصورة (رجل ان) .

وفي ديوان مدغليس ثلاث عشرة قصيدة على اوزان العرب • من ذلك قصيدة له في ثمانية وعشرون بيتا اولها :

مض عني من نحبو وودع ولهيب في قلبي قد اودع

لو رأيت كف كن نشياعو بالعين وم ندري ان روحي نشتيع(١)

ويقول ابن خلدون عن القصيدة الوجلية بعد ان يورد نماذج كثيرة : وهذه الطريقة الزجلية لهذا العهد هي فن العامة بالاندلس من الشعر ، وفيها نظمهم حتى انهم لينظمون بها في سائر البحور الخمسة عشر ، لكن بلغتهم العامية ويسمونه الشعر الزجلي ؛ مثل قول شاعرهم :

دهر لي نعشق جفونك وسنين وانت لا شفقا ولا قلب يلين

حتى ترى قلبي من اجلك كيف رجع

صفة السكة بين الحدادين

---

(١) العاطل الحالي ١٨

الدمـــوع تـرتش والنار تلتهب

والمطارق من شمال ومن يمين(١)

من هذا المثال وغيره يتبين لنا ان اول صورة لفن الزجل ظهرت في الاندلس هي صورة القصيدة الزجلية المتفقة مع القصيدة المعربة في وحدة الوزن ووحدة القافية ، والتزام التصريع ، مع اختلافها عن القصيدة المعربة بلغتها العامية ولحنها .

وكان طبيعيا ان يشيع هذا اللون من الشعر حين استعصى الشعر الفصيح على فهم كثير من سكان الاندلس ، من العامة والخاصة والاعاجم ، عندما استولى البربر على مقاليد الامور ، ومن طريف ما يروى في هذا المقام ، دليلا على تفشي العامية وعدم فهم الشعر الفصيح ، ان المعتمد بن عباد الذي كان يتوسط لشعراء الاندلس في مدح امير دولة المرابطين يوسف بن تاشفين ، قال له بعد ان انشده الشعراء : أيعلم امير المسلمين ما قالوه ؟ قال : لا اعلم ، ولكنهم يطلبون الخبز . ولما انصرف عن حضرة ملكه ، كتب لـــه المعتمد رسالة فيها :

بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا　　شوقا اليكم ولا جفت مآقينا

حالت لفقدكم أيامنا فغدت　　سودا وكانت بكم بيضا ليالينا

---

(١) المقدمة ٤١١/٣

فلما قرىء عليه هذان البيتان قال للقارىء : يطلب منا جواري سوداً وبيضاً ؛ قال : لا يا مولانا ، ما اراد إلا أن ليله كان بقرب أمير المسلمين نهارا ، لان ليالي السرور بيض ، فعاد نهاره ببعده ليلا، لان ليالي الحزن ليال سود . فقال : والله جيد ، اكتب له في جوابه . ان دموعنا تجري عليه ، ورؤوسنا توجعنا من بعده (١) .

وقد تطورت هذه القصائد الزجلية حتى غدت صورة اخرى للموشح من حيث الشكل مع اختلاف اللغة والاعراب ايضا ، فصار تركيب الزجل كتركيب الموشح ، ففيه المطلع والدور والاقفال والخرجة والاغصان والاسماط ، وثمة اختلافات يسيرة بين الموشح والزجل .

ففي المطلع يكون عدد أجزاء مطلع الموشح متكرراً في بقية الاقفال، الا ان هذا لا يحدث دائما في مطالع الازجال ، فيختلف عدد أجزاء المطلع عن عدد الاجزاء في الاقفال الاخرى ؛ وغالبا ما تنقص هذه الاجزاء الى نصف عدد اجزاء المطلع ، من ذلك مطلع زجل ابن قزمان :

الله يدري همي الذي أبلاني
واش تريد من حال من يعشق الجياني

---

(١) فضائل الاندلس وأهلها ٢٣

وهو متكون من اربعة اجزاء ، الا انه حين انتقل الى القفل الذي يلي المطلع جعله في جزئين فقط ، قال :

ومثل ما نهواه　　　لو رجع يهواني

وفعل ذلك في الاقفال الاخرى (١) . ونرى ذلك واضحا في اكثر ازجاله الاخرى ، ومن أزجال مدغليس في ذلك قوله (٢) :

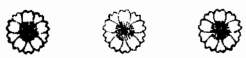
ثلاث أشيا في البساتين　　　لس تجد في كل موضع
النسيم والخضره والطير　　　شم واتنزه واسمع

* * *

قم ترى النسيم يولول　　　والطيور عليه تغرد
والثمار تنثر جواهر　　　في بساط من الزمرد
وفي وسط المرج الاخضر　　　واد كالسيف المجرد

* * *

اي سيف نزهه للابصار　　　والغدير يمشي مدرع



(١) العاطل الحالي ١٨٦

(٢) المصدر السابق ٢١٣

وملاح بحال حور العين   في رياض تشبه لجنّا
وعشيـــة قصـــيره   هيا للخلاع فتنتّا
لس نريد نوفارقوها   وهي تحمل طاقه عنا

❁ ❁ ❁

فكأن الشمس فيها   وجه عاشق اذ يودّع

❁ ❁ ❁

واستمع أم الحسن كيف   تلهمك الى الخلاعه
بنغم يردّد الاشياخ   للمجون والرقاعه
غردت من غدوة لليل   وما كررت صناعه

❁ ❁ ❁

يسمع الخليع غناها   فيحس قلبو يخلع

❁ ❁ ❁

والقطيع لما سمعها   تتغنى هو بقبق
قلها اسكت كم تصدّع   انا اطبع منك وارشق
لما زاد في القول عليها   قلت لو بسك تمخرق

❁ ❁ ❁

انا نغني بين جميعو   انت أجلى وهي أطبع



فغضب وقال نشبّه   لمغنيات الاغصان

وأنا في الاكف نحبس   ونقبل كل سلطان

ثم نسقي كل مشرف   ماعرف لو قط نقصان

❀ ❀ ❀

ولا جور على رعيّته   ولا حقهم يضيّع

لقد أثبتنا هذا الزجل كاملا لنتبين من خلاله اجزاء الزجل المشابهة لاجزاء الموشح تماما ، في مطلعه ودوره وأقفاله وخرجته وأغصانه وأسماطه .

وقد يكون مطلع الزجل خرجة له نفسه ، وهذا لا يمكن ان يحدث في الموشحات لاختلاف الخرجة عن المطلع في امور كثيرة كما وضحنا ذلك في الموشح . ومن هذا اللون من الازجال قول ابن قزمان (١) :

ماع معشوقا مليح ووفي   جيد يكون ان لم تجيه طزع

كرر هذا المطلع في خرجة موشحه فقال :

معي معشوقا مليح ووفي   جيد يكون إن لم نجيه طزع

وقد تتكرر الفاظ المطلع في كل الاقفال التى تليه ، بما في ذلك

---

(١) الزجل في الاندلس ٤٠

الخرجة أيضا ، ويظهر هذا واضحا في الأزجال الصوفية ، مثل قول الششتري الصوفي المعروف :

اش عليّ من الناس واش على الناس مني

وقد كرر هذا المطلع في أقفال زجله جميعاً (١) .

ومن حيث الأقفال فان عدد الاجزاء المقفاة في الزجل لا تبلغ العدد الذي تبلغه أجزاء اقفال الموشح ، فأكثر هذه الاجزاء في أزجال ابن قزمان لا تزيد على الاربعة ، بينما تبلغ هذه الاجزاء الثمانية في الموشحات كما مر بنا .

والقفل الاخير من الزجل يسمى الخرجة ايضا ، مثل نظيره في الموشح ، وقد نالت الخرجة عناية الزجالين واهتمامهم كما نالت خرجه الموشح عناية واهتمام الوشاحين ، وصرّح ابن قزمان في اكثر من زجل بتسمية هذا القفل بالخرجة وبعنايته وحرصه على ان تكون رائعة فاتنة (٢) .

ويكرر الزجالون تقليد الوشاحين في استعمال كلمات (غنى وانشد)

---

(١) انظر ديوان الششتري ٣٧

(٢) انظر الزجل في الاندلس ٣٠و٣١

وشبيهاتهما قبل الخرجات ايضا ، قال ابن قزمان (١) :

يا زاهرا لو انك قريب
كانمضى لدارك مغيب
وننشد بصوت عجيب
يا ستي برب غفور   كسهره لصحب السحور

فسبق هذه الخرجة بكلمة (ننشد) .

وقال في زجل آخر (٢) :

يا من يلمني في هوى ذا المليح
يقوم في بالك ان نداعك تصيح
ان كان ثبت عندك عواجي صحيح
فدعني نمشي على عين واوجيم اعوج هو عتدي ان نكون مستقيم

وسبق هذه الخرجة بكلمة (تصيح) .

وفي كثير من الازجال يستعير الزجالون خرجات موشحات ؛ ويجعلونها خرجات لازجالهم ، من ذلك خرجة ابن قزمان التي يقول فيها (٣) :

---

(١) العاطل الحالي ١٩٠
(٣) المصدر نفسه ١٩٤
(٣) الزجل في الاندلس ٣٥

يا حسرتي وماذا جرالي ، لاعبته فمزق دالي، ودلالي

استعارها من خرجة ابن بقي الوشاح المعروف ، وهي عنده :

واحسرتي وما قد جرى لي ؛ لاعبته فمزق دالي ، ودلالي

فهي واحدة في الخرجتين مع اختلاف يسير كما نرى ، ومن ذلك خرجة ابن قزمان (١) :

ياعود الزان قم ساعدني طاب الرمان لمن يجني

فهي خرجة موشح اندلسي ايضا مذكور في دار الطراز (٢)

وقد يستعير بعض الزجالين امثالاً معروفة في خرجاتهم ، من ذلك قول ابن قزمان (٣) :

رب طوّل في حياتي حتى نشبع من زماني
ويجي في أولادي مثلي منطبع خليع وزاني
ويقول عني وعنو من رآه ومن رآني
الولد من سر والدو والعصا من العصيا

وربما جعل الزجال خرجته مطلع زجل آخر للزجال نفسه (٤) .

---

(١) المصدر السابق ٣٧

(٢) دار الطراز في عمل الموشحات ٨١

(٣) العاطل الحالي ١٩٩

(٤) انظر نص هذين الزجلين في الزجل في الاندلس ٤٠

وكما كانت خرجات بعض الموشحات أعجمية ، فانها كذلك في بعض الازجال ايضا ، الا ان هذه الكلمات الاعجمية لا تقتصر على خرجات الازجال فقط ، بل تتعداها الى بقية أجزاء الزجل ، وهذا لا يحدث في الموشح ، من ذلك قول ابن قزمان :

بون كل الملاحة بون بون

فان كلمة (بون) اعجمية ، اي طيب او حسن . ومثل ذلك قوله متحدثا عن النبيذ :

انما ان نتوب انا فمحال   وبقاي بلا شريبه ضلال
بين بين ودعني مما يقال   انّ ترك الخلاعه عندي جنون

فقد استعمل كلمة (بين) بضم النون التي تقابل الخمر في الاعجمية (١) .

واذا ادخلت في الزجل كلمات معربة عد ذلك عيباً فاحشا ، وسمي الزجل (المزنّم) كما سمي بذلك الموشح . وكأنهم ألحقوا الزجل بالموشح عن طريق إعراب بعضه ، وألحقوا بالموشح الزجل لما أظهروا

---

(١) الزجل في الاندلس ٤٤

اللحن في بعض ألفاظه (١) .

ومن الأرجال التي زنم فيها ابن قزمان ، فأعرب في بعض الفاظها قوله في خرجة له :

اذا انقطع زماني الأطول وعليه الثنا يكون ما بقيت

في هذا المقطع فتح ابن قزمان ياء المتكلم في (زماني) ولولا ذلك لفسد الوزن ، فعد زجله مزنما . ومن مزنماته قوله :

الجنة لو عطيت هي الراح وعشق الملاح

فقد فتح الياء في (هي) ولو اسكنها فسد الوزن (٢) ·

وعند الجميع أن التزنيم في الموشح أقبح منه في الزجل ، لان من أعرب في الملحون فقد رد الشيء الى أصله ، ومن لحن في المعرب فقد زلّ عن الطريقين وخالف المذهبين (٣) ·

---

(١) بلوغ الامل في فن الزجل ٥٦

(٢) نفس المصدر ٥٩

(٣) المصدر السابق ٦٢

مخترع الزجل وأبرز الزجالين :

لقد اختلفوا فيمن اخترع الزجل ، فقيل : ان مخترعه« ابن غرله » استخرجه من الموشح ، وقيل : بل « يخلف بن راشد » وكان هو إمام الزجل قبل « ابي بكر بن قزمان » وكان ينظم الزجل القوي من الكلام ، فلما ظهر ابن قزمان ، ونظم السهل الرقيق مال الناس اليه ، وصار هو الامام بعده ، وقيل بل مخترعه « مدغليس » ابو عبد الله بن الحاج (١) . . . والصحيح انه ليس بمخترعه فقد وجد في ديوانه زجلا مديحا يذكر في آخره انه نظمه معارضاً لابن قزمان وهذا دليل على انه معاصره أو متأخر عنه .

وهؤلاء الذين ذكرناهم ثلاثة عرفوا بفن الزجل في الاندلس وهم يخلف بن راشد ، وأبو بكر بن قزمان (٢) (ت ٥٥٤ ﻫ) ومدغليس (٣) . يضاف اليهم من زجالي الاندلس : أخطل بن نمارة

---

(١) هذا اسم مركب من كلمتين أصله ، مضغ الليس . والليس جمع ليسة ، وهي ليقة الدواة ، وذلك انه كان صغيرا بالمكتب يمضغ ليقته فسمي بذلك ، ولسان المغاربة والمصريين يبدلون الضاد دالا .
انظر العاطل الحالي ١٦ وبلوغ الامل ١٠١

(٢) انظر ترجمته مفصلة في الزجل في الاندلس ٦٧ ــ ١٠٦

(٣) المصدر نفسه ١٠٦ ــ ١١١

وهو سابق لابن قزمان ، اذ وصفه في ديوانه بقوله : ولم أرَ أسلس وأخصب ريعا ومن حجوا اليه وطافوا به سبعا ، أحق بالرياسة في ذلك والامارة من الشيخ أخطل بن نمارة ؛ فانه نهج الطريق فأحسن التطريق (١) ، وابن غرله الذى قتل بسبب حبه ونظمه موشحة في معشوقته رميلة اخت عبد المؤمن ملك الاندلس في عصر الموحدين (٢) .

وثمة زجالون آخرون في القرن السادس منهم : عيسى البليدي الاشبيلي ، وابو عمرو ابن الزاهد الاشبيلي ، وابو الحسن المقري الداني وأبو بكر بن مرتين ، وغير هؤلاء في القرون التى تلي هذا القرن (٣) .

وزن الزجل :

ان اوزان الزجل متجددة دائما ، ولكنها غير جائزة في الشعر لخروجها عن البحور المعهودة ؛ مخالفة كل شطر من البيت الآخر

---

(١) الزجل في الاندلس ٥٣

(٢) انظر تفصيل ذلك في العاطل الحالي ١٤ ـ ١٦

(٣) انظر العاطل الحالي ١٦ والزجل في الأندلس ١١٤ ـ ١٢٠

في القصر والطول والقافية ، وبناء البيت الواحد على عدة أوزان وقواف ، وتقصير الاقفال الى غاية من القصر ، وللزجالين ملكة في تحرير الوزن ، وقوة في ان يستخرجوا منه وزنا ثانيا ولم يتغير اللفظ (١) .

---

(١) بلوغ الامل ٩٨

الدوبيت

الدوبيت من الفنون السبعة المنظومة المعروفة التي لا اختلاف في عددها ، وانما الاختلاف بين المغاربة والمشارقة في فنين منها ، والسبعة المذكورة هي عند اهل المغرب ومصر والشام : الشعر القريض ، والموشح ، والدوبيت ، والزجل ، والمواليا ، والكان كان ، والحماق. واهل العراق وديار بكر ومن يليهم يثبتون الخمسة منها ، ويبدلون الزجل والحماق بالحجازي والقوما(١) .

والدوبيت كلمة فارسية مكونة من مقطعين الاول (دو) ومعناها اثنان والثاني (بيت) وهو بيت الشعر . وهو وحدة شعرية ذات اربعة اشطر من وزن واحد ، تراعى القافية في الشطر الاول والثاني والرابع على الاقل ، مثل قول الشاعر ابن سعيد الاندلسي(٢) :

---

(١) انظر العاطل الحالي ٧

(٢) المقتطف من ازاهر الطرف ق ١٤٣ نقلا عن مجلة الكتاب العدد ١١ السنة الثامنة .

مولاي اراك دائم الاعراض   والعمر يمر ضائع الاغراض
كم أسالك الرضا وكم تمنعه   الملك لمن اصبحت عنه راض

ومثله قول الشاعر :

زاروا فبكيت فرحة من طرب   بالوصل فلاموني لهذا السبب
قالوا لي : دع عينك تلتذ بنا   بالوصل ، ويوم بيننا فانتحب

وقد اصطلحوا على تسمية هذا النوع من الدوبيت بـ (الاعرج) .

او تراعى القافية في اشطره الاربعة ، مثل قول الشاعر :

ما مات من الناس قديم الدهر   شخص أبداً من الضنا والسهر
أو من مرض ـ لا ومنير الفجر ـ   ما صار من الموتى بغير الهجر

ومثله قول الشاعر :

القلب كما عهدتم ذو لهف   والجسم كما عهدتم ذو دنف
واعلم مقصودكم من تلفي   من بعدكم يا أسفي يا أسفي (١)

---

(١) رسالتان فريدتان في عروض الدوبيت ١٧٣

وبحر هذا اللون من الشعر غريب على الاوزان الاصلية الست عشرة التي نظم بها شعراء العربية ، وغرابة هذا البحر تشبه غرابة لفظه غير العربي(١) .

نشأة الدوبيت :

ذكر مؤرخو الادب الفرس ان الشاعر الفارسي الرودكي المتوفى نحو ٣٢٩ هـ كان يتجول في بعض متنزهات غزنة ، عاصمة المقاطعة الشرقية من خراسان ؛ فلفت نظره جماعة من الصبية يلعبون بالجوز ، وكل منهم يحاول ان يدفع جوزته بيده لتدخل حفرة صغيرة ، فيربح اللعب من ادخل جوزته فيها ، وكان بين الصبية واحد بين العاشرة والخامسة عشرة ، فكان منغمرا في اللعب مندفعا فيه ، يردد في اثناء لعبه اسجاعا متوازنة في التيه بنفسه وبلعبه، ولا يكف عن الرقص والميلان مع حركات جوزته ، وبينا الصبية يلعبون ، اخطأ هـذا الصبي الرمية ، فضلت جوزته سبيلها الى الحفرة مرتين متتاليتين ، فما كان منه في المرة الثالثة ، الا ان اخذته الحمية واستبدت به الحماسة وجعل يخاطب جوزته بعبارة رقيقه صدرت منه عفو الخاطر، فجعل يهتف بها باللغة الفارسية ما معناه تتدحرج ، تتدحرج ماضية الى

---

(١) انظر العروض الواضح ١١٦

قعر الحفرة .

واسترعت هذه العبارة الموسيقية التي قالها الصبي مترنما ، حاسة الشاعر الرودكي الموسيقية ، فاعجبه ايقاعها ، ووجد فيها وزنا مقبولاً ونظما مطبوعا وراح يعرضها على مقاييس العروض فوجدها من فروع الهزج ، وانتهى الامر بوقوع هذا الوزن منه — بعد اصلاحه — موقع الاعجاب والقبول ، فنظم على نسقه اشعارا اقتصر من كل قطعة منها على بيتين احدهما مصرّع والآخر مقفى ، واطلق الرودكي على هذا الوزن (ترانه) أي المنسوب الى الصبي . ويبدو ان هذه الحادثة وقعت في اواسط القرن الثالث الهجري . وشغف الناس بشعر الترانه ورقصوا طربا متى سمعوه(١) .

واقدم ما وصل الينا من الدوبيت المشرقي قول فخر الملك محمد ابن علي بن خلف صاحب بغداد ٣٥٤ — ٤٠٧ هـ .

كم قد حلفت كل آي وأب ان تسمح لي فأعقبت بالكذب

حتى حلفت على التجني فوفت ما تصدق الا في يمين الغضب(٢)

وفي دمية القصر للباخرزي دوبيت لشاعر باخرزي اسمه ابو العباس محمد ابن ابراهيم الكاتب علق عليه مؤلف الدمية بقوله : ولم اكن سمعت بهذه الطريقة (الدوبيت) حتى انشدني والدي لابي العباس محمد بن

---

(١) انظر ديوان الدوبيت في الشعر العربي ١٩ — ٢٠

(٢) حقائق عن ديوان الدوبيت . مجلة الكتاب ص ١٠

ابراهيم الكاتب الباخرزي رباعيات على هذا النمط ، منها قوله :

قد صيرني الهوى أسير الذله واستنهكني وما بجسمي عله
واستاصل واستباح صبري كله لا حول ولا قوة إلا بالله

الى اخوات لها من مقاله(١) .

ووصلت الينا بعض الدواوين المشرقية مخصصة لهذا الفن فقط ، من ذلك ديوان العماد الاصبهاني المتوفى سنة ٥٩٧ هـ (٢) وديـوان صلاح الدين الاربلي المتوفى سنة ٦٢٣ هـ (٣) .

وقد انتقل الدوبيت من المشرق الى المغرب والاندلس ، فنظموا فيه وتعلقوا به . ولا صحة لما ذهب اليه بعض الباحثين بان هذا الفن لم يعبر الحدود المصرية من ناحية الغرب لابرا ولا بحرا(٤) .

وثمة اكثر من دليل على ان هذا الفن عبر الى الاندلس، ونظم فيه شعراؤهم ، من ذلك :

١ ــ قال ابن سعيد الاندلسي (٦١٠ــ٦٨٥هـ) : ولما عدت من العراق انشدت الملك الناصر من محاسن الدوبيتات ما امر بكتبه ، ثم قال لي : هذا طراز لاتحسنه المغاربة ، فقلت له : يا خوند، كما ن الموشحات والازجال طراز لاتحسنه المشارقة ، والمحاسن

---

(١) دمية القصر ٢/ ٢٠٥
(٢) معجم الادباء ٧/ ٨٦
(٣) ابن خلكان ١/ ٨٤
(٤) ديوان الدوبيت ٥٧٤

قد قسمها الله ـ تعالى ـ على البلاد والعباد ، فقال : صدقت هات بما نظمت أنت في الطراز ، فأنشدته :

مولاي أراك دائم الإعراض والعمر يمر ضائع الأغراض
كم أسألك الرضا وكم تمنعه الملك لمن أصبحت عنه راض

٢ ـ اثبت ابن سعيد المذكور اكثر من دوبيت مغربي في كتابه (المقتطف من أزاهر الطرف) تحت عنوان : الخميلة العاشرة مشتملة على الدوبيتات والمربعات والمخمسات (١) .

٣ ـ في ديوان شاعر الاندلس الصوفي المعروف ابي الحسن الششتري دوبيت نصه (٢) :

الكون الى جمالكم مشتاق والعالم كله لـكم مشتاق
من اين ترى يا سادتي طينتكم ما أطيبها تبارك الخلاق

٤ ـ في رسالة (في عروض الدوبيت) لابن المرحل الاندلسي (ت ٦٩٩هـ) كثير من الدوبيتات التامة والمجزوءة والمشطورة، وغير ذلك من نظم مؤلف الرسالة استشهد بها على عروض

---

(١) حقائق عن ديوان الدوبيت . مجلة الكتاب السنة ٨ العدد ١١ ص ٢٤

(٢) ديوانه بتحقيق د . النشار ٤٤٣

الدوبيت موضوع رسالته .

٥ ـ لم يكتف الاندلسيون بنظم الدوبيت بل وضعوا رسائل في عروضه ، وهو مما لم يفعله المشارقة مبتدعو الدوبيت ، فمن ذلك ، مقالة في علم عروض الدوبيت لابي اسحق التلمساني (ت ٦٩٠ هـ) . ورسالة في عروض الدوبيت لابن المرحل (ت ٦٩٩ هـ) (١) .

---

(١) طبعت هذه الرسالة في بغداد بتحقيق الاستاذ هلال ناجي ، ورسالة اخرى رجّح انها له ايضا في الموضوع نفسه او لمصنف اندلسي .

عصر الخلافة

٣١٦ – ٤٠٠ هـ

يعد عصر الخلافة الاموية في الاندلس العصر الذهبي للثقافة ، فقد نهضت العلوم والاداب في هذا العصر ، وازدهرت الثقافة بجميع فروعها نتيجة الاستقرار والتوحيد والرخاء . وكان لتولي عبد الرحمن الناصر ثم ابنه الحكم اكبر الاثر في دفع هذه الحياة نحو الرقي والازدهار، فكان عصرهما حافلا بالوافدين من علماء المشرق بتشجيع منهما ، وعلى رأس هؤلاء الوافدين ابوعلي القالي الذي حمل معه اكبر مجموعة من دواوين الشعراء الجاهليين والاسلاميين ، وكتب اللغة والادب المشرقية (١) ، فأحدث ذلك تطوراً كبيراً في الحياة الادبية واللغوية لعصر الخلافة ، وقامت اول مدرسة لغوية في الاندلس . ولعل من أبرز المعالم الثقافية والادبية في هذا العصر محاولة أبناء الاندلس تأكيد الشخصية الاندلسية ، وتعميق الاعتزاز بالتراث الاندلسي ، ولم شتاته في مصنفات خاصة ، فصنف ابن عبد البر القرطبى كتابا في (فقهاء

---

(١) انظر في اسماء هذه الكتب فهرست ابن خير الاشبيلي ١/٣٩٥

قرطبة) وصنف الخشني كتاباً في (قضاة قرطبة) (١) ومن ذلك (انساب مشاهير اهل الاندلس) (٢) و(اخبار ملوك الاندلس وكتابهم وخططها) كلاهما للرازي (٣) . و (تاريخ علماء الاندلس) لابن الفرضي (٤) و (الممتزين والقائمين بالاندلس واخبارهم) لاحمد ابن فرج (٥) ، اما في الشعر والادب فقد صنفوا كثيرا ، من ذلك (الحدائق) للجياني صنفه للخليفة الحكم عارض فيه الزهرة لابن داود الاصفهاني ، ولكنه جعله ضعف الزهرة ، ولم يورد منه لغير الاندلسيين شيئا (٦) . و (أخبار شعراء البيرة) لمطرف البيري في عشرة أجزاء(٧) و (آخبار شعراء الاندلس) لعبادة بن ماء السماء (٨) و (أخبار

---

(١) طبع في اوربا ١٩١٤ ونشره السيد عزة العطار بالقاهرة عام ١٣٧٢هـ واعيد طبعه في القاهرة ١٩٦٦

(٢) ياقوت ٧٧/٢ ونفح الطيب ١٦٧/٤

(٣) نفس المصدرين

(٤) نشره السيد العطار بالقاهرة عام ١٣٧٣ هـ واعيدطبعه فيها ١٩٦٦

(٥) جذوة المقتبس ٩٧

(٦) المصدر السابق ٣٩

(٧) نفح الطيب ١٦٧/٤ .

(٨) جذوة المقتبس ٢٧٤

الشعراء بالاندلس) لمحمد بن هشام المرواني . (١) (وطبقات الشعراء بالاندلس) لعثمان بن ربيعة (٢) و (شعر الخلفاء من بني امية) لعبد الله بن محمد بن مغيث (٣) . و (طبقات الكتاب بالاندلس) لسكن بن سعيد (٤) . وبالاسم نفسه لمحمد بن موسى بن هاشم النحوي (٥) .

النــثر :

أما النثر في هذا العصر فيمكن جعله في نوعين :

١ ـ النثر التأليفي :

كتب فيه الاندلسيون كثيراً من المؤلفات باسلوب عال ، ولكنهم على الاغلب كانوا يجارون في مناهج تلك المؤلفات المشارقة ، وان حاولوا التفوق عليهم من باب الاعتزاز بالشخصية الاندلسية وتأكيد

---

(١) جذوة المقتبس ٨٩

(٢) المصدر السابق ص ٢٨٦

(٣) المصدر السابق ص ٢٣٥

(٤) المصدر السابق ٢١٩

(٥) المصدر السابق ٨٢

الذات ، ولعل فيما مر من مؤلفاتهم في صدر كلامنا خير مايمثل هذا اللون من النثر ، ومن خلال تسمياتهم لهذه المؤلفات يتبين تأثير كتب المؤلفين المشارقة في تلك المؤلفات ،

٢ ـ النثر الأدبي :

وهو اسلوب الرسائل والفصول والتآليف في صميم موضوعات الأدب، وهم يجارون المشارقة في ذلك ايضا ، ومعروف ان معظم من وصل الى الوزارة او الحجابة كان يتمتع باسلوب أدبي رفيع طبع كتاباتهم الرسمية بطابع البلاغة والأدب .

وفي طليعة هؤلاء الكتاب احمد بن عبدالملك بن عمر بن شهيد وزير الناصر (١) . والحاجب ابو الحسن جعفر بن عثمان المصحفي في أيام الحكم المستنصر وابنه هشام (٢) والوزير ابو مروان عبد الملك بن ادريس الجزيري في ايام المنصور بن ابي عامر (٣) . والوزير عبد الملك بن جهور في زمن الناصر (٤) .

---

(١) جذوة المقتبس ١٢٣ والحلة السيراء ٢٣٧/١

(٢) ستأتي ترجمته في الشعراء .

(٣) الجذوة ٢٦١ ومطمح الانفس ١٤ واعتاب للكتاب ١٩٣

(٤) اليتيمة ٣/٢ والجذوة ٢٦٣

ومن تآليف النثر الأدبي في عصر الخلافة العقد الفريد لابن عبد ربه الاندلسي الذي سنفصل الحديث عنه فيما بعـــد . وكتاب (الفصوص) لابـي العلاء صاعد بن الحسن الربعي اللغوي ت ٤١٧هـ وكتاب (الامالي) لابـي علي القالي . ورسالة (التوابع والزوابع) لابن شهيد الاندلسي الذي سنتحدث عنه .

ولعل رسالة الخليفة الناصر الى جميع عماله في سنة ٣١٦ هـ معلناً نفسه امير المؤمنين وخليفة المسلمين ، هي خير ما يمثل رسائل هذا العصر قال (١) :

بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد : فاننا أحقّ مَن استوفى حقه ، وأجدر من استكمل حظه ، ولبس من كرامة الله ما ألبسه ، للذي فضّلنا الله به ، وأظهر أثرتنا فيه ، ورفع سلطاننا اليه ، ويسّر على أيدينا إدراكه ، وسهّل بدولتنا مرامه ، وللذي أشاد في الآفاق من ذكرنا ، وعلو أمرنا ، وأعلن من رجاء العالمين بنا ، وأعاد من انحرافهم الينا ، واستبشارهم بدولتنا ، والحمد لله ولي النعمة والإنعام بما أنعم به ، وأهل الفضل بما تفضل علينا فيه ! وقد رأينا أن تكون الدعوه لنا بأمير المؤمنين ، وخروج الكتب عنا وورودها علينا بذلك ، اذ كل مدعو بهذا الاسم غيرنا مُنتَحِل له ، ودخيل فيه ؛

---

(١) البيان المغرب ٢/ ١٩٨ .

ومتسِّم بما لا يستحقه ، وعلمنا ان التمادي على ترك الواجب لنا من ذلك حق أضعناه ، واسم ثابت اسقطناه . فأمر الخطيب بموضعك أن يقول به ' وأجر مخاطباتك لنا عليه ، ان شاء الله المستعان ، وكتب يوم الخميس لليلتين خلتا من ذي الحجة سنة ٣١٦ هـ .

ان هذه الرسالة تميزت بالسهولة والوضوح ، والبعد عن الصنعة ، اما ما جاء فيها من السجع فلم يكن متعمدا ، اذ لا يكاد القارىء يحس فيه بنبوة او تكلف أو جور على المعاني . وفيها محاولة الازدواج في الالفاظ والمعاني ، وتصر في الفقرات . ومن كتاب الرسائل كاتب عرف بابن الجزر كتب رسالة ناقض فيها ابن المقفع في اليتيمة ، وظهر فضله فيها (١) .

وبرع يزيد بن طلحة العبسي الملقب بالفصيح بفن الرسائل ايضا ، فقد كتب الى اهل قرمونية يحضهم على الطاعة ، باسلوب قوي فصيح يتناسب مع لقبه قال : إن أحق ما رجع اليه الغالون ، ولحق به التالون ، وآثره المؤمنون ، وتعاطاه بينهم المسلمون ، مما ساء وسر ، ونفع وضر ، ما أصبح به الشمل ملتئما والامر منتظما ، والسيف مغمودا ، ورواق الامن ممدودا ، وليس من ذلك اولى باحراز الثواب ولا أحرى من الدخول في الطاعة ، وترك الشذوذ عن الأئمة ، فالى الله نرغب في المعونة على أحسن بصائرنا في وهيٍ يرقعه وشعب يلأمه ، وسلك

(١) طبقات النحويين واللغويين ٣٠١

ينظمه ، وان يجعل ما حضضناكم عليه في اجتماع الالف ، والدخول في الطاعة اختيارا ، يصل لنا به خير الدارين ، ويحمل عنا في حق الخلافة المرضية ، التى هي صلاح لهذه الامة ، وسنّة متبعة جامعة لتأليف الشمل ، وحقن الدماء ، وتحصين الفروج والاموال (١) .

وكان للخطابة سوق نافق في عصر الخلافة ، فقد عرفت الخطب السياسية والدينية ، وكان وفود رسل صاحب قسطنطينية مع هديته ، مناسبة احتفل بها الناصر ، وأمر رجاله ان يخطبوا في ذلك المحفل ويعظموا من أمر الاسلام والخلافة ، ويشكروا نعمة الله على ظهور دينه وإعزازه ، وذلة عدوه ، فاستعدوا لذلك ، ثم بهرهم هول المجلس فوجموا ، وشرعوا في القول فارتج عليهم ، وكان فيهم ابو علي القالي وافد العراق، ندبه الحكم لهذه المهمة فعجز ، فلما وجموا كلهم قام منذر بن سعيد البلوطي (٢) من غير استعداد ولا روية ، ولا تقدم له أحد بشيء من ذلك ، فخطب واستحضر وجلّى في ذلك القصد ،

(١) المصدر السابق ٢٧١

(٢) وصف ياقوت البلوطي فقال : كان نحويا فاضلا وخطيبا مصقعا وشاعرا بليغا ولد سنة ٢٦٥ هـ ، وله رسائل وخطب مجموعة واشعار متفرقة مطبوعة . توفي سنة ٣٥٥ هـ .

(معجم الادباء ١٧٨/٧)

وأنشد شعرا طويلا ارتجله في ذلك الغرض ، ففاز بفخر ذلك المجلس وعجب الناس من شأنه اكثر من كل ما وقع ، واعجب به الناصر ، وولاه القضاء بعدها ، واصبح من رجالات المعالم(١) .

وصدّر هذه الخطبة بقوله (٢) : اما بعد حمد الله والثناء عليه ، والتعداد لآلائه ، والشكر لنعمائه ، والصلاة والسلام على محمد صفيه وخاتم انبيائه ، فان لكل حادثة مقاما ولكل مقام مقال • وليس بعد الحق الا الضلال ، وإني قد قمت في مقام كريم ، بين يدي ملك عظيم فاصغوا إليّ معشر الملأ بأسماعكم ، ومنّوا علي بأفئدتكم ، وان الحق ان يقال للمحق صدقت ، وللمبطل كذبت . . الى ان يقول :وفتح الله عليكم بخلافته ابواب الخيرات والبركات ، وصارت وفود الروم وافدة عليه وعليكم ، وآمال الاقصين والادنين مستخدمة اليه واليكم ياتون من كل فجٍ عميق ، وبلد سحيق ، لاخذ حبل بينه وبينكم جملة وتفصيلا، ليقضي الله امرا كان مفعولا ، ولن يخلف الله وعده ، ولهذا الامر ما بعده • • • الخ

ان هذه الخطبة وهي طويلة نسبيا تتميز بالتأثر الكبير بالمعـــاني

---

(١) نفح الطيب ٣٤١/١

(٢) مطمح الانفس ٤٣

الاسلامية ؛ وبالالفاظ والعبارات القرآنية ، وهي واضحة المعاني ؛ قريبة من القلوب والاسماع ، ليس فبها تعقيد ولا التواء ، قصيرة في فقراتها ، قوية في اداء كلماتها .

وممن عُرف بالخطابة في هذا العصر ابو ايوب سليمان بن سليمان ابن حجاج المتوفى سنة ٣٨٨هـ(١) .

الشعر :

نظم الاندلسيون في عصر الخلافة في اكثر فنون الشعر وأبوابه ، ولكنهم برعوا في بعضها اكثر من الفنون الاخرى .

ولعل ابرز الفنون التي برعوا فيها ما سمي بشعر النوّريات ،وهو الشعر الذي يقال في الزهر ونحوه من انواع النوّار ، وكان المظفر عبد الملك بن ابي عامر (ت ٣٩٩) مغرما بهذا اللون من الشعر ، يقترحه على شعرائه في اوقات الربيع من دولته ، وكان الاعجـاب بذلك كثير الطلب لانواعه في مظانه ، واحب ان يدخلها قيانه في اغانيهن ، واكتتب الناس كثيرا منه في وقته لحسنه وغرابته في معناه، ومن أبرز الشعراء الذين عرفوا بذلك عبد الملك بن ادريس الجزيري، وصاعد البغدادي ،الذي نظم في الآس والترنجان والنرجس والبنفسج

(١) طبقات النحويين واللغويين ٣٠٠

والخيري والورد ، وشاركه في ذلك ابن دراج القسطلي (١) وابن فرج الجياني ، وابن هاني الاندلسي ، ولم يكن شعر الطبيعة معروفا لدى الشعراء الكبار فحسب ، بل توزعه معظم شعراء الخلافة ، ويكفي ان نرجع الى ما تبقى من مقتطفات كتاب (الحدائق) او (التشبيهات من اشعار اهل الاندلس) لنعرف هذه الحقيقة .

ومن طريف ما يروى عن هيام الاندلسيين في عصر الخلافة بالزهور ان المنصور سمى بناته باسماء الزهور .

كما برعوا بفن الزهد ، وعرف به كثير من الشعراء الزهاد ، منهم قاضي الجماعة بقرطبة يونس بن عبد الله بن محمد المعروف بابن الصفار الذي جعل معظم اشعاره في الزهد .وقد ألف (كتاب المنقطعين الى الله عز وجل) و (كتاب المتهجدين) وهما مما يبحث في الزهد (٢) .

ومن اشعاره في الزهد :

فررت إليك من ظلمي لنفسي ... وأوحشني العباد فأنت أنسي
رضاك هو المنى وبه افتخاري ... وذكرك في الدجى قمري وشمسي
قصدت اليك منقطعا غريبا ... لتؤنس وحدتي في قعر رمسي
وللعظمى من الحاجات عندي ... قصدت وانت تعلم سر نفسي (١)

(١) البيان المغرب ١٩/٣

(٢) انظر جذوة المقتبس ٣٦٢ والمغرب ١٥٩/١

(٣) جذوة المقتبس ٣٦٢

والفقيه محمد بن عبد الله بن ابي زمنين الالبيري(١) له تواليف متداولة في الوعظ والزهد واخبار الصالحين على طريقة كتب ابن ابي الدنيا ، واشعار كثيرة في نحو ذلك . منها قوله :

الموت في كل حين ينشر الكفنا ونحن في غفلة عما يراد بنا

لا تطمئن الى الدنيا وزخرفها وان توشحت من اثوابها الحسنا

أين الاحبة والجيران ، ما فعلوا ؟ أين الذين همو كانوا لنا سكنا؟

سقاهم الدهر كأسا غير صافية فصيّرهم لأطباق الثرى رهنا(٢)

وعرف هذا العصر الشعر التاريخي ، ويعد ابن عبد ربه من الرواد في هذا اللون الفني من نظم التاريخ ، ولم يسبقه في ذلك إلا الشاعر الغزال في عصر الامارة ، الذي نظم ارجوزة في فتح الاندلس، اما ابن عبد ربه فقد نظم اول ارجوزة في غزوات الناصر من سنة ٣٠١—٣٢٢ هـ وسنفصل القول فيها عند حديثنا عن ابن عبد ربه .

وظهر في هذا العصر شعراء كثيرون يصعب إحصاؤهم او الالمام باشعارهم ، زخرت كتب التراجم بتفصيل حياتهم والكثير من اشعارهم وآثارهم . وكان بين شعراء هذه الفترة كثير من الخلفاء والامراء والوزراء والعلماء والادباء ، وحتى من اختص بالشعر فقط ، ومن

---

(١) جذوة المقتبس ٥٣

(٢) جذوة المقتبس ٥٣

بنيت شهرتهم عليه فهم كثيرون ايضا ، لايتسع الكتاب لتفصيل الحديث عن كل واحد منهم، ولا حتى المرور السريع للتعريف بهم ، ولذلك سنكتفي بتعريف موجز لبعض البارزين منهم ، ونفصل القول في شاعرين فقط ، هما ابن عبد ربه الاندلسي ، وابن شهيد الاندلسي

ومن هؤلاء الشعراء البارزين :

ابو القاسم محمد بن هانيء الازدي الاندلسي(١) :

غادر الاندلس الى افريقية وعمره ست وعشرون سنة بعد ان ضايقه الفقهاء لاشتغاله بالفلسفة وخروجه في غلوه الى ما لا وجه له في التأويل ، فأشار عليه صاحب اشبيلية بالابتعاد الى المغرب . واستقر به المقام في مصر واختص بالمعز لدين الله الفاطمي ، ووقف مدحه عليه وعلى رجال دولته، وهو عند اهل الاندلس كالمتنبي عند اهل المشرق ، وعدّوه أشعر المتقدمين والمتاخرين المغاربة ، قال ابن خلكان : ولولا ما في ديوانه من الغلو في المدح والافراط المفضي الى الكفر لكان ديوانه من احسن الدواوين . ولم يعمر طويلا فقد قتل وعمره لم يتجاوز السادسة والثلاثين سنة ٣٦٣ هـ ،ولما بلغ خبر مقتله المعز في مصر ، تأسف عليه كثيرا وقال : لاحول ولا قوة الا بالله ، هذا الرجل كنا نرجو أن نفاخر به شعراء المشرق ، فلم يقدر لنا ذلك .

---

(١) ترجمته في معجم الادباء ١٢٦/٧ ومطمح الانفس ٨٤ وابن خلكان ٦/٢ ونفح الطيب ٤٤٤/٢

ويغلب غرض المدح على ديوانه ،ويتميّز هذا المدح بالمبالغة والافراط ؛ وقد حاول تحدي المتنبي في الاهتمام بالحكمة وضرب الامثال فلم يستطع مجاراته . ومن شعره في مدح الخليفة المعز، هذه القصيدة التي أفرط في مغالاته فيها قال (١) :

ما شئت ، لا ما شاءت الاقدار ... فاحكم فأنت الواحد القهار

وكأنما انت النبي محمد ... وكأنما انصارك الانصار

انت الذي كانت تبشرنا به ... في كتبها الاحبار والاخبار

هذا إمام المتقين ومن به ... قد دُوّخ الطغيان والكفار

هذا الذي ترجى النجاة بحبه ... وبه يحط الإصر والاوزار

هذا الذي تجدي شفاعته غداً ... حقاً وتخمد أن تراه النار

من آل أحمد ، كل فخر لم يكن ... ينمى اليهم ليس فيه فخار

كالبدر تحت غمامة من قسطل ... ضحيان لا يخفيه عنك سرار(٢)

---

(١) ديوان ابن هانىء ٧٦

(٢) القسطل : غبار الحرب . الضحيان : البارز للشمس . السرار : آخر ليلة من الشهر

في جحفل هتم الثنايا وقعه كالبحر فهو غطامط زخار (١)

الى قوله :

انتم أحباء الاله وآله خلفاؤه في أرضه ، الابرار

أهل النبوة والرسالة والهوى في البينات وسادة أطهار

ومن شعره الشائع قوله يمدح يحي بن علي الاندلسي (٢) :

فتكات طرفك أمْ سيوف أبيك
وكؤوس خمر أم مراشف فيك؟

أجلاد مرهفة وفتك محاجرٍ ؟
ما انت راحمة ولا أهلوك

يا بنت ذا السيف الطويل نجاده
أكذا يجوز الحكم في ناديك ؟

قد كان يدعوني خيالك ، طارقاً ،
حتى دعاني بالقنـا داعيك

عيناك أم مغناك موعدنا ، وفي
وادي الكرى نلقاك أم واديك؟

---

(١) هتم : كسر . الغطامط : الزخار

(٢) الديوان ٢٦٤

منعوك من سنة الكرى وسروا ، فلو

عثروا بطيف طارق ظنوك

أبو الحسن جعفر بن عثمان المصحفي (١) :

تقلد مناصب عديدة في عصر الحكم المستنصر ، ثم صار حاجبا لابنه هشام ووزيرا ، وظل في المنصب الى ان تفجرت المنافسة بينه وبين معاصره الوزير محمد بن ابي عامر ؛ واستطاع ابن ابي عامر الانتصار عليه ، فاقنع الخليفة بصرفه عن الحجابة يوم ١٣ شعبان سنة ٣٦٧ هـ ، ثم امر بالقبض عليه وعلى ولده وابن اخيه هشام ، وصرفوا عما كان بأيديهم من الاعمال ، وطولبوا بالاموال ، فتوصل ابن ابي عامر بمحاسبتهم الى استصفاء اموالهم ، واستمرت النكبة على جعفر سنين عديدة ، يحبس مرة ويطلق اخرى ، ولم تنفع توسلاته العديدة ، ولا اشعاره في استعطاف ابن ابي عامر ، ويقال انه كان في محنته هذه من أخور الناس واحبهم في الحياة .

ولجعفر شعر كثير رائع ، ونثر مطبوع ، يدلان على قدرة وشاعرية فذة .

---

(١) انظر ترجمته في جذوة المقتبس ١٧٥ والحلة السيراء ٢/٢٥٧ والبيان المغرب ٢/٢٥٤ ومطمح الانفس ٣

ومن أشعاره في استعطاف ابن ابي عامر قوله (١) :

عفا الله عنك ألا رحمة — تجود بعفوك إن أبعدا
لئن جل ذنب ولم اعتمده — فأنت أجل وأعلى يدا
ألم تر عبداً عدا طوره — ومولى عفا ورشيداً هدى
ومفسد أمر تلافيته — فعاد فأصلح ما أفسدا
أقلني أقالك من لم يزل — يقيك ويصرف عنك الردى

ومن بديع ما حفظ له في نكبته ، قوله يستريح من كربته (٢) :

صبرت على الايام لما تولت — وألزمت نفسي صبرها فاستمرت
فيا عجباً للقلب كيف اصطباره — وللنفس بعد العز كيف استذلت
وما النفس إلا حيث يجعلها الفتى — فان طمعت تاقت وإلا تسلت
وكانت على الايام نفسي عزيزة — فلما رأت صبري على الذل ذلت
وقلت لها يا نفسي موتي كريمة — فقد كانت لنا الدنيا ثم تولت

(١) البيان المغرب ٢/٢٦٨

(٢) المصدر السابق ٢/٢٧٠

أبو عمر يوسف بن هارون الرمادي الكندي (١) :

كان من شعراء الاندلس المعروفين ، وهو قرطبي ، كثير الشعر ، سريع القول ، مشهور عند العامة والخاصة في الاندلس ، حتى كان كثير من شيوخ الادب في عصره يقولون : فتح الشعر بكندة ، وختم بكندة ، يعنون امرأ القيس والمتنبي ويوسف بن هارون ، وكانا متعاصرين .

وقد عمر طويلا اذ عاش نحو مائة عام وتوفي في سنة ٤٠٣ ﻫ وعاصر العديد من حكام الاندلس في عصر الخلافة ، وتقلبت بـه الاحوال ، واظهر ماعرف عن سلوكه الاستهتار والمجاهرة بالمعاصي ، وقد ادى به هذا السلوك الى السجن ، وعمل في سجنه كتاباً سماه (كتاب الطير) في اجزاء ، وكله من شعره ، وصف فيه كل طائر معروف ، وذكر خواصه ، وذيل كل قطعة بمدح ولي العهد هشام بن الحكم ، مستشفعاً به الى ابيه في إطلاقه ، وقد وصفه صاحب الجذوة فقال : وهو كتاب مليح سبق اليه ، وقد رأيت النسخة المرفوعة بخطه

---

(١) انظر ترجمته في اليتيمة ٢ / ١٢ و ١٠٠ وجذوة المقتبس ٢٤٦ والمطرب من اشعار أهل المغرب ٤ ومطمح الانفس ٧٨ ونفح الطيب ١٧٨/٥

ونسخت منها (١) :

اما شعره فالغالب عليه الغزل الماجن ووصف الخمرة ، ولم يصل الينا منه إلا قصائد ومقطعات ، ولا وجود لديوانه .

ومن شعره في الغزل قوله (٢) :

قالوا اصطبر وهو شيء لست أعرفه
ومن ليس يعرف صبراً كيف يصطبر

أوصى الخليّ بأن يغضي الملاحظ عن
غرّ الوجوه ففي إهمالها غرر

وفاتن الحسن قتّال الهوى نظرت
عيني اليه فكان الموت والنظر

ثم انتصرت بعيني وهي قاتلتي
ماذا تريد بقتلي حين تنتصر

يا شقة النفس واصلْها بشقتها
فانما أنفس الاعداء تهتجر

ظلمتني ثم إني جئت معتذراً
يكفيك أني مظلوم ومعتذر

---

(١) جذوة المقتبس ص ٣٤٩

(٢) نفس المصدر ٣٤٨

ومن خمرياته المعروفة قوله :

اشرب الكأس يانصير وهات ... ان هذا النهار من حسناتي
بأبي مزةً ترى الشمس فيها ... في صفاء أصفى من المرآة
يسرع الناس نحوها بازدحام ... كازدحام الحجيج في عرفات
هاتها يا نصير انا اجتمعنا ... لقلوب في الدين مختلفات
انما نحن في مجالس لهو ... نشرب الراح ثم انت مواتي
فاذا ما انقضى دنان على اللهو اعتمدنا مواضع الصلوات
لو مضى الدهر دون راح وقصف ... لعددنا هذا من السيئات

الشريف الطليق (١) :

هو ابو عبد الله مروان بن عبد الرحمن بن مروان بن عبد الرحمن الناصر • دخل سجن المطبق في الاندلس لاتهامه بقتل ابيه في ايام المنصور ابي عامر محمد بن ابي عامر، ثم أُطلق سراحه بعد ذلك فلقب الطليق • وكانت بذور شاعريته قد بدأت تؤتي ثمارها في

---

(١) ترجمته في اليتيمة ٦١/٢ وجذوة المقتبس ٣٢١ والذخيرة ٧٩/٢/١ والحلة السيراء ٢٢٠/١ والمغرب ١٨٦/١

السجن فصار سجنه خير مدرسة هذبت أدبه ، وصقلت شاعريته، اذ التقى في السجن مع جماعة من رؤساء الادباء مثل محمد بن مسعود البجاني ، فلم يزل يأخذ عنهم ويستمد منهم حتى سما ذكره وطار شعره .

دخل السجن وعمره ست عشرة سنة ، ومكث في السجن ست عشرة سنة ، وعاش بعد اطلاقه من السجن ست عشرة سنة .

عاش معظم حياته اديبا شاعرا ، واكثر شعره في السجن ، قيل انه كان في بني امية كابن المعتز في بني العباس ملاحة شعر، وحسن تشبيه . مات قريبا من الاربع مائة ، ومن شعره قوله (١) :

وما طول سجني عائب لي فانه   مس" لألباب صدئن بلا سن"
وما أنا إلا كالعقار تكسبت   نسيماً وطيباً في معاقرة الدن"

وقوله (٢) :

أصبحت في الدهر كالمعقول مختفياً
عن العيون وما تخفي مفاهمه

(١) التشبيهات ٢٨٠
(٢) نفس المصدر ٢٨٠

كأنما السحر صدرى في تضمنه
شخصي وشخصي سري فهو كاتمه
كأنما الدهر يخشى منه لي فرجاً
فمن قيودي على البلوى تمائمه

ابن دراج القسطلي (١) :

ابو عمر احمد بن دراج القسطلي نسبة الى بلدة قسطلة في غرب الاندلس ، ولد سنة ٣٤٧ هـ في مدينة قسطلة ، وبعد ان شب رحل الى عاصمة الاندلس قرطبة واتصل بالحاجب المنصور وتوثقت علاقته به ، وضمه الى ديوان الانشاء بعـــد ان اصبح في مقدمة شعرائه والمفضل على جميعهم لديه ، وعرف بالاستقامة الخلقية والاعتدال في السيرة والبعد عما يشين معظم شعراء عصره ، توفى في سنة ٤٢١ هـ . وصفه الثعالبي بقوله : كان بصقع الاندلس كالمتنبي في صقع الشام، وهو احد الفحول ، وكان يجيد ما ينظم ويقول (٢) ، وقال عنه ابن بسام : كان ابو عمر القسطلي وقنه لسان الجزيرة شاعرا ، وأولا حين عدّ معاصريه من شعرائها المشهورة ، وآخر حاملي لوائها ،

---

(١) ترجمته في يتيمة الدهر ١٠٤/٢ والجذوة ١٠٢ والذخيرة ٤٣/١/١ والمغرب ٦٠/٢

(٢) اليتيمة ١٠٤/٢

وبهجة أرضها وسمائها واسوة كتّابها وشعرائها (١) . وقال عنه ابن حزم : لو قلت انه لم يكن لنا من فحول الشعراء الا احمد بن دراج لما تأخر عن شأو حبيب والمتنبي . ولو قلت : لم يكن بالاندلس اشعر من ابن دراج لم أبعد (٢) . وله ديوان مطبوع وشعر كثير، يغلب عليه موضوع المدح ،ومحاولاته تأريخ معظم غزوات المسلمين التي عاصرها وله رسائل وفصول نثرية ، احتفظ بالكثير منها صاحب الذخيرة ، ونثره دون نظمه الرائق بكثير (٣) . وله اشعار رقيقة تعبر عن حبه لاولاده وولعه بأفراد اسرته، من ذلك قوله في قصيدة يمدح فيها المنصور ابن ابي عامر (٤) :

ولله عزمي يوم ودّعت نحوه
نفوساً شجاني بثها وشجاها
وربة خدر كالجمان دموعا
عزيز على قلبي شطوط نواها
وبنت ثمان لا يزال يروعني
على النأي تذكاري خفوق حشاها

---

(١) الذخيرة ١/١/٤٣

(٢) جذوة المقتبس ١٠٥

(٣) الذخيرة ١/١/٤٥

(٤) الديوان ١٣

وموقفها والبين قــد جدَّ جده

منوطاً بحبلي عاتقيَّ يداها

كشكتي جفاء الاقربين اذا النوى

ترامت برحلي في البلاد فتاها

ومن قوله في قصيدة اخرى يمدح فيها المنصور ايضا (١) :

ولما تدانت للوداع وقد هفا بصبري منها أنة وزفير

تناشدني عهد المودة والهوى وفي المهد مبغوم النداء صغير (٢)

---

(١) الديوان ٢٩٧

(٢) المبغوم : الذي لا يستطيع الافصاح عما يريد في حديثه .



ابن عبد ربه الاندلسي

اسمه ونشأته

شعره

فنون شعره

خصائص شعره الفنية

نـــثره

العقد الفريد



ابن عبد ربه الاندلسي(١)

اسمه ونشأته :

هو ابو عمر احمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب بن حدير بن سالم ؛ وسالم مولى لهشام بن عبد الرحمن الداخل . ولد في قرطبة سنة ست واربعين ومائتين ، لعشر خلون من شهر رمضان ، ونشأ فيها وطلب العلم في جـامعها الكبير على شيوخ عصره ، وفي طليعتهم الفقيه بقي بن مخلد ، والمحدّث المشهور ابن وضـاح ، واللغوي المعروف الخشني ، فأفاد عنهم الفقه وعلوم الحديث واللغة . واعتمد

---

(١) ترجمته في تاريخ علماء الاندلس ١/٣٧ ويتيمة الدهر ٢/٥و٧٥ واعلام الكلام٢٦ وجذوة المقتبس ٩٤ ومطمح الانفس ٥٩ وبغية الملتمس رقم ٣٢٧ ومعجم الادباء ٢/٦٧ ووفيات الاعيان ترجمة ٤٥ وبغية الوعاة ١٦١ وكشف الظنون ١٢٤ وكتاب (ابن عبد ربه وعقده) لجبرائيل جبور .

على نفسه في الاطلاع على كتب التاريخ والسير والادب ، وألمّ بدواوين معظم شعراء المشرق ممن سبقه او عاصره .

وانعكست هذه الثقافة الواسعة المتشعبة على شعره ونثره كما سنرى فيما بعد . قال الحميدي : وكان لابي عمر بالعلم جلالة ، وبالادب رياسة وشهرة ، مع ديانته وصيانته ، واتفقت له ايام وولايات للعلم فيها نفاق ، فساد بعد خمول ، وأثرى بعد فقر ، واشير بالتفضيل اليه الا انه غلب الشعر عليه(١) .

ويظهر انه زار بلاد المشرق ، وان لم يتحدث مترجموه عن هذه الزيارة ، وقد تكون عابرة في طريقه الى اداء فريضة الحج ، لانه يصف بعض البلدان المشرقية والاماكن المقدسة وصفا دقيقا ينمّ عن مشاهدة حقيقية(٢)

والمتأمل في شعره يحس بانه كان في سن الشباب مقبلا على اللهو والمتعة ، الا انه لم يكن فاجرا او مجاهرا بالسلوك اللاأخلاقي . ووصلت الينا نماذج شعرية كثيرة تعبر عن هذه المرحلة من حياته اللاهية(٣) .

---

(١) جذوة المقتبس ٩٤

(٢) انظر العقد الفريد ٣/٢٨٠ وظهر الاسلام ٣/٨٥

(٣) انظر يتيمة الدهر ٢/٦

وكان يذهب الى سماع الغناء والتمتع به ، روي انه وقف تحت روشن لبعض الرؤساء ، وقد سمع غناء حسنا ، فرُش بماء ولم يُعرف من هو، فمال الى مسجد قريب من المكان واستدعى بعض الواح الصبيان فكتب :

يا من يضن بصوت الطائر الغرد ما كنت أحسب هذا البخل في أحد

لو ان أسماع اهل الارض قاطبة أصغت الى الصوت لم ينقص ولم يزد

فلا تضن على سمعي تقلده صوتا يجول مجال الروح في الجسد

لو كان زرياب حيا ثم أسمعه لذاب من حسد أو مات من كمد

اما النبيذ فاني لست أشربه ولست آتيك الا كسوتي بيدي

وأفاض في محاسن الغناء في كتابه العقد ، قال : وقد يتوصل بالالحان الحسان الى خير الدنيا والاخرة ، فمن ذلك انها تبعث على مكارم الاخلاق من اصطناع المعروف ، وصلة الرحم ، والذبّ عن الأعراض والتجاوز عن الذنوب ، وقد يبكي الرجل بها في خطيئته ، ويرقق القلب من خشونته ، ويتذكر نعم الملكوت ، ويتمثله في ضميره(١) .

وقد عاصر مجموعة من أمراء وحكام عصره ، وكان حسن الصلة بهم

(١) العقد الفريد ٣/٢٢٩

منهم أمير قرطبة محمد بن عبد الرحمن بن الحكم المتوفى سنة ٢٧٣ ﻫ وفي شعره كثير من مدحه ، ولازم بعده ابنه المنذر وأثنى عليه في عقده وشعره ، وتطرق الى حروبه مع ابن حفصون ، وانتصر له ، ونعت خصمه بالمارق الفاسق ٠

ومما قاله فيه(١) :

بالمنـذر بن محمد شرفت بلاد الاندلس

فالطير فيـها ساكن والوحش فيها قد أنس

وحين توفي المنذر وخلفه ابنه عبد الله ظلّ ابن عبد ربه على صلته الوثيقة ببيت الامارة ، واطمأن الى عهده وحكمه ، ومما قال فيه(٢) :

خلافة عبد الله حج على الورى فلا رفث في عصره وفسوق

تجلت دياجي الحيف عن نور عدله كما ذرّ في جنح الظلام شروق

وثقف سهم الدين بالعدل والتقى فهذا له نصل وذلك فوق

وبعد ان توفي الامير عبد الله تولى الحكم عبد الرحمن الناصر ،

---

(١) ابن خلكان ١/٣٤

(٢) البيان المغرب ٢/١٨٣

وسرعان ما وطد شاعرنا به الصلة ولازمه ؛ وأكثر من مدحه ، وأرخ غزواته حتى قال في عقده(١) : وقد قلت وقيل في غزواته كلها أشعار قد جالت في الامصار وشرّدت في البلدان ، حتى أتهمت وانجدت وأعرقت ، ولولا ان الناس مكتفون بما في أيديهم منها لأعدنا ذكرها أو ذكر بعضها .

ونظم مغازيه فعلاً في أرجوزة طويلة بلغت أربعمائة وخمسة واربعين بيتا ، خلد فيها جميع إنتصارات الناصر حتى انتهى فيها الى سنة ثلاثمائة واثنتين وعشرين .

ولم ينقطع عن نظم الشعر الى أواخر أيام حياته ، فقد حفظت له مقطوعة ذكر انه قالها قبل وفاته بأحد عشر يوما . يبين فيها مبلغ سِنّه ، وهي آخر شعر قاله، منها :

كلاني لما بي عاذلي كفاني	طويت زماني برهة وطواني
بليت وأبلتني الليالي بكرّها	وصرفان للايام معتوران
وما لي لا أبلى لسبعين حجّة	وعشر أتت من بعدها سنتان

ولا نعرف عن حياته الخاصة والعائلية شيئا ذا بال ، إلا اننا نعثر في شعره على اسم لأحد ابنيه اللذين فقدهما في حياته .

---

(١) العقد الفريد ٤/٤٩٨

وهو يحيى وكنيته ابو بكر ، وقال فيهما شعرا كثيرا يتفجع عليهما ويبث حزنه لاجلهما .

واصيب في أواخر عمره بمرض الفالج فأقعده ، ومات في قرطبة يوم الاحد لاثنتي عشرة ليلة بقيت من جمادى الاولى سنة ثلاثمائة وثمان وعشرين ، وهو ابن إحدى وثمانين سنة وثمانية اشهر وثمانية ايام (١) .

وكان يوم تشييعه يوما حافلا في تاريخ قرطبة . قال يحيى بن هذيل : ان اول تعرضه للشعر إنما كان لانه حضر جنازة احمد بن محمد بن عبد ربه ، قال : وانا يومئذ في أوان الشبيبة ، فرأيت فيها من الجمع العظيم ، وتكاثر الناس شيئا راعني ، فقلت لمن هذه الجنازة ؟ فقيل لي : لشاعر البلد ، فوقع في نفسي الرغبة في الشعر واشتغل فكري بذلك (٢) .

شعره :

كان ابن عبد ربه من ابرز شعراء عصره ، وأشاد به جميع من ترجم له ، وأحلوه منزلة رفيعة بين شعراء الاندلس عامة ، وشعراء

---

(١) ابن الفرضي ٣٧/١

(٢) جذوة المقتبس ٣٥٨

عصره خاصة . فوصفه مترجموه بأنه شاعر الاندلس وأديبها (١) ، وله شعر انتهى منتهاه ، وتجاوز سماك الاحسان وسهاه (٢) وشعره في غاية الجزالة والحلاوة ، وعليه رونق البلاغة والطلاوة (٣) وهو إمام أهل المائة الرابعة ، وفرسان شعرائها في المغرب كله (٤) .

ويورد ياقوت قصة إعجاب المتنبي بشعره فيقول (٥) : ان الخطيب أبا الوليد بن عسال حج ، فلما انصرف تطلع الى لقاء المتنبي ، واستشرف ورأى ان لقيته فائدة يكتسبها وحلّة فخر لا يحتسبها فصار اليه ، فوجده في مسجد عمرو بن العاص ، ففاوضه قليلا ، ثم قال : ألا إنشدتني لمليح الاندلس ، يعني ابن عبد ربه ، فأنشده :

يا لؤلؤاً يسبي العقول انيقاً ورشا بتقطيع القلوب رفيقا
ما إن رأيت ولا سمعت بمثله ورداً يعود من الجناء عقيقا

---

(١) تاريخ علماء الاندلس ٣٧/١
(٢) مطمح الانفس ٥٨
(٣) يتيمة الدهر ٧٥/٢
(٤) عنوان المرقصات ٥٦
(٥) معجم الادباء ٧١/٢

وإذا نظرت الى محاسن وجهه	أبصرت وجهك في سناه غريقا
يامن تقطّع خصره من ردفه	ما بال قلبك لا يكون رقيقا

فلما اكمل انشاده استعادها منه ؛ ثم صفق بيديه ، وقال : يا ابن عبد ربه لقد يأتيك العراق حبواً .

وكان على صلة بشعراء عصره ، وله معهم مجاذبات ومقارضات، من ذلك ما جرى بينه وبين القلفاط (١) وما جرى بينه وبين الشاعر محمد بن عبيد الله الليثي (٢) .

ديوانه :

كان ابن عبد ربه كثير الشعر ، وقد جمع شعره في ديوان خاص أشار اليه الاقدمون ، وإن لم يصل الينا ، فقد ذكر الحميدي : ان شعره كثير مجموع ، رأى منه نيفا وعشرين جزءاً ، من جملة ما جمع للحكم بن عبد الرحمن الناصر ، وبعضها بخطه (٣) .

---

(١) جذوة المقتبس ٤٢

(٢) المصدر السابق ٦٢

(٣) المصدر السابق ٩٤

وقال ابن خلكان : له ديوان شعر جيد (١) .

وقدر شعره بألف واربعمائة بيت ونيف ، عدا ما انفرد به المقري في نفح الطيب ، وهو كثير (٢) .

وتصدى أحد الدارسين في القاهرة لجمع شعره في رسالة جامعية هو السيد موسى رزق ريحان ، وجعل عنوان رسالته « شعر ابن ربه جمعا وتحقيقاً ودراسة » نال بها الماجستير من كلية الاداب بجامعة القاهرة عام ١٩٧١ .

---

(١) وفيات الاعيان ٣٣/١

(٢) ابن عبد ربه وعقده ١٢٥

فنون شعره

تطرق شاعرنا الى معظم فنون الشعر في عصره ، وأبرز فنونه :

الغزل :

يعد الغزل من أوسع الاغراض التي طرقها الشاعر ومعظم من ترجم له أكد هذه الحقيقة ، وأثبت له قطعاً غزلية تفوق قطع الاغراض الاخرى ، فالثعالبي مثلاً أثبت له ما يقارب التسعين مقطوعة غزلية ، وحتى إعجاب المتنبي به كان في ابيات غزلية له اولها (١) :

يا لؤلؤاً يسبي العقول أنيقاً ورشا بتقطيع القلوب رفيقا
ماإن رأيت ولا سمعت بمثله ورداً يعود من الحياء عقيقاً

ومعظم غزله خال من العاطفة الصادقة او المعاناة الحقيقية المخلصة ، نظمه لغايات تعليمية ، او لأغراض اخرى ، فهو قد نظم عشرات المقطوعات الغزلية ، لتكون مثالاً على ضروب العروض المختلفة ، ملتزماً ابيات الخليل في الوزن والقافية .

---

(١) معجم الادباء ٧١/٢

وفي قسم كبير من غزله كان مقلدا لشعراء المشرق في الالفاظ والمعاني ، كمعارضته للاميّة الشاعر العباسي مسلم بن الوليد ، التي يقول فيها :

أديرا عليّ الراح ولا تشربا قبلي ولاتطلبا من عند قاتلتي ذحلي(١)

قال ابن عبد ربه :

أتقتلني ظلما وتجحدني قتلي وقد قام من عينيك شاهدا عدل

ومع ذلك فله أشعار غزلية رقيقة نحسّ فيها العاطفة الصادقة والجمال والخفة ، من ذلك قوله(٢) :

أيها البدر الذى ضنّ علينا بالطلوع
أبغ لي عندك قلبا طار من بين ضلوعي
يا بديع الحسن كم لي فيك من وجد بديع

وقوله الجميل(٣) :

بنفسي من مراشفه مدام ومن لحظات مقلته سهام

(١) العقد ٣٩٨/٥

(٢) يتيمة الدهر ٧٥/٢

(٣) ن . م ٩٦/٢

وَمن هو إن بدا والبدر ثمّ ... صبا من حسنه البدر التمام

أقول له وقد أبدا صدودا ... فلا لفظ إليّ ولا ابتسام

تكلم ليس يوجعك الكلام ... ولا يمحو محاسنك السلام

ومن قوله في البين(١) :

هيّج البين دواعي سقمي ... وكسا جسمي ثوب الألم

أيها البين أقلني مرة ... فاذا عدت فقد حلّ دمي

يا خلي الذرع نم في غبطة ... إنّ من فارقته لم ينم

ولقد هاج لقلبي سقما ... ذكر من لو شاء داوى سقمي

ومما شاع من غزله الرقيق وسار في الآفاق قوله(٢) :

الجسم في بلد والروح في بلد ... يا وحشة الروح بل يا غربة الجسد

إن تبك لي عيناك يامن كلفت به ... من رحمة فهما سهماك في كبدي

ومن ذلك قوله من قصيدة(٣) :

كتمت الهوى جهدي فجرده الاسى ... بماء البكا هذا يخط وذا يملي

وأحببت فيها العذل حبا لذكرها ... فلاشيء أشهى في فؤادي من العذل

---

(٤) العقد ٥/٤١٢

(٥) جذوة القتبس ٩٥

(٣) العقد ٥/٣٩٩

الهجاء :

من يتتبع كتاب (العقد الفريد) يجد ميلا واضحاً لدى ابن عبد ربه نحو الانتقاد ، فقد وجه سهام النقد إلى كثير من العلماء والادباء . وقد انعكس هذا الميل على شعره أيضاً . وإن لم نجد فيه نماذج كثيرة في هذا الميدان .

وهو في معظم هجائه يسعى إلى النكتة والدعابة ، وإلى الاستهزاء والسخرية ، وجعل المهجو أضحوكة مزرية .

فحين أراد أن يهجو بخيلاً رسم له هـذه الصورة المزرية فقال (١) :

طعام من لبيت له ذاكراً ... دق كما دق بأن يذكرا

لا يفطر الصائم من أكله ... لكنه صوم لمن أفطرا

في وجهه من لؤمه شاهد ... يكفي به الشاهد أن يخبرا

لم تعرف المعروف أفعاله ... قط كما لم ينكر المنكرا

---

(١) العقد ٦ / ١٩١ .

ورسم صورة أخرى لشخص وضع حاجباً على بابه ، لا تقل سخرية وإزراء عن الصورة السابقة قال (١) :

ما بال بابك محروساً ببواب ... يحميه من طارق يأتي ومنتاب

لا يحتجب وجهك الممقوت عن أحد ... فالمقت يحجبه من غير حجّاب

فاعزل عن الباب من قد ظل يحجبه ... فان وجهك طلسم على الباب

ولم يخل هجاؤه من بعض الالفاظ البذيئة ، كان الأجدر به أن يتعفف عن ذكرها ، مثل هجائه الشاعر القلفاط (٢) .

وإذا أزعجه أمر أفرغ فيه كثيراً من أشعاره ، وألح عليه ، وأعطاه أكثر مما يستحقه ، من ذلك أن رجلاً كتب اليه بعِدة في صحيفة ومطله بها ، فوجه إليه قارص هجائه في ثلاث مقطعات متلاحقة ، استهل الاولى بقوله :

صحيفة طابعهـــا اللـــؤم ... عنوانها بالجهل مختوم

واستهل الثانية بقوله :

صحيفة كتب ليت بها وعسى ... عنوانها راحة الراجي إذا يئسا

---

(١) العقد ١ / ٧٨ .

(٢) المقتبس ٤٢ .

واستهل الثالثة بقوله :

رجاء دون أقربه السحاب ووعد مثل ما لمع السراب (١)

وفي هجائه أثر واضح من حدة طبعه وسرعة غضبه ، فلا يكاد أحد يرد له طلباً ، أو يعتذر له عن أمر يريده حتى يكون هدفاً لسهام هجائه ، وقارص ألفاظه . فقد سأل بعض موالي السلطان إطلاق محبوس فتلكأ فيه ، فسارع الى هجائه قائلا : (٢)

حاشا لمثلك أن يفك أسيرا أو أن يكون من الزمان مجيرا

لبست قوافي الشعر فيك مدارعا سوداً وصكت أوجهاً وصدورا

هلا عطفت برحمة لما دعت ويلا عليك مدائحي وثبورا

لو ان لؤمك عاد جوداً عسره ما كان عندك حاتم مذكورا

---

(١) العقد الفريد ١ / ٢٥٢ .

(٢) العقد الفريد ١ / ٢٨٦ .

الزهد :

يعد الزهد من فنون شعره البارزة ، ويرجّح أن معظم زهدياته نظمها بعد انتهاء مرحلة شبابه ، اذ عرف بلون من شعر الزهد سمي (الممحصات) وذلك أنه نقض كل قطعة قالها في الصبا والغزل بقطعة في المواعظ والزهد ، محصها بها ، كالتوبة منها والندم عليها (١) .

ومن مقطعاته الغزلية التي محصها ما كتب به إلى بعض من كان يألفه حين أزمع على الرحيل في غداة ذكرها ، فأتت السماء في تلك الغداة بمطر غزير حال بينه وبين الرحيل ، فقال له : (٢)

هلا ابتكرت لبين انت مبتكر ... هيهات يأبى عليك الله والقدر
ما زلت أبكي حذار البين ملتهفاً ... حتى رثى لي فيك الريح والمطر
يا برده من حيا مزن على كبد ... نيرانها بغليل الشوق تستعر
آليت أن لا أرى شمساً ولا قمراً ... حتى أراك فأنت الشمس والقمر

فقال ممحصاً هذه المقطوعة :

يا عاجزاً ليس يعفو حين يقتدر ... ولا يقضي له من عيشة وطر

---

(١) جذوة المقتبس ٩٥ .

عاين بقلبك إن العين غافلة عن الحقيقة واعلم ألها سقر

سوداء تزفر من غيظ إذا سعرت للظالمين فلا تبقي ولا تذر

إن الذين اشتروا دنيا بآخرة وشقوة بنعيم ساء ما تجروا

يا من تلهّى وشيب الرأس يندبه ماذا الذي بعد شيب الرأس تنتظر

لو لم يكن لك غير الموت موعظة لكان فيه عن اللذات مزدجر

أنت المقول له ما فات مبتدئاً «هلا ابتكرت لبين أنت مبتكر»(١)

وقد أغنت هذه الممحصات شعره ، حتى قال الحميدي : وله أشعار كثيرة جـداً سماها (الممحصات) (٢) ولم يقتصر في زهدياته على هذا اللون فقط بل كان ينظم مقطعات زهدية في غير هذا الميدان ، وقد يعمد إلى أقوال الزهاد المعروفين ويصوغها شعراً ، من ذلك انه حينما روى في العقد : قال الحسن البصري : ابن آدم ، لست بسابق أجلك ، ولا ببالغ أملك ، ولا مغلوب على رزق ، ولا بمرزوق ما ليس لك ، فعلام تقتل نفسك ؟ قال : قد أخذت هذا المعنى فنظمته في شعر ، فقلت :

لست بقاض أمـلي ولا بعاد أجـلي

---

(١) جذوة المقتبس ٩٤ و ٩٥ .

(٢) ن . م ٩٥ .

ولا بمغاوب على الرز ق الذى قدّر لي
ولا بمعطى رزق غـــيري بالشقا والعمل
فليت شعري ما الذي أدخلني في شغلي (١)

وهو حين فعل ذلك أتى بشعر متكلف لا يعبر عن عاطفة بقدر تعبيره عن الفكر . ومع ذلك فله خطرات زهدية تمثل صفاء زهده، ونقاء نفسه ، وصدق توبته ، من ذلك قوله في هول الموقف : (٢)

يا ويلنا من موقف مابه أخوف من أن يعدل الحاكم
أبارز الله بعصيانه وليس لي من دونه راحم
يا رب غفرانك عن مذنب أسرف إلا أنه نادم

أو قوله في التوبة : (٣)

بادر إلى التوبة الخلصاء مجتهداً والموت ويحك لم يمدد إليك يدا
وارقب من الله وعداً ليس يخلفه لابد لله من انجاز ما وعدا

وتطرق في زهدياته الى أكثر معاني الزهد الاسلامي التي تحدث

---

(١) العقد ٣ / ٢٠٦ .
(٢) ن . م ٢ / ١٨٢ .
(٣) ٣ / ١٨٤ وانظر ٣ / ١٨٩ .

عنها الفقهاء والزهّاد ، مثل البكاء من خشية (١) ، والبعد عن خدمة السلطان أو صحبته (٢) ، واللجوء الى الله تعالى بدوام الدعاء (٣) ، والتوبة النصوح (٤) ، ودوام ذكر الموت (٥) ، وذم الدنيا (٦) .

ويبدو أنه كان متأثراً بأبي العتاهية في زهده ، فهما متشابهان في الرجوع عن اللهو في الشباب الى الزهد في أواخر العمر ، ويظهر هذا التأثر واضحاً في كثرة شواهد الزهد في كتاب العقد التي طالما أتبعها بأبيات له على غرارها (٧) .

---

(١) انظر العقد ٣ / ١٩٨ .

(٢) ن . م ٣ / ٢٠١ .

(٣) ن . م ٣ / ٢٢٧ .

(٤) ن . م ٣ / ١٨٢ .

(٥) ن . م ٣ / ١٨٩ .

(٦) ن . م ٣ / ١٧٥ .

(٧) انظر مثلا العقد ٣ / ١٧٥ و ١٨٩ .

المديح :

شعر ابن عبد ربه في المديح قليل ، ومع ذلك فهو يتميز بصدق العاطفة ، وإن جنح فيه أحياناً إلى المبالغة ، شأنه في ذلك شأن شعراء عصره ، من ذلك قوله : (١)

من يرتجى بعدك أو يتقى وفي يديك الجود والباس
إن عشت عاش الناس في نعمة وإن تمت مات بك الناس

أو قوله فى الناصر : (٢)

ان الخلافة لن ترضى ولا رضيت حتى عقدت لها في رأسك التاجا

ومعاني مديحه التي كان يؤثرها فى اشعاره هي المعاني المألوفة لدى معظم الشعراء العرب ، مثل الكرم والشجاعة والتواضع والهيبة والصدق والعدل ... الخ .

وكان عبد الرحمن الناصر في طليعة ممدوحيه ، ومدائحه وأشعاره فيه كثيرة ، وهو عنده القمر الأزهر ، والأسد الغضنفر ، والميمون

---

(١) يتيمة الدهر ٢ / ٧٧ .
(٢) العقد ٤ / ٥٠٠ .

النقيبة ، والمحمود الضريبة ، وسيد الخلفاء ، وأنجب النجباء .

ونظم في غزواته أشعاراً جيدة كثيرة ، أبرزها ارجوزة طويلة ، عدّد فيها غزواته ، وأثبتها في عقده ، وهي مكونة من (٤٤٥) بيتاً ، عرض فيها تلك الغزوات على مدى اثنتين وعشرين سنة ، ما بين ٣٠١ و ٣٢٢ هـ ، بدأ بقوله :

سبحان من لم تحوه أقطار ... ولم تكن تدركه الأبصار

وبعد مقدمة مكونة من أحد عشر بيتاً ينتقل الى مدح الناصر فيقول :

أقول في أيام خير الناس ... ومن تحلى بالندى والباس

ومن أباد الكفر والنفاقا ... وشرّد الفتنة والشقاقا

ونحن في حنادس كالليل ... وفتنة مثل غثاء السيل

حتى تولى عابد الرحمن ... ذاك الأغرّ من بني مروان

ويمضي معدداً مناقبه في ثمانية وعشرين بيتاً ، ثم ينتقل الى وصف أول غزواته فيقول :

ثم انتحى جيان فى غزاته ... بعسكر يسعر من حماته

ويظل ينتقل من غزوة الى أخرى حتى يختم ارجوزته بقوله :

ثم ثنى الامام من عنانه ... وقدشفى الشجي من أشجانه

وأمن القفار من أنجاسها وطهّر البلاد من أرجاسها

ويعد ابن عبد ربه من الرواد في هذا اللون الفني من نظم السير التاريخية ، ولم يسبقه في ذلك الا الشاعر الأندلسي الغزال (ت ٢٥٠ هـ) في ارجوزته حول الاندلس .

ومع أن ابن عبد ربه يذكر بأن أشعاره في مدح الناصر جالت في الأمصار ، وشرّدت في البلدان ، حتى أتهمت وأنجدت وأعرقت . فلم يصل الينا منها غير هذه الارجوزة وقصيدة جيمية قالها في أول غزاة غزاها عبد الرحمن ، استهلها بقوله :

قد أوضح الله للاسلام منهاجا والناس قد دخلوا في الدين أفواجا

عدتها ستة عشر بيتاً ، وهي تستمد معاني المدح من مُثل الاسلام وقيمه (١) . ومقطوعة من ستة أبيات عرض فيها مناقب الناصر يقول فيها : (٢)

يا بن الخلائف والعلا للمعتلي والجود يعرف فضله للمفضل

نوّهت بالخلفاء بل أخملتهم حتى كأن نبيلهم لم ينبل

---

(١) العقد ٤ / ٥٠١ .

(٢) ن . م ٤ / ٥٠٠ .

الوصف :

من حق ابن عبد ربه على الباحث أن يفرد له باباً خاصاً في غرض الوصف ، لكثرة ما وصفه في قطع مستقلة أو في ثنايا أشعاره، وهو شأنه شأن أكثر الشعراء الاندلسيين متفوق وبارع في هذا اللون من الشعر ، لرقة طبع الاندلسيين ، وجمال خيالهم وسعته ، وبهجة وروعة طبيعة بلادهم التي تركت بصمات واضحة على مشاعرهم وأشعارهم .

وقد فتن ابن عبد ربه كما فتن غيره من شعراء الأندلس بالطبيعة ، فخصها بلوحات زاهية جميلة بهيجة ، من مثل قوله في وصف الربيع : (١)

وجه ربيع أتاك باكره   يرفل في حليه وفي حلله

كأن أيامـــه ملبّسة   أثواب غضّ الشباب مقتبله

ووصف الرياض ومباهج مناظرها ، تمهيداً للانتقال الى المدح ، فقال : (٢)

---

(١) التشبيهات ٤٦ .

(٢) العقد ٥ / ٤٢٣ .

وما روضة بالحزن حاك لها الندى   برودا من الموشى حمر الشقائق

يقيم الدجى أعناقها ويميلها   شعاع الضحى المستن في كل شارق

اذا ضاحكتها الشمس تبكي بأعين   مكللة الاجفان صفر الحمالق

حكت أرضها لون السماء وزانها   نجوم كأمثال النجوم الخوافق

بأطيب نشراً من خلائقه التي   لها خضعت في الحسن زهر الخلائق

ووصفه لتغريد الحمام صورة رائعة ، تعبر عن طبعه الرقيق ، وعذوبة ألفاظه ، وجمال صوره ، حيث يقول : (١)

وإن ارتياحي من بكاء حمامة   كذي شجن داويته بشجون

كأن حمام الأيك حين تجاوبت   حزين بكى من رحمة لحزين

ووصفه لها في مقطوعة أخرى لا يقل روعه عن هذا الوصف ، حيث يقول : (٢)

ولربَّ نائحة علــى فنن   تشجي الخليَّ وما به شجو

وتغرَّدت في غصن أيكتها   فكأنما تغريدها شـــدو

ولم تقتصر أوصافه على الطبيعة الجميلة فحسب ، بل وصف

(١) التشبيهات ٥٦ .

(٢) ن . م ٥٦ .

كثيرا مما وقعت عليه عينه وأثاره ، أو ارتسم في خاطره وحرك وجدانه ، فوصف الحروب وعدتها (١) ، والطرد وحيوانه وسلاحه(٢) ووصف البحر وسفنه (٣) ، والقصور وحدائقها (٤) ، ووصف المرأة ومواطن الفتنة والجمال فيها ، حسنها ، عيونها ، ثغرها ، رضابها ، بكاءها (٥) ، ووصف الخمرة ومجالسها ، سقاتها وكؤوسها ونداماها (٦) .

وكان شاعرنا مغرماً بالتشبيه ، أتى به في معظم أشعار وصفه ، ويكفي أن نذكر ان صاحب كتاب (التشبيهات من أشعار أهل الأندلس) أثبت له أربعين نصاً في كتابه.اكثرهافي باب الوصف(٧).

---

(١) العقد ١ / ٩٦ و ١١١ - ١١٦ و ١٨٥ .

(٢) التشبيهات ١٨٣ و ٢٠١ .

(٣) ن . م ١٧٩ .

(٤) ن . م ٧٢ .

(٥) ن . م ٢٣ و ١٣٦ و ١٣٨ و ١٥٢ .

(٦) ن . م ١٤٨ و ١٥٨ و ١٥٩ و ١٧٣ و ١٨٠ .

(٧) انظر مثلا التشبيهات : ٤٦ و ٥٦ و٦٢ و ٧٢ و ٨٤ و ٨٦ و ٨٨ و ٢٠١ و ٢٤٩ و ٢٥٢ و ٢٨٦

الرثاء :

شعره في هذا الباب قليل : ومقصور على اهل بيته وذويه ، ومن خلال النماذج القليلة التي وصلت الينا يظهر انه صادق فيه ، بعيد عن التكلف ، ينم عن نفس شفافة ، وعاطفة رقيقة ، وألم دفين ، وحزن ممض ، وبخاصة اذا قرأنا رثاءه لولديه ، وهو مشوب بالوعد والاعتبار .

وقد كان بارعا في وصف مرض ابنه وهو يتقلب على فراش الموت ، ينظر اليه بعين باكية حزينة ، لا يستطيع ان يدفع عنه الموت ولا يفلح الطبيب في طرد الآلام عنه او شفائه ، ولا يبقى أمامه إلا أن يضرع الى الله تعالى بدعاء صادق ، يخرج من قلب والد مكلوم حزين الى رب رحيم مجيب ، فيقول(١) :

بنيّ لئن أعيا الطبيب ابن مسلم
ضناك وأعيا ذا البيان المسجّع

لأبتهلنّ تحت الظلام بدعوة
متى يدعها داع الى الله يسمع

يقلقل ما بين الضلوع نشيجها
لها شافع من عبرة وتضرع

الى فارج الكرب المجيب لمن دعا
فزعت بكربي انه خير مفزع

---

(١) العقد ٣ / ٢٢٧ .

فيا خير موعود دعوتك فاستمع

ومالي شفيع غير فضلك فاشفع

ويفارق ولده الحياة ، ويصبح جثة هامدة تنقل الى رمسه ، وتبلى عظامه ، ويظل حزن الشاعر يتجدد ، ولا يسعفه الصبر ، فيقول (١) :

بليت عظامك والاسى يتجدد　　والصبر ينفد والبكا لا ينفد

يا غائبا لا يرتجى لإيابه　　ولقائه دون القيامة موعد

ما كان أحسن ملحداً ضمّنته　　لو كان ضم أباك ذاك الملحد

باليأس أسلو عنك لا بتجلدي　　هيهات اين من الحزين تجلد

ويذكره فتتقطع كبده ، وتحرق فؤاد لواعج الكمد ، ويستمطر رحمة الله على حشاشة قلبه التي دفنها بيده ؛ فيقول بألم وحسرة (٣)

واكبدا قد قطعت كبدي　　وحرّقتها لواعج الكمد

ما مات حيّ لميت أسفاً　　أعذر من والد على ولد

يارحمة الله جاوري جدثاً　　دفنت فيه حشاشتي بيدي

ونوري ظلمة القبور على　　من لم يصل ظلمه الى أحد

وجميع مراثيه في ابنه الكبير الذي سماه (يحى) عندما قال (٣) :

---

(١) العقد الفريد ٣/٢٥٠

(٢) المصدر السابق ص ٢٥١/٣

(٣) المصدر السابق ص ٢٥١/٣

يا موت ، يحى لقد ذهبت به

ليس بزمّيلة ولا نكد (١)

وكناه (ابا بكر) بقوله (٢) :

واهاً عليك ابا بكر مردّدة لو سكّنت ولها أوفتّرت شجنا

وطفله الصغير الذي لم يسمه ، ولكن وصفه ينم عن سنّه ، اذ قال (١) :

فريخ من الحمر الحواصل ما اكتسى

من الريش حتى ضمه الموت والقبر

خصائص شعره الفنية :

سبق ان تحدثنا في صدر فنون شعره عن اعجاب القدامى بشعره ووصفهم إياه بانه (في غاية الجزالة والحلاوة ، وعليه رونق البلاغة والطلاوة) ونحاول هنا ان نلخص ابرز ما يتميز به شعره من خلال ما وصل الينا من نماذج .

---

(١) الزميل : الجبان

(٢) العقد ٢٥٣/٣

(٣) المصدر السابق ٣٥٨/٣

١ - السهولة والبساطة :

فاسلوبه يتميز بالالفاظ السهلة ، والتعابير البسيطة ، فالقاريء يسير مع اشعاره بلا توقف ، وهو لا يتعثر بالمعاني العميقة او الالفاظ الفخمة ، ولا يتيه بين العبارات الملتوية ، والجمل المعقدة ، اذ يكاد يقترب الشاعر في اشعاره من لغة الحديث المباشر ، وهو يمدح من يتصف باستسهال اللفظ وحسن الكلام .

وهو أبعد ما يكون عن التكلف والتعقيد ، يعبر في شعره عن طبع وسجية ، ولذلك نراه يقول : فانما مدار كل شيء على طبعه ، والتكلف مذموم من كل وجه (١) .

وهذه السهولة والبساطة لا تكون دائما من حسنات إسلوبه ، بل تنقلب احيانا الى سطحية ونثرية ، وان قل ذلك عنده (٢) .

٢ - يتضح في شعره ميله الشديد الى المحافظة على الاتجاه القديم ، وتأثره بشعراء المشرق ، من حيث المعاني والصور ، فكان يحاكي كبار شعراء المشرق ، ويولع بمعارضته اشعارهم ، بهدف التفوق عليهم ، لا الاعجاب بهم فحسب ، انطلاقا من حب تأكيد الذات الاندلسية .

---

(١) المصدر السابق ٢/٤٩٢

(٢) انظر مثلاً وفيات الاعيان ١/٣٣

ولذلك نراه حين يعارض مسلم بن الوليد في قصيدته اللامية يعقب بعد الانتهاء من عرض نصه بقوله : فمن نظر الى سهولة هذا الشعر مع بديع معناه ورقة طبعه ، لم يفضله شعر صريع الغواني عنده إلا بفضل التقدم (١) .

ان هذا التعقيب لا يعني انه اتخذ صريع الغواني إماما يقلده من غير تحرر او اصغاء الى قلبه (٢)

وحاكى ابا تمام في وصف القلم ، ولكنه لم يلتزم غير معارضة معانيه واستنساخها ، دون بقية اركان المعارضة (٣) .

٣ - استوفى في شعره معظم جوانب ثقافتـــه ، فجاءت اشعاره معبرة عما احاط به من معرفة وعلوم عصره .

فللامثال مكانة في كثير من نصوص شعره ، وهو قد جعل لها جوهرة كاملة في عقده كما نعرف ، ولذلك فقد ضمن كثيرا من اشعاره امثالا معروفة ، من ذلك قوله (٤) :

---

(١) العقد ٣٩٨/٥

(٢) انظر ضحى الاسلام ١٢٤/٣

(٣) انظر النصين في العقد ١٩٢/٤

(٤) نفس المصدر ١٣٧/٣

قالوا : شبابك قد ولى فقلت لهم

هل من جديد على كر الجديدين

صل من هويت وإنْ أبدى معاتبة

فأطيب العيش وصل بين إلفين

واقطع حبائل خل لا تلائمه

فربما ضاقت الدنيــا على اثنين

ونظم بيتا اوله مثل ، وآخره مثل فقال (١) :

وقد صرح الاعداء بالبين وأشرق الصبح لذي العين

وأردفه بأبيات في كل منها مثل .

أما ثقافته القرآنية فقد أفاد منها كثيراً ، فأورد آيات بنصها في ثنايا شعره ، مثل قوله (٢) :

اما والذي سوى السماء كانها ومن مرج البحرين يلتقيان

او يفيد من بعض الفاظ الايات مثل قوله (٣) :

خلافة عبد الله حج على الورى

فلا رفث في عصره وفسوق

---

(١) المصدر السابق ٣/١٣٧

(٢) اليتيمة ٢/١٠

(٣) البيان المغرب ٢/١٨٢

أو قوله في الناصر(١) :

وبادرت نحوك الابصار واكتحلت   بحسن يوسف في محراب داود

أو قوله فيه ايضا (٢) :

ماكان منك سليمان ليدركه   والمبتغي سد ياجوج وماجوج

أما ثقافته الفقهية فقد عبر عنها في بعض أشعاره ايضا حيث يقول(٣) :

وافتضضنا من العواتق بكرا   نكحت امها بغير صداق

ثم بانت ولم تطلق ثلاثا   لم تبن حرة بغير صداق

ويقو لفي بيت آخر(٤) :

وما بعت الهوى بيعا بشرط   ولا استثنيت فيه بالخيار

ومعرفته بالمصطلحات النحوية أملت عليه ان يقول(٥) :

---

(١) تاريخ عبد الرحمن الناصر ٤٠

(٢) ن م ٣٨

(٣) اليتيمه ٢/٩

(٤) العقد ٣/٤٣

(٥) ن م ١/٣٩

أضحى لك التدبير مطردا مثل اطراد الفعل للاسم

أما معرفته بأحداث التاريخ فقد جعلته ينظم ارجوزته التاريخية المعروفة(١) . ومثل ذلك يقال عن معرفته العروض في نظمه (ارجوزة العروض)(٢).

٤ ـ وكان مولعا بالتضمين ، يختار الابيات المناسبة ، فيجعلها ضمن أشعاره ، من ذلك قوله(٣) :

أو قلت بدرا رأيت البدر منتقصا

فقلت : شتان مـا بين اليزيدين

يشير الى العجز في قول الشاعر :

فشتان ما بين اليزيدين في الندى يزيد سليم والاغر ابن حاتم

وما محاولته في بناء ابيات ضروب العروض، عندما كان يختار بيتا معروفا ويجعله اساسا لنظمه الجديد إلا صورة من هذا الولع ، فقد نظم اكثر من ستين مقطوعة بهذه الطريقة ، مضمنا كل مقطوعة بيتا معروفا

---

(١) ٤/٥٠٠

(٢) ن م ٥/٤٣٠

(٣) اليتيمة ٢/٨٠

في ضرب من ضروب العروض ، من ذلك انه أختار بيت طرفة بن العبد :

للفتى عقل يعيش به   حيث تهدي ساقه قدمه

فجعله سادس ابياته مثالاً للمخبون فقال :

من محب شفه سقمه   وتلاشى لحمه ودمه

كاتب حنت صحيفته   وبكى من رحمة قلمه

يرفع الشكوى الى قمر   ينجلي عن وجهه ظلمه

من لقرن الشمس جبهته   وللمع البرق مبتسمه

خل عقلي يا مسفّهه   إن عقلي لست أتهمه(١)

٥ ـ وللشيب والشيخوخة مكان واسع في اشعاره ، اذ كان الشيب يفزعه وينغص عليه حياته ، فنظم كثيرا من المقطعات يبدي فيها تخوفه من ايام الشيخوخة ؛ ومن ابيضاض شعره ، وقد ابدع في تلك الاشعار وجوّد غاية التجويد ، واتى بصور رائعة ،من ذلك قوله(٢) :

---

(١) العقد ٤٤٦/٥ وانظر النماذج الاخرى ٤٤٢/٥ ـ ٤٧٧ .

(٢) العقد ٤٧/٣ــ٤٩ وانظر اليتيمة ٧٩/٢ و ٨٠ .

شبابي كيف صرت الى نفاد　　وبدّلت البياض من السواد
وما أبقى الحوادث منك إلا　　كما أبقت من القمر الدآدي(١)

٦ ـ وكان مولعاً بالتشبيه الى درجة كبيرة ، وهو في تشبيهاته يجنح الى تشبيه صورة كاملة باخرى كاملة ، ويؤثر في ذلك صور الطبيعة التي أحبها وهام بها كأكثر شعراء الاندلس ، ويكفي للتدليل على كلفه بالتشبيه ان صاحب (التشبيهات) أورد له أربعين قطعة في التشبيه ، كما سبق ان قلنا ، وطبيعي أن لا يشمل ذلك كل تشبيهاته .

نـــثره :

وان كنا لم نطلع على نثر له غير ما تفرق في كتابه (العقد الفريد) الذي لم يكن من إنشائه في غالبية أقسامه وفصوله ، إلا انه قد أنشأ مقدمته ، وأخباره عن امراء الاندلس ، ومقدمات أقسامه التي سماها كتبا ، وبعض العبارات المتناثرة في ثنايا الكتاب .

ومن يدقق النظر في عبارات هذا النثر يجدها متميزة بالوضوح والرقة والتوازن والايجاز والترتيب ، وفي هذا النص القصير الذي قدم به كتاب (الجمانة في الوفود) ما يؤكد هذه الخصائص ، قال (٢) :

(١) الدآدي: ثلاث ليال من آخر الشهر قبل ليالي المحاق وقيل: هي ليالي المحاق
(٢) العقد ٢/٣

ونحن قائلون ـ بعون الله وتوفيقه ـ في الوفود الذين وفدوا على النبي ﷺ وعلى الخلفاء والملوك . فانها مقامات فضل ، ومشاهد حفل يتخير لها الكلام ، وتستهذب الالفاظ ، وتستجزل المعاني . ولابد للوافد عن قومه ان يكون عميدهم وزعيمهم الذي عن قوّته ينزعون وعن رأيه يصدرون ، فهو واحد يعدل قبيلة ، ولسان يعرب عن ألسنة ، وما ظنك بوافد قوم يتكلم بين يدي النبي ﷺ أو خليفته ، او بين يدي ملك جبار في رغبة أو رهبة ، فهو يوطد لقومه مرة ، ويتحفظ ممن امامه أخرى ، أتراه مدخراً نتيجة من نتائج الحكمة ، او مستبقياً غريبة من غرائب الفطنة ، ام تظن القوم قدموه لفضل هذه الخطة الا وهو عندهم في غاية الحذلقة واللسن ، ومجمع الشعر والخطابة ، الا ترى ان قيس بن عاصم المنقري لما وفد على النبي ﷺ بسط له رداءه ، وقال :هذا سيد الوبر .

ولابن عبد ربه كتاب آخر غير العقد الذي سنفصل القول فيه ، هو « اللباب في معرفة العلم والآداب » لم يصل الينا ، ذكره حاجي خليفة (١) .

---

(١) كشف الظنون ٣٠٢/٥

العقد الفريد :

هو الكتاب الذي عرف به ابن عبد ربه ، ولازم اسمه في اكثر المصادر التى ترجمت له (١) .

تسميته :

ذكر مؤلفه سبب تسميته بالعقد الفريد فقال : وسميته (العقد الفريد) لما فيه من مختلف جواهر الكلام ، مع دقة المسلك وحسن النظام .

منهج تأليفه :

الكتاب مقسم الى خمسة وعشرين قسما ، كل قسم يعالج فنا قائما بذاته ، انفرد باسم جوهرة من جواهر العقد .
وقد جعل مؤلفه هذه الجواهر على جانبي واسطة العقد ، فتكرر اسم كل جوهرة فوق الواسطة مرتين ، كل مرة في جانب وبما يقابله في الجانب الآخر ، ففيه لؤلؤتان وفريدتان وزبرجدتان وهكذا ، فجاء

---

(١) انظر مثلا جذوة المقتبس ٩٤ وبغية الملتمس رقم ٢٢٧ ومطمح الانفس ٥٨ ومعجم الادباء ٦٧/٢

تنظيم العقد كالآتي :

١ ـ اللؤلؤة في السلطان ، وتقابلها اللؤلؤة الثانية في الفكاهات والملح .

٢ ـ الفريدة في الحروب ومدار امرهــا ، والثانية في الطعام والشراب .

٣ ـ الزبرجدة في الاجواد والاصفاد ، والثانية في طبائع الانسان وسائر الحيوان .

٤ ـ الجمانة في الوفود ، والثانية في المتنبئين والممرورين والبخلاء والطفيليين .

٥ ـ المرجانة في مخاطبة الملوك ، والثانية في النساء وصفاتهن .

٦ ـ الياقوتة في العلم والادب ،والثانية في علم الالحان واختلاف الناس فيه .

٧ ـ الجوهرة في الامثال ، والثانية في أعاريض الشعر وعلل القوافي .

٨ ـ الزمردة في المواعظ والزهد ، والثانية في فضائل الشعر ومقاطعه ومخارجه .

٩ ـ الدرة في التعازي والمراثي ، والثانيــة في أيام العرب ووقائعهم .

١٠ - اليتيمة في النسب وفضائل العرب ، والثانية في اخبار زيـاد والحجاج والطالبيين والبرامكة .

١١ - العسجدة في كلام الاعراب ، والثانية في الخلفاء وتواريخهم وأيامهم

١٢ - المجنبة في الاجوبة ، والثانية في التوقيعات والفصول والصدور واخبار الكتبة .

١٣ - الواسطة في الخطب .

وهكذا انهى عقده بحبة لؤلؤة كما بدأه بحبة لؤلؤة ايضا . وتلا الواسطة بمجنبة من جهتيها . وجميع هذه الجواهر (الفنون)تحتجن اخبارا وقصصا ومنتخبات قيمة من الخطب والرسائل والامثال ، ونصوصا شعرية كثيرة، قد لا نجد كثيرا منها في مصادر اخرى ؛ إلا ان الذي يضعف هذه الاخبار والنصوص افتقارها الى الاسانيد التي خلا منها معظم كتابه ، واعتذر هو عن هذا النقص في مقدمته فقال : وحذفت الاسانيد من اكثر الاخبار طلبا للاستخفاف والايجاز ، وهربا من التثقيل والتطويل .

الغرض من تأليف الكتاب :

لقد اغنانا ابن عبد ربه عن بذل أي جهد للوصول الى غرضه

من تأليف عقده إذ بسط في مقدمة كتابه تلك الغاية فقال : وبعد:
فان اهل كل طبقة، وجهابذة كل أمة ،قد تكلموا في الادب وتفلسفوا في
العلوم على كل لسان ، ومع كل زمان ، وان كل متكلم منهم
قد استفرغ غايته ، وبذل مجهوده في اختصار بديع معاني المتقدمين
واختيار جواهر ألفاظ السالفين ؛ وأكثروا في ذلك حتى احتـــاج
المختصر منها الى اختصار ؛ والمتخير الى اختيار ، ثم إني رأيت آخر
كل طبقة ،وواضعي كل حكمة ، ومؤلفي كل أدب أعـــذب ألفاظا
وأسهل بنية ، وأحكم مذهبا ، وأوضح طريقة من الاول ،لأنه ناقض
متعقب ، والاول بادىء متقدم ، فلينظر الناظر الى الاوضاع المحكمة
والكتب المترجمة بعين إنصاف ، ثم يجعل عقله حكما عادلاً قاطعا ،
فعند ذلك يعلم انها شجرة باسقة الفرع طيبة المنبت زكية التربة
يانعة الثمرة، فمن اخذ بنصيبه منها كان على إرث من النبوة ، ومنهاج
من الحكمة لا يستوحش صاحبه ، ولا يضل من تمسك به . وقد
ألفت هذا الكتاب ، وتخيرت جواهره من متخير جواهر الآداب ،
ومحصول جوامع البيان ، فكان جوهر الجوهر ، ولباب اللباب ، وإنما
لي منه تأليف الاختيار وحسن الاختصار ، وفرش في صدر كل كتاب
وما سواه فماخوذ من افواه العلماء وماثور عن الحكماء والادباء ،
واختيار الكلام أصعب من تاليفه ، وقد قالوا : اختيار الرجل وافد

عقله ... فجعلت هذا الكتاب كافيا جامعا لاكثر المعاني التي تجري على على أفواه العامة والخاصة ، وتدور على ألسنة الملوك والسوقة . وحليت كل كتاب منها بشواهد من الشعر تجانس الاخبار في معانيها وتوافقه في مذاهبها ، وقرنت بها غرائب من شعري ، ليعلم الناظر في كتابنا هذا ان لمغربنا على قاصيته ، وبلدنا على انقطاعه حظاً من المنظوم والمنثور .

قيمة الكتاب :

ان القيمة الفعلية للعقد تكمن في الجانبين التأريخي والادبي ، فمن الناحية التاريخية نجده قد ضم أخبارا سياسية واجتماعية وثقافية واقتصادية ، روى معظمها عن أوثق الرواة القدامى ، وقد لا نجد أكثر هذه الاخبار في كتاب آخر ، وان وجد فلا يوجد كاملا كالذي نجده في العقد ، فهو اما مبتور او مختصر او غير مبوب . ولولا حذف أسانيد اخباره لعدّ من اكبر مصادر الحياة العربية في القرون الاولى .

اما القيمة الادبية له فهي اكبر من قيمته التاريخية ، ولعلها ادخلت الجور على قيمته التاريخية، فلولاها لما عمد الى حذف الاسناد ولأورد اخباراً تاريخية اخرى تركها حين لم تتوفر فيها شروطه الادبية التي

قال عنها : وقصدت من جملة الأخبار وفنون الاثار الى أشرفها جوهرا واظهرها رونقا وألطفها معنى واجزلها لفظا واحسنها ديباجة واكثرها طلاوة وحلاوة.آخذاً بقول الله تبارك وتعالى : الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه .

واحتجن الكتاب ما لا يقل عن عشرة الاف بيت من الشعر لاكثر من مائتي شاعر(١)، والكتاب زاخر بالمجالس والاخبار الادبية والنصوص النثرية التي جعل لها جواهر خاصة كالامثلة والخطب ، والتوقيعات والرسائل ، اما النقد الادبي فله فصول كاملة ايضا .

ومن ابرز ما يميز اخباره الادبية الشعرية والنثرية نزعته الاندلسية متمثلة بذاته ، وقد بسط هذه النزعة في مقدمته فقال : وحليت كل كتاب منها بشواهد من الشعر، تجانس الاخبار بمعانيها، وتوافقه في مذاهبها ، وقرنت بها غرائب من شعري ليعلم الناظر في كتابنا هذا ان لمغربنا على قاصيته ، وبلدنا على انقطاعه حظاً من المنظوم والمنثور. وهو لا يكاد يذكر شعر مشرقي حتى يتبعه بشعر له . وقد يفضل شعره على ما أورد للمشرقي . ومع ذلك فلولا اشعاره وارجوزته التاريخية لما كان للاندلس في هذا الكتاب اي نصيب . وهذا ما حدا بالصاحب بن عباد بعد ان تأمله الى ان يقول : هذه بضاعتنا ُردت

---

(١) انظر ابن عبد ربه وعقده ص ٩٠

الينا ، ظننت ان هذا الكتاب يشتمل على شيء من اخبار بلادهم وانما هو مشتمل على اخبار بلادنا ، لا حاجة لنـــا فيه . فردّه(١) .

وقد نال هذا الكتاب اعجاب الاقدمين فأثنوا عليه ، وأفاضوا في الحديث عن مزاياه، من ذلك قول الفتح بن خاقان : وله التأليف المشهور الذي سماه بالعقد ، وحماه من عثرات النقد ، لانه أبرزه مثقف القناه ؛ مرهف الشباه ، تقصر عنه ثواقب الالباب ، وتبصر السحر منه في كل باب (٢) .

مصادر الكتاب :

ذكر ابن عبد ربه في مقدمة العقد أصناف تلك المصادر ، وان لم يسمها بأسمائها فقال كما سبق ان اثبتنا : وقد ألفت هذا الكتاب ، وتخيرت جواهره . . . الخ، وجعل مصادره ثلاثة أصناف هي :

١ ـ الكتب.

---

(١) معجم الادباء ٢/٦٧

(٢) مطمح الانفس ٥٨

٢ ـ أفواه الرجال.

٣ ـ ما أثر عن الحكماء والادباء .

وهو حين حصر مصادره لم يذكرها بالتفصيل ، فلم يسم كل الكتب التي أخذ عنها ، ولا جميع العلماء الذين شافههم ، ولا الاسانيد التي أوصلته الى اولئك الحكماء والادباء فيما نقل عنهم من الاخبار. ومع ذلك فهو قد ذكر بعضا من الكتب التي رجع اليها ،وبعض العلماء الذين أخذ عنهم . وأبرز تلك الكتب :

١ ـ كتب الجاحظ : نقل عنها في كثير من مواضع كتابه،إلا انه لم يصرح بجميع اسمائها، واكتفى بذكر (كتاب الادب) (١) و (الموالي والعرب) (٢) و (فخر قحطان على عدنان) (٣) .

٢ ـ كتب المبرد . نقل عنها في مواضع عديدة ايضا،الا انه صرح باسم كتابين فقط، هما (الكامل) (٤) و (الروضة) (٥) .

---

(١) العقد الفريد ٣/٢٨

(٢) المصدر السابق ٣/٤١٦ و٦/٧٧

(٣) المصدر السابق ٥/٣٩١

(٤) المصدر السابق ٢/٢٣٥

(٥) المصدرالسابق ٥/٣٩١ و ٦/٧٧

٣ ــ كتب ابن قتيبة :ربما تعد كتب ابن قتيبة أهم مصادر ابن عبد ربه ، إلا انه لم يصرح الا باسم كتابين هما (الاشربة)(١) و (تفضيل العرب) (٢) .

ولكنه صرح باسمه في مواضع كثيرة جدا . ولابن قتيبة الفضل الاكبر في منهج العقد ، فمعظم الابواب التى ذكرها ابن قتيبة في (عيون الاخبار) نجد ابن عبد ربه قد تناولها في كتابه ايضا ، وبمقارنة بسيطه بينهما من حيث التبويب والاخبار تتضح هذه الحقيقة ، اذ سلخ معظم محتوياته، ولكنه يشر اليه ولو مرة واحدة فقط . وان كان قد ذكر اسم ابن قتيبة كثيرا كما قلنا(٣) .

٤ ــ كتب ابن المقفع : نقل كثيرا عن كتابه (كليلة ودمنة) ويسميه (كتاب الهند) (٤) كما نقل عن الادب الكبير،إلا انه

---

(١) العقد ٦/٣٥٣ و ٣٦٢

(٢) العقد ٣/٤٠٨ و ٤١١ وهو المسمى (فضل العرب على العجم)

(٣) انظر المقارنة التى عقدها مؤلف كتاب (ابن عبد ربه وعقده) في ص ٣٨ بين العقد وعيون الاخبار .

(٤) العقد ١/١٠و٢١٤

لم يسمه ، ويمكن معرفة ذلك بالمقارنة بينهما .

٥ ـ كتب ابي عبيدة : نقل عن كتابه (التاج)(١)، ولعله اطلع على كتابه (الايام) فقد روى معظم اخبار أيام العرب عن ابي عبيدة مؤلف كتاب الايام .

٦ ـ كتب ابن هشام : نقل عن كتابه (السيرة النبوية) (٢) المهذبة عن سيرة ابن اسحق .

اما دواوين الشعراء فيزخر كتابه باشعار اكثر من مائتي شاعر،كما ذكرنا،الا انه لم يصرح باسم اي ديوان من دواوين اولئك الشعراء، ولا نشك في انه إستعان بدواوين اكثر الشعراء الذين ذكر اشعارهم، وبخاصة الشعراء المشهورين .

اما العلماء الذين شافههم وروى عنهم،فيذكر في طليعتهم أساتذته الثلاثة المعروفين (محمد بن عبد السلام الخشني) (٣) و بقي بن مخلد

---

(١) العقد ٦٦/١

(٢) العقد ٣٦٥/٣

(٣) العقد ٢٧٩/١ و ١١٢/٦

القرطبي) (١) و (محمد بن وضاح القرطبي) (٢) الذين ذكر ابن الفرضي ان ابن عبد ربه درس عليهم الفقه (٣)

---

(١) العقد ٤/٤٩٤

(٢) العقد ٣/٤٧٨ و ٦/٣٥٣

(٣) تاريخ علماء الاندلس ١/٢٧

إبن شهيد الاندلسى

اسمه ومولده

نشأته

صفاته وأخلاقه

مرضه ووفاته

شعره

فنون شعره

خصائص شعره الفنية

نثره

رسالة التوابع والزوابع



ابن شهيد الاندلسي(١)

اسمه ومولده :

هو ابو عامر احمد بن عبد الملك بن احمد بن عبد الملك بن عمر ابن محمد بن عيسى بن شهيد ، أشجعي النسب ، من مضر ، من ولد الوضاح بن رزاح الذي كان مع الضحاك يوم مرج راهط (٢) : فأسرته شامية ، لجأت ايام الداخل حين وصل شهيد هارباً من بطش العباسيين .

كانت ولادته سنة اثنتين وثمانين وثلاث مائة ، في خلافة هشام بن الحكم بن عبد الناصر بقرطبة .

---

(١) ترجمته في : يتيمة الدهر ٢/ ٣٥ ـ ٥٠ وجذوة المقتبس ١٢٤ — ١٢٨ ومطمح الانفس ١٩ — ٢٥ والذخيرة ١/١/١٦١ — ٢٨٩ ومعجم الادباء ١/٢١٨ وديوان ابن شهيد ٥ ـ ١٤ ومقدمة رسالة التوابع والزوابع .

(٢) جذوة المقتبس ١٣٤

نشأته :

رأى شاعرنا النور في بيت عز ورفاه وترف ، فقد كان والده حاكم الجهة الشرقية من الأندلس (تدمير وبلنسية) للحاجب المنصور تسعة أعـــوام . ولم يصرف عنها حتى سئم العمل والتمس الإقالة ، فأقيل على رضاه ، وتوجه إلى قرطبة ومعه أربعمائة ألف دينار ، ومائة ألف من ذهب آنية ، ووثائق خمس مائة زوج مكتسبة ، ومائتانسمة من الرقيق الصقلبـي منتقاة ، فكتب إلى المنصور يعرض عليه ما جاء به ، ويحكمه فيه ، فأجابه قائلا : لو أردنا أخذ ما أعطيناك ما قدمناك ، ونحن نخاف أن تستصفي نفقتك ما أستقته ، وتأتي على ما اجتلبته ، بارتفاع ثمن الطعام ، وأنك لم ترد منه على ذخيرة ، وقد صككنا لك بألفي مدي بشطرين من قمح وشعير تستظهر بهما على زمانك ، فاقبضها من أهراء فلانة ، لقربها من مكانك ان شاء الله(١)

وقد نال رعاية واهتماماً من لدن الحكام منذ نعومة أظفاره ، عندما كان في الخامسة من عمره (٢) .

---

(١) الذخيرة ١ / ١ / ١٦٧ .

(٢) الذخيرة ١ / ١ / ١٦٤ .

وقد مرض أبوه وهو في حدود العاشرة من عمره ، وعندما أبل الوالد من مرضه عاف ملذات الدنيا ، وآثر طريق النسك والزهد في الحياة ، وأراد أن يتبعه ولده الصغير في ذلك ، فحلق له لمته وخلع عنه ثياب الحرير وألبسه مدارع الكتان ، وحمله على التقشف وشظف العيش ، فضاق الصبي ذرعاً بخطة أبيه ، ووصف ذلك بأنه (أفدح نازلة نزلت بصبوته ، وأقلق حادثة سلبت رونق بهجته) وزارهم ذات يوم الوزير ابن مسلمة يعود أباه ، فسأله عن حاله ، فكان جوابه نشيجاً وعويلا ، فلما رجع أخبر المظفر خبره ، فاستقدمه إليه ، وأمر له فألبس ثياب الحرير ، وضمخ بالطيب ، وحمله على فرس كريم ، وأتبع ذلك ألف دينار في طبق ، وعقد له على الشرطة ، لكي لا يجعل لأبيه سبيلا عليه (١) .

وظل شاعرنا على صلة وثيقة بالمظفر بن منصور الذي انتقل اليه الأمر بعد وفاة المنصور سنة (٣٩٢ هـ) .

واستوزر في الدولة العامرية التي زال ملكها سنة (٣٩٩ هـ) ولكنه لم يبلغ منزلة الكتابة في الديوان ، ولم يلقب بالوزير الكاتب ، وهو ما كان يسعى اليه ويتمناه .

ولعل عدم وصوله الى ذلك المنصب ثقل سمعه ، وهو يشير لهذا كما يشير

---

(١) انظر الذخيرة ١ / ١ / ١٦٤ .

إلى أن الجاحظ قعد به عن الكتابة للحاكم افراط جحوظ عينيه ، وقعد بالافليلي عنها ورم أنفه ، يقول : إذ لا بد للملك من كاتب مقبول الصورة تقع عليها عينه ، واذن ذكية تسمع منه حسه ، وأنف نقي لا تذم أنفاسه عند مقاربته له (١) .

ويظهر أنه لم يكن له دور في أثناء سني الفتنة بقرطبة ، ولكنه ظل على مقربة من أحداثها إذ لم يبرح قرطبة على الرغم مما عصف بها من أحداث واكتنفها من أهوال .

إن نشأته المترفة في ظلال النعيم ، وبحبوحة الترف لم تؤهله للكفاح أو المغامرة ، ولم تمكنه من اتخـــاذ موقف محـــدد قد يجر عليه الحساب أو العقاب فآثر السلامة ، واكتفى بالمراقبة ، مع أنه كان في ريعان شبابه ، وأوج فتوته ، فهو لم يتجاوز العشرين الا قليلا .

ولكن هذه الفتنة العمياء لم تمر عليه دون أن تترك أثراً ، فقد حركت كوامن نفسه ، وذكرته قرطبة أيام كانت زاهية بقصورها ، هانئة بسلامها وخيراتها ، فعادت عجوزاً شمطاء ساقطة الأسنان ، قال : (٢)

عجوز لعمر الصبا فانيه   لها في الحشا صورة الغانيه

---

(١) الذخيرة ١ / ١ / ٢٠٨ .

(٢) الذخيرة ١ / ١ / ١٧٥ .

ذُنث بالرجال على سنّها فيا حبّذا هي من زانيه

تريك العقول على ضعفها تدار كما دارت السانيه

فقد عنيت بهواها الحلو م فهي براحتها عانيه

ترديت من حزن عيشي بها غراماً فيا طول أحزانيه

وعندما طلب إليه المؤتمن أن يلحق به إلى الجهة الشرقية من بلنسية وتدمير ، أجابه معتذراً بأنه لا يستطيع هجر قرطبة التي تعلق قلبه بها (١) .

وفي عهد خلافة الحموديين أفضت به وشايات خصومه إلى السجن ، قال الفتح بن خاقان : ودبت إليه أيام العلويين عقارب ، برئت بها منه أباعد وأقارب ، واجهه بها صرف قطوب ، وانبرت إليه منه خطوب ، نبا لها جنبه عن المضجع ، وبقي بها ليالي يأرق ولا يهجع ، الى أن علقته من الاعتقال حاله ، وعقلته في عقال أذهب ما له ، وأقام مرتهناً ، ولقي وهنا ، وقال هذه الجحدرية من السجن :

قريب بمحتل الهوان مجيد يجود ويشكو حزنه فيجيد

وهي قصيدة طويلة أودعها آلامه وأحزانه ، وهو يرسف في القيود بزنزانة سجنه ، وقد ختمها بقوله :

---

(١) انظر التوابع والزوابع ص ١٥ .

ثقول التي في بيتها كف مركبي أقر بك دان أم نواك بعيد ؟

فقلتلها : أمري إلى من سمت به الى المجد آباء له وجدود (١)

صفاته واخلاقه :

وصفه مؤرخ الاندلس ابن حيان فقال (٢) : رجل غلبت عليه البطالة فلم يحفل في آثارها بضياع دين ولا مروءة ، فحط في هواه شديداً حتى أسقط شرفه ، ووهّم نفسه راضياً في ذلك بما يلذه ، فلم يقصّر عن مصيبة ، ولا ارتكاب قبيحة . وكان مع ذلك من أصح الناس رأيا لمن استشاره ، وأضلهم عنه في ذاته ، وأشدهم جناية على حاله ونصابه ، وكان له في الكرم والجود انهماك ، مع شرف وبطالة ، حتى شارف الاملاق ، فمضى على هذه السبيل .

وكان جواداً لا يليق شيئاً ، ولا يأسى على فائت ، عزيز النفس ، مائلا الى الهزل (٣) .

ووصف قدراته الثقافية ، فقال : وإذا تأملته ولسنه ، وكيف

---

(١) انظر الذخيرة ١ / ١ / ٢٢٥ ومطمح الانفس ٢٠ .

(٢) الذخيرة ١ / ١ / ١٦٢ .

(٣) جذوة المقتبس ١٢٧ .

يجر في البلاغة لسنه ، قلت : عبد الحميد في أوانه ، والجاحظ في زمانه ، والعجب منه أنه كان يدعو قريحته الى ما شاء من نثره ونظمه في بديهته ورويته ، فيقود الكلام كما يريد ، من غير اقتناء للكتب ، ولا اعتناء بالطلب ، ولا رسوخ في الادب ، فانه لم يوجد له - رحمه الله - فيما بلغني بعد موته كتاب يستعين به على صناعته ويشحذ من طبعه الا مالا قدر له ، فزاد ذلك في عجائبه ، واعجاز بدائعه (١) . وأضاف صاحب الجذوة إلى ذلك انه كان له من علم الطب نصيب وافر (٢) .

مرضه ووفاته :

اصيب في اواخر ايامه بمرض الفالج ، حيث عرض له في مستهل ذي القعدة من سنة خمس وعشرين واربعمائة ، وتزايد عليه هـذا السقم مع ما به من ضيق النفس ، ولكن ذلك كله لم يقعده او يفقده الحركة ، وظل يمشي الى حاجته على عصا مرة ، واعتماداً على إنسان مرة ، الى ما قبل وفاته بعشرين يوماً ، وبعدها صار حجراً لا يبرح ولا يتقلب ، ولا يحتمل ان يحرك لعظيم الاوجاع ، مع شدة ضغط الانفاس ، وعدم الصبر ، حتى هم بقتل نفسه ، وفي ذلك يقول :

---

(١) الذخيرة ١ / ١ / ١٦٢ .

(٢) جذوة المقتبس ١٢٧ .

أنوح على نفسي وأندب نبلها إذا أنا في الضرّاء أزمعت قتلها

رضيت قضاء الله في كل حالة عليّ وأحكاماً تيقنت عدلها

أظل قعيد الدار تجنبني العصا على ضعف ساق أوهن السقم رجلها

ومع هذه الحالة البائسة ، ظل متفتح الذهن ، متوقد القريحة ، ينظم الشعر ، ويتابع الصلة باخوانه وخلانه ، يكتب إليهم ، ويقرأ رسائلهم ، وقد حفظت الذخيرة مجموعة طيبة من تلك الأشعار والمراسلات . من ذلك قصيدة كتبها الى صديقه الفقيه ابن حزم ، صدرها بقوله :

ولما رأيت العيش ولى برأسه وأيقنت أن الموت لاشك لاحقي

تمنيت أني ساكن في غيابة بأعلى مهب الريح في رأس شاهق

فأجابه صديقه ابن حزم بقصيدة مطلعها :

أبا عامر ناديت خلا مصافياً يفديك من دهم الخطوب الطوارق

ويسمع وهو على تلك الحال نعي الوزير الكاتب اللمائي ، فلا تمنعه علته من المساهمة في رثائه ، فينظم فيه قصيدة رائعة .

ولا تنسيه مأساته أصحابه ، فيكتب اليهم أشعاراً يتفقد أحوالهم ، ويتذكر أيام ودادهم .

ويعود الى حالته ، فتلهمه علته أشعارا في التوبة والندم ، وأخرى

تصور أصحابه وهم يوارونه التراب . ويودعون خلهم الوفي ، فيلتفت إلى نفسه يبكيها ، ويرثي حاله ومآله .

وقبل مفارقته الحياة أوصى أن يدفن بجنب صديقه أبي الوليد الزجالي ، وأن يكتب على قبره في لوح رخام هذا النثر والنظم :

بسم الله الرحمن الرحيم « قل هو نبأ عظيم أنتم عنه معرضون » هذا قبر أحمد بن عبد الملك بن شهيد المذنب ، مات وهو يشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن الجنة حق ، وأن النار حق ، وأن البعث حق ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من في القبور . مات في شهر كذا من عام كذا . ويكتب تحت هذا النثر هذ النظم :

يا صاحبي قم فقد أطلنا	أنحن طول المدى هجود ؟
فقال لي : لن تقوم منها	ما دام من فوقنا الصعيد
تذكــر كم ليــلة لهونا	في ظلها والزمان عيد ؟
وكم سرور همى علينا	سحابة ثرة تجود ؟
كل كأن لم يكن تقضّى	وشؤمه حاضر عتيد
حصّله كاتب حفيظ	وضمه صادق شهيد
يا ويلنا إن تنكبتنا	رحمة من بطشه شديد

يا رب عفواً فأنت مولى   قصّر في أمرك العبيد (١)

وكان كثيراً ما يخشى صعوبة الموت ، وشدة السوق ، فيسر الله عليه ، وفارق الحياة ضحى يوم الجمعة آخر يوم من جمادى الأولى سنة ست وعشرين وأربعمائة ، ودفن يوم السبت ثاني يوم وفاته في مقبره (أم سلمة) وصلى عليه أبو الحزم جهور بن محمد ، ولم يعقب .

وكان يوم وفاته يوماً مشهوداً ، فقد علا البكاء والنشيج على قبره ، وأنشد من المراثي جملة موفورة لطوائف كثيرة من الشعراء مثل قصيدة أبي الأصبغ القرشي ، وقصيدة أبي حفص ابن برد الأصغر (٢) .

شعره :

لم يجمع شعره في حياته ، ولم يذكر أحد من مترجميه ديوانه ، فبقيت أشعاره مبثوثة في ثنايا كتب الأدب والتاريخ ، وهي كثيرة إذا جمعت من هذه المصادر ، ولعل أوسع المصادر التي احتجنت تلك

---

(١) الذخيرة ١ / ١ / ٢٨٧ .

(٢) انظر الذخيرة ١ / ١ / ٢٨٨ و ٢٨٩ .

الاشعار (يتيمة الدهر) و (الذخيرة) و (مطمح الانفس) .

وقد تصدى المستشرق الفرنسي (شارل بلا) لجمع شعره ، وقدمه في ديوان مرتب على حسب القوافي ، ضم (٨٤٣) بيتاً . وقدم له بدراسة نفيسة .

منزلته الشعرية :

تبوأ شاعرنا منزلة سامية بين شعراء عصره . قال ابن حيان : وشعره حسن عند أهل النقد ، تصرف فيه تصرف المطبوعين ، فلم يقصر عن غايتهم (١) .

وقال الحميدي : وشعره كثير مشهور ، وكان حامل لواء الشعر والبلاغة (٢) .

أما ابن بسام فقال : وقد أخرجت من أشعاره الشاردة ، ورسائله الباقية الخالدة ، ونوادره القصار والطوال ، وتعريضاته السائرة سير الامثال ، ما يحل له الوقور حباه ، ويحن معه الكبير الى صباه ... وقد ضارع ابو عامر هذا محاسن الطبقة العالية البغدادية، المضارعة التي

---

(١) الذخيرة ١ / ١ .

(٢) جذوة المقتبس ١٢٤ .

بانت فيها قوته ، ولدنت اختراعاته ومقدرته (١) .

فنون شعره :

اما اغراضه فتدور حول الموضوعات العامة الشائعة في زمانه مثل الوصف :

وهو في ذلك يشبه شعراء الاندلس الآخرين الذين برعوا في هذا الفن ، ولكنه كان مولعاً بوصف الحيوان ، اكثر من موضوعات الوصف الاخرى ، فوصف البرغوث ، والذئب ، وسباع الطير ، والنحلة (٢) .

والغزل :

وغزله صادق العاطفة ، شديد الموجدة ، إذ تلبّسه الحب ، وخالط نفسه الهوى ، مع ميل إلى المجون ، فقد روى انه كان يترصد أحياناً الفتيات فيتجنبن لقاءه خشية فضيحة اشعاره ، اذ كان له بباب الصومعة من الجامع موضع لا يفارقه اكثر نهاره ، ولا يخليه من نثر درره وازهاره ، فقعد فيه ليلة سبع وعشرين من رمضان مع لمة من إخوانه وأئمة سلوانه ، وقد حفوا به ليقتطفوا نخب أدبه ، وهو

---

(١) الذخيرة ١ / ١ / ١٦٣ و ١٨٥ .

(٢) الديوان ٣٨ و ٨٣ و ٩٠ و ١٤١ .

يخلط لهم الجد بهزل ، ولا يفرط في انبساط مشتهر ولا انقباض جزل : اذا بجارية من أعيان أهل قرطبة معها جواريها ، من يسترها ويواريها ، وهي ترتاد موضعاً لمناجاة ربها ، وتبتغي منزلا لاستغفار ذنبها ... فلما وقعت عينها على أبي عامر ولت سريعة ، وتولت مروعة ، خيفة أن يشبب بها ، أو يشهرها باسمها ، فلما نظرها قال قولا فضحها به وشهرها :

وناظرة تحت طي القناع	دعاها الى الله للخير داع
سعت خيفة تبتغي منزلا	لوصل التبتل والانقطاع
وجالت بموضعنا جولة	فحل الربيع بتلك البقاع
أتتنا تبختر في مشيها	فحلت بواد كثير السباع
وريعت حذاراً على طفلها	فناديت يا هذه لا تراعي
غزالك تفرق منه الليوث	وتنصاع منه كماة المصاع
فولت وللمسك من ذيلها	على الارض خط كظهر الشجاع(١)

والهجاء :

وهجاؤه قاس ، يرسم لمن يهجوه صورة مقززة ومنفرة ، فعندما هجا كاتباً لم يجرده من موهبة الكتابة فحسب ، بل صوره بصورة تثير

(١) مطمح الانفس ١٩ . والشجاع : الحية .

السخرية والاشمئزاز قال : (١)

ويـح الكتابة من شيخ هبنقة يلقى العيون برأس مخه رار

ومنتن الريح إن ناجيته أبداً كأنما مات في خيشومهفار (٢)

والرثاء :

ومع قلة رثائه ، فهو كان يسلك فيه سبيل العزاء ، ويضرب الأمثال بمن اخترمته المنية من الأفراد والجماعات (٣) .

وله خمريات رقيقة ، وشكوى عميقة ، واخوانيات صادقة، ولم يقصر في الأغراض الأخرى .

خصائص شعره الفنية :

ان ما وصل الينا من شعر ابن شهيد يمكن ان يرسم لنا صورة واضحة لصفات شعره العامة وخصائصه الفنية ، وإذا تتبعنا أقواله في رسائله نجدها تنم عن قدرة على النقد ، وبصر بالشعر ومذاهبه .

---

(١) الديوان ٦١ .

(٢) الهبنقه : يضرب به المثل في الحمق ، الرار : الذائب .

(٣) الديوان ٥٤ .

ولكن هذه الاقوال والآراء قد لا نجدها مطبقة في شعره. من ذلك أنه نعى على الشعراء الذي عاصروه استهلالهم قصائدهم بالوقوف على الاطلال واتباع عادة القدماء في ذلك. ولكنه يبيح لنفسه هذه العادة ويستهل أكثر من قصيدة بالوقوف على الاطلال وذكر الديار وما يشبه ذلك. من ذلك استهلاله مدح المؤتمن بقوله : (١)

هاتيك دارهم ، فقف بمعانها تجد الدموع تجد في هملانها

عجنا الركاب بها ، فهيج وجدنا دمن ذعرنا السرب في أدمانها

ويمكن تلخيص خصائص شعره الفنية العامة بالآتي :

١ ـ محاولة تقليد القدماء في قوالبهم الشعرية ، ومقدماتهم الطللية والغزلية . (٤)

٢ ـ شيوع اسلوب الحوار في شعره ، مع ميل الى ضرب من السرد القصصي : (٥)

---

(١) الديوان ١٦٩ .

(٢) المعان : المنزل .

(٣) الادمان : الرماد .

(٤) انظر ديوانه ٥٦ و ٦٤ و ١٠٦ و ١٣٣ .

(٥) انظر ديوانه ٢٨ و ٣٩ و ٤٩ و ١٦٧ .

٣ ـ أجرى كثيراً من شعره على ألسنة الحيوانات . (١)

٤ ـ القدرة الفائقة على فن التصوير ، وربط الطبيعة بالنفس البشرية (٢) .

٥ ـ الميل نحو المعارضات الشعرية , مع استباحته لكثير من معاني وألفاظ غيره من الشعراء ، وإغارته على كثير من أشعار القدامى ، وأحياناً معاصريه . فكان يختار فحول الشعراء ، ويعارض غرر ما في أشعارهم . فقد عارض امرأ القيس (٣) ، وطرفة (٤) ، وقيس بن الخطيم (٥) ، والبحتري (٦) ، وغيرهم .

وكان يتعمد استعمال الغريب ، والاكثار من وحشي الكلام ، اظهاراً لقدرته وبراعته اللغوية . ويتجلى ذلك على الاكثر في معارضاته للأشعار الجاهلية (٧) .

---

(١) انظر الذخيرة ١ / ١ / ٢٠٣ .

(٢) الديوان ١٢٩ و ١٥٠ وانظر هيكل ٣٩٨ .

(٣) اليتيمة ٢ / ٣٥ .

(٤) الديوان ١٣٣ .

(٥) الديوان ١٨

(٦) الديوان ٣٤ .

(٧) انظر ديوانه ٥٦ و ١٣٣ .

٧ ـ سرعة بديهته ، وقدرته على الارتجال (١) .

نـــثره

لم تقتصر براعة وقدرة ابن شهيد على الشعر بل تعدت ذلك الى النثر أيضاً ، وذكر مترجموه أكثر من أثر نثري له ، فتحدثوا عن كتاب عنوانه (كشف الدك وآثار الشك) وآخر بعنوان (حانوت عطار) وهما مفقودان ، ورسالة (التوابع والزوابع) التي حفظ ابن بسام أكثر فصولها ، ورسائل أخرى (٢) .

وصف الحميدي هذه الآثار بقوله : وسائر رسائله وكتبه نافعة الجد ، كثير الهزل .

وهذا النثر مع إلقائه الضوء على أسلوبه الرائع الرصين ، يطلعنا على كثير من جوانب حياته ، وصلاته الخاصة . وقد وصف ابن بسام نثره فقال : (٤) إن هزل فسجع الحمام ، أو جد فزئير الاسد الضرغام ... وله رسائل كثيرة في فنون الفكاهة وأنواع التعرض والاهزال ،

---

(١) انظر ديوانه ١١٧ و ١٢٣ و ١٣٦ و ١٦٠ .

(٢) وفيات الاعيان ١ / ٣٧٠ .

(٣) جذوة المقتبس ١٢٤ .

(٤) الذخيرة ١ / ١ / ١٦٢ .

قصار وطوال ، برز فيها شأوه ، وبقاها خالدة بعده .

ويمكن أن نجمل أبرز خصائص نثره بـ :

١ ـ تعدد أغراضه ، واتساع موضوعاته ، فقد كتب في الامور الاجتماعية والسياسية والادبية وفي النقد والتاريخ .

٢ ـ إتسامه بالفكاهة ، وميله إلى الهزل .

٣ ـ سهولة الالفاظ ، ووضوح المعاني .

٤ ـ سرعة البديهة ، وحضور الجواب مع حدته .

٥ ـ البلاغة والفصاحة .

٦ ـ السخرية اللاذعة التي تقربه من الجاحظ .

٧ ـ قصر الفقرات ، مع الحرص على المقابلة .

٨ ـ غلبة الاسلوب القصصي على كثير من رسائله .

٩ ـ إيثاره المجاز على الحقيقة ، فكثرت عنده الاستعارات والكنايات .

١٠ ـ اقتباس النصوص وترصيع انشائه بها كالايات والاحاديث والامثال والاشعار .

وله من رقعة خاطب بها مجاهداً أمير دانية : (١)

---

(١) الذخيرة ١ / ١ / ١٩٢ .

قد يخلف الغمام ، وتغدر اللئام ، وتقطع الأرحام . من عز بزّ ومن ريش طار ، ومن سارت به الايام سار ، وعلى الجد المدار . جد كبا ، وحسام نبا ، وآمال تفرقت أيدي سبأ . كلمات أنثرها عليك وآمال أصرفها اليك .

رسالة التوابع والزوابع :

لم يعثر لحد الآن على نص كامل لهذه الرسالة ، ولكن الفضل الاكبر في حفظ ما تبقى من هذه الرسالة يعود الى ابن بسام الذي حفظ كثيراً من نصوصها في كتابه (الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة) وأعاد نشر تلك النصوص مستقلة ، مستخرجة من الذخيرة بطرس البستاني ، فصححها ، وحقق ما فيها وشرحها ، وبوبها وصدرها بدراسة تاريخية أدبية في بيروت سنة ١٩٦٧ . وقد قسم ما تبقى منها بحسب أغراضها الى مدخل وأربعة فصول ، وجعل عنوان الفصل الاول : توابع الشعراء ، والثاني : توابع الكتاب ، والثالث : نقاد الجن ، والرابع : حيوان الجن .

ولم يشر ابن شهيد الى تأريخ تأليف هذه الرسالة ، إلا أن النصوص التي وردت فيها تؤرخها في حدود سنة ٤١٤ هـ ، فهي قد سبقت رسالة الغفران للمعري التي كتبها في سنة ٤٢٤ هـ (١) .

---

(١) انظر رسالة التوابع والزوابع ٦٧ .

غرض تأليفها :

لم يكن غرض هذه القصة الممتعة اجتماعيا أو سياسياً ، ولم تكن من أجل التسلية والمتعة ، كالذي نراه في معظم القصص التي سبقتها، وانما كانت لغرض شخصي بحت ، فنحن نعرف أن لشاعرنا خصوماً وحساداً كثيرين ، نادملهم بشعره ونثره ، ولكنه ظل يعتقد بأنه لم يتبوأ مكانته التي يستحقها ، ولازمه الشعور بالحيف وبمعاداة وكيد كثير من أدباء عصره وشعرائه ونقاده ، فكتب هذه الرسالة ملتمساً نيل التقدير والتكريم لدى من يعتقد أنهم أكرم منزلة من معاصريه ، وأوفى قدراً من مناوئيه الذي يحيطون به .

فرسم صورة لجني سماه زهيراً رافقه إلى أرض الجن ، حيث يلتقي هناك بتوابع الشعراء والكتاب البارزين ، كما يلتقي بشياطين معاصريه ، ومن الشعراء الكبار الذين التقى بتوابعهم ذوي الاسماء الخيالية امرؤ القيس وطرفة وقيس بن الخطيم ، والبحتري وأبو نواس والمتنبي ، ومن الكتاب الجاحظ وعبد الحميد وبديع الزمان .

وهو في جميع مقابلاته مع هؤلاء يخرج منتصراً ، إما لاستحسانهم واجازتهم لفنه ، أو لتفوقه عليهم في تلك المحادثات والمحاورات .

ومن ألفاظ الاستحسان التي كان يسمعها في ختام تلك المقابلات قول أحدهم : ما أنت الا محسن على اساءة زمانك (١) أو قول المتنبي : إن امتد به طلق العمر فسوف ينفث بدرر (٢) ، ولو تتبعنا هذه المقابلات أو المجالس التي كان يعقدها مع الرؤساء والادباء والشعراء لوجدناه لا يبتغي أكثر من تأكيد ذاته ومباهاته والنيل من خصومه .

ومن أبرز معاصريه الذين حاول أن ينحي عليهم بالازراء والتبكيت أبو القاسم الافليلي ، وأبو بكر بن حزم .

وثمة شبه في كثير من مشاهد هذه القصة بمشاهد رسالة الغفران ، وربما اطلع المعري على رسالة ابن شهيد ، وتأثر بها ونسج على منوالها ، ولا نرى أحسن من ايراد نموذج نقدمه بين يدي القارىء ليطلع على أسلوب كاتب القصة .

قال تحت عنوان (توابع الكتاب)

فقال لي زهير : من تريد بعده ؟ فقلت : مل بي الى الخطباء ، فقد قضيت وطراً من الشعراء . فركضنا حيناطاعنين في مطلع الشمس ، ولقينا فارساً أسرّ الى زهير ، وانجزع عنا ، فقال لي زهير : جمعت

---

(١) التوابع والزوابع ١٠١ .

(٢) ن . م ١١٤ .

لك خطباء الجن بمرج دهمان ، وبيننا فرسخان ، فقد كفيت العناء اليهم على انفرادهم . قلت . لم ذاك ؟ قال : للفرق بين كلامين اختلف فيه فتيان الجن .

وانتهينا الى المرج فاذا بنادٍ عظيم ، قد جمع كل زعيم ، فصاح زهير : السلام على فرسان الكلام ، فردوا وأشاروا بالنزول ، فأخرجوا حتى صرنا في مركز هالة بجلسهم ، والكل منهم ناظر الى شيخ أصلع ، جاحظ العين اليمنى ، على رأسه قلنسوة بيضاء طويلة فقلت سراً لزهير : من ذلك ؟ قال : عتبة بن أرقم صاحب الجاحظ وكنيته أبو عيينة . قلت : بأبي هو ، ليس رغبتي سواه ، وغير صاحب عبد الحميد . فقال لي : انه ذلك الشيخ الذي الى جنبه . وعرّفه صغوي اليه ، وقولي فيه . فاستدناني وأخذ في الكلام معي ، فصمت أهل المجلس . فقال : انك لخطيب ، وحائك للكلام مجيد ، لولا أنك مغرى بالسجع ، فكلامك نظم لا نثر (١) .

---

(١) رسالة التوابع والزوابع ١١٥ .

المصادر والمراجع

(١) الاحاطة في اخبار غرناطة ـ لسان الدين ابن الخطيب . تحقيق محمد عبد الله عنان ط٢ مطبعة الخانجي . القاهرة ١٩٧٣

(٢) أخبار مجموعة ـ مجهول المؤلف . نشر أميلو لافونتي . مدريد ١٩٦٧

(٣) ادباء العرب في الاندلس وعصر الانبعاث ـ بطرس البستاني . دار المكشوف والثقافة . بيروت ١٩٦٨ .

(٤) الادب الاندلسي ـ موضوعاته وفنونه . الدكتور مصطفى الشكعة دار العلم للملايين . بيروت ١٩٧٥ .

(٥) الادب العربي في الاندلس ـ الدكتور عبـد العزيز عتيق . دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت . ١٩٧٥

(٦) الادب الاندلسي من الفتح الى سقوط الخلافة ـ الدكتور احمد هيكل مطبعة المعارف . القاهرة .

(٧) الاسلام في اسبانيا . الدكتور احمد لطفي عبد البديع مطبعة النهضة مصر ١٩٦٩ .

(٨) إعتاب الكتاب ـ ابن الابار ابو عبد الله القضاعي . تحقيق د صالح الاشتر . مطبوعات مجمع اللغه العربية دمشق ١٩٦١ .

(٩) أعلام الكلام - ابن شرف القيرواني . مطبعة الخانجي • مصر •
(١٠) اعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام • لسان الدين ابن الخطيب . تحقيق بروفنسال دار المكشوف بيروت ١٩٥٦
(١١) الامامة والسياسة - ابن قتيبة الدينوري . ١٩٥٧
(١٢) إنباه الرواة على أنباه النحاة - القفطي . تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٩٥٠
(١٣) بغية الملتمس في تاريخ رجال الاندلس - احمد بن يحيى الضبي • طبعة مدريد ١٨٨٥ والقاهرة ١٩٦٧
(١٤) بلوغ الأمل في فن الزجل - ابن حجة الحموي • تحقيق الدكتور رضا محسن القريشي • وزارة الثقافة دمشق ١٩٧٤ •
(١٥) البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب - ابن عذارى المراكشي تحقيق ج س كولان وبروفنسال • دار الثقافة بيروت
(١٦) تاريخ الادب الاندلسي - الدكتور احسان عباس • دار الثقافة بيروت
(١٧) تاريخ الادب العربي في الاندلس . الشيخ ابراهيم ابو الخشب . دار الفكر العربي القاهرة •
(١٨) تاريخ افتتاح الاندلس - ابو بكر محمد بن القوطية تحقيق عبدالله أنيس الطباع بيروت ١٩٥٧
(١٩) التاريخ الاندلسي - د . عبد الرحمن علي الحجي • دار القلم •

بيروت ١٩٧٦

(٢٠) تاريخ التربية الاسلامية - د . احمد شلبي . مكتبة الانجلو القاهرة ط ٢ ١٩٦٠

(٢١) تاريخ عبد الرحمن الناصر . مجهول المؤلف . تحقيق بروفنسال وغرسيه غومس . مدريد ١٩٥٠

(٢٢) تاريخ علماء الاندلس - ابو الوليد عبد الله ابن الفرضي . نشر كوديره مدريد ١٨٩١ والدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦

(٢٣) تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس من الفتح حتى سقوط الخلافه بقرطبة . الدكتور السيد عبد العزيز سالم . دار المعارف . لبنان ١٩٦٢

(٢٤) تاريخ الموسيقى الاندلسية ، د . عبد الرحمن علي الحجي . دار الارشاد بيروت ١٩٦٩

(٢٥) التشبيهات من اشعار اهل الاندلس . الشيخ ابو عبد الله محمد بن الكتاني الطبيب . تحقيق الدكتور احسان عباس . دار الثقافة . بيروت .

(٢٦) التكملة لكتاب الصلة - ابن الابار القضاعي . نشر جنثالث مدريد ١٩١٥

(٢٧) توشيع التوشيح . صلاح الدين الصفدي . تحقيق البير حبيب مطلق دار الثقافة بيروت ١٩٦٦

(٢٨) جذوة المقتبس في ذكر ولاة الاندلس ، وأسماء رواة الحديث ، واهل الفقه والادب وذوي النباهة والشعر - ابو عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله الحميدي . قام بتصحيحه محمد بن تاويت الطنجي مطبعة الخانجي مصر ١٩٥٢
(٢٩) جمهرة أنساب العرب ، علي بن حزم الاندلسي تحقيق بروفنسال دار المعارف بمصر ١٩٤٨ وتحقيق عبد السلام هارون . دار المعارف بمصر ١٩٦٢
(٣٠) جيش التوشيح . لسان الدين ابن الخطيب ، تحقيق هلال ناجي تونس ١٩٦٧
(٣١) الحلة السيراء - ابو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي المعروف بابن الأبار ، تحقيق الدكتور حسين مؤنس . القاهرة ١٩٦٣
(٣٢) الحلل السندسية في الاخبار والآثار الاندلسية . الامير شكيب أرسلان . المطبعة الرحمانية ، القاهرة ط١ ١٩٣٦ ،
(٣٣) دار الطراز في عمل الموشحات ، ابن سناء الملك المصري ، تحقيق الدكتور جودت الركابي ط دمشق ١٩٤٩
(٣٤) دمية القصر وعصرة اهل العصر . ابو الحسن علي بن الحسن الباخرزي . تحقيق الدكتور سامي مكي العاني ، مطبعة المعارف بغداد ١٩٧١ .
(٣٥) ديوان الدوبيت في الشعر العربي . الدكتور كامل مصطفى الشيبي منشورات الجامعة الليبية . دار القلم بيروت ١٩٧٢

(٣٦) ديوان ابن خفاجة • ط صادر بيروت ١٩٦١ .
(٣٧) ديوان ابن دراج القسطلي . تحقيق الدكتور محمود علي مكي • دمشق ١٩٦١
(٣٨) ديوان ابن شهيد الاندلسي • نشر شارل بلا بيروت ١٩٦٣ .
(٣٩) ديوان ابن المعتز • بيروت ١٩٣١ •
(٤٠) ديوان ابن هاني الاندلسي تحقيق وشرح كرم البستاني دار صادر بيروت ١٩٥٢ .
(٤١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ابو الحسن علي بن بسام الشنتريني مطبعة لجنة التأليف والنشر . القاهرة ١٩٣٩ •
(٤٢) رسالة التوابع والزوابع . ابو عامر بن شهيد تقديم بطرس البستاني دار صادر بيروت ١٩٦٧ .
(٤٣) رسالتان في عروض الدوبيت • مالك بن المرحل . تحقيق هلال ناجي . مستلة من مجلة المورد . م٣ العدد ٤ سنة ١٩٧٥ •
(٤٤) الزجل في الاندلس . الدكتور عبد العزيز الاهواني . القاهرة ١٩٥٧.
(٤٥) الشعر الاندلسي (بحث في تطوره وخصائصه) • اميليو غارسيه جومس . ترجمة الدكتور حسين مؤنس . القاهرة
(٤٦) الشعر العربي في الاندلس . كراتشكوفسكي . ترجمة د . محمد منير مرسي . القاهرة ١٩٧١ .
(٤٧) ابن شهيد الاندلسي . حياته واثاره . شارل بلا . منشورات الجامعة

الاردنية ١٩٦٥ .
(٤٨) صفة جزيرة الاندلس . عبد المنعم الحميري نشر وتعليق بروفنسال الدار المصرية للتأليف والترجمة • القاهرة ١٩٣٧
(٤٩) الصقالبة في اسبانيا • احمد مختار عبد الفتاح العبادي . وزارة المعارف العموميه • المعهد المصري للدراسات الاسلامية مدريد ١٩٥٣ .
(٥٠) صقر قريش • علي ادهم . كتاب الهلال . دار الهلال • القاهرة
(٥١) صورة الارض . ابو القاسم محمد بن علي بن حوقل البغدادي . ليدن ١٩٣٨ •
(٥٢) ضحى الاسلام • احمد امين • القاهرة
(٥٣) طبقات النحويين واللغويين • ابو بكر محمد بن الحسن الزبيدي الاندلسي . تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم • دار المعارف القاهرة ١٩٧٣
(٥٤) العاطل الحالي والمرخص الغالي . صفي الدين الحلي الطائي ط • فيسبادن . المانيا ١٩٥٥
(٥٥) ابن عبد ربه وعقده . جبرائيل سليمان جبور . المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٣٣
(٥٦) العروض الواضح ـ ممدوح حقي . دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر • دمشق ط٢ ١٩٥٦ .

(٥٧) العقد الفريد . ابن عبد ربه الاندلسي تحقيق احمد امين وجماعته
مطبعة لجنة التأليف والترجمة ، القاهرة ١٩٥٢
(٥٨) عيون الانباء في طبقات الاطباء ، ابن ابي اصيبعة ، المطبعة الوهبية
القاهرة ١٣٠٠
(٥٩) فجر الاندلس ، الدكتور حسين مؤنس . الشركة العربية للطباعة
القاهرة ١٩٥٩
(٦٠) فصول في الادب الاندلسي ـ الدكتور حكمة علي الاوسي . مطبعه
سلمان الاعظمي بغداد ١٩٧١
(٦١) فضائل الاندلس وأهلها . ثلاث رسائل لابن حزم وابن سعيد
والشقندي . جمعها ونشرها الدكتور صلاح الدين المنجد . دار
الكتاب الجديد . بيروت ،
(٦٢) فن التوشيح ، الدكتور مصطفى عوض الكريم ، دار الثقافة
بيروت ١٩٥٩
(٦٣) فهرسة مارواه ابن خير الاشبيلي عن شيوخه من الدواوين المصنفة
في ضروب العلم وانواع المعارف . نشر كوديرا سرقسطة ١٨٩٥
(٦٤) في الادب الاندلسي الدكتور جودت الركابي دار المعارف بمصر
(٦٥) القاموس المحيط ـ مجد الدين الفيروزآبادي . مطبعة البابي الحلبي
القاهرة ، ط٢ ١٩٥٢ ،
(٦٦) قلائد العقيان في محاسن الاعيان ـ الفتح بن خاقان القيسي الاشبيلي

بولاق مصر ١٢٨٣ هـ والقاهرة ١٣٢٠ هـ .
(٦٧) كتاب الصلة في تاريخ أئمة الاندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم . ابو القاسم خلف بن عبد الملك المعروف بابن بشكوال طبعة كوديرا . مدريد ١٨٨٣ .
(٦٨) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون . حاجي خليفة الطبعة الاوربية .
(٦٩) المجمل في تاريخ الاندلس د . عبد الحميد العبادي . مكتبة النهضة المصرية ط١ ١٩٥٨
(٧٠) المسالك والممالك . ابو القاسم محمد بن علي بن حوقل البغدادي مطبعة بريل . ليدن ١٨٧٣
(٧١) المستطرف من كل فن مستظرف . ابو الفتح محمد بن احمد الابشيهي مصر ١٩٤٢
(٧٢) المطرب من أشعار أهل المغرب . ابو الخطاب عمر بن حسن المعروف بابن دحية الكلبي . تحقيق ابراهيم الابياري وجماعته المطبعة الاميرية القاهرة ١٩٥٤ . وتحقيق د . مصطفى عوض الكريم الخرطوم ١٩٥٤
(٧٣) مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الاندلس . الفتح بن خاقان القيسي الاشبيلي . مطبعة السعادة مصر ١٣٢٥ هـ
(٧٤) المعجب في تلخيص اخبار المغرب . ابن عذارى المراكشي تحقيق

محمد سعيد العريان • القاهرة ١٩٤٧ •

(٧٥) معجم الادباء ـ ياقوت الحموي • تحقيق مارغليوث . القاهرة ١٩٣٨ .

(٧٦) المغرب من اخبار اهل المغرب • عبد الملك بن سعيد واخرين تحقيق د • شوقي ضيف دار المعارف القاهرة

(٧٧) المقتبس في اخبار الاندلس • ابو مروان حيان بن خلف القرطبي تحقيق د • محمود علي مكي القاهرة ١٩٧١ • والدكتور عبد الرحمن الحجي دار الثقافة بيروت ١٩٦٥ .

(٧٨) المقدمة • عبد الرحمن بن خلدون • تحقيق كاترمير باريس ١٨٥٨ والمطبعة التجارية بمصر ١٩٥٧ •

(٧٩) ملامح الشعر الاندلسي • الدكتور عمر الدقاق • منشورات دار الشرق بيروت ١٩٧٥ •

(٨٠) موسيقى الشعر • الدكتور ابراهيم أنيس • القاهرة .

(٨١) الموشح في الاندلس وفي المشرق. د • محمد مهدي البصير • مطبعة المعارف بغداد ١٩٤٨ •

(٨٢) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب • احمد بن محمد المقري التلمساني • تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد • دار الكاتب العربي بيروت • وبولاق ١٣٠٢ •

(٨٣) نهاية الاندلس وتاريخ العرب المنتصرين • محمد عبد الله عنان

مطبعة مصر ١٩٤٩ .

(٨٤) وفيات الاعيان في أنباء أبناء الزمان ـ ابن خلكان . تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد القاهرة ١٩٤٨ .

(٨٥) يتيمة الدهر في محاسن اهل العصر . ابو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي . تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد مطبعة السعادة القاهرة .

« فهرس الاعلام (*) »

(*) أعد الفهارس السيد عدنان الدوري جزاه الله خيراً .

« ب »

« ت »

« ث »

« ج »

« ح »

« خ »

« د »

« ر »

« ز »

« س »

« ش »

« ص »

« ض »

« ط »

« ع »

« غ »

« ف »

« ق »

« ك »

« ل »

(م)

« ن »

« هـ »

« و »

« ي »

فهرس الشعر

« ء »

القافية	عدد الابيات	الشاعر	الصفحة
سرّاه	١٢	ابن سفر المريني	١٠٤

« ب »

القافية	عدد الابيات	الشاعر	الصفحة
بالحبِ	٢	ابن اللبانة	١٨٣
ومنتابِ	٣	ابن عبد ربه	٢٧٨
الصبُ	٢	ابن حزم	٨٥
قريبُ	٣	ابن قزمان	٢٢٥
السراب	١	ابن عبد ربـــه	٢٧٩
اطنابا	٢	عباس بن فرناس	١٦٣
فاجتنبا	٣	ابو بكر يحي (ابن بقي)	١٨١ / ١٨٦ /
الحجاب	٥	محي الدين بن العربي	٢٠٨
بالكذب	٢	فخر الملك محمد بن علي	٢٣٥
السببْ	٢	—	٢٣٣

« ت »

القافية	عدد الابيات	الشاعر	الصفحة
فاستمرتِ	٥	جعفر بن عثمان	٢٥٤

« ظ »

« ع »

« ف »

« لِ »

ابلاني	٢	ابن قزمان	٢٢٠
يهواني	١	« «	٢٢١
يلتقيان	١	ابن عبد ربه	٢٩٥
زماني	٤	ابن قزمان	٢٢٦
الجديدين	٣	ابن عبد ربه	٢٩٥
بلاسنّ	٢	الشريف الطليق مروان	٢٥٨
بلا عين	١	ابن عبد ربه	٢٩٥
بشجون	٢	ابن عبد ربه	٢٨٨
من اشجانهِ	٢	ابن عبد ربه	٢٨٥
يلين ُ	٣	—	٢١٨
بون	١	ابن قزمان	٢٢٧
كونه	٤	محي الدين بن عربي	٢٠٨
حبانا	١	(موسى بن ابي الغسان)	٧٨
هوانا	٥	محي الدين بن عربي	٢٠٩
الدنا	١	ابوالمشي عاصم بن زيد التميمي	١٥٣
لسانا	١	ابن االبانه	١٩٥
مآقبنا	٢	المعتمد بن عباد	٢١٩
شنا	١	ابن عبد ربه	٢٩٢
اما تلين°	١	ابن بقي	١٩٣

« فهرس الكتب »

« أ »

« د »

« ش »

« ص »

« ط »

« ق »

« ك »

« ل »

« م »

« ن »

« هـ »

هسبرس (مجلة) ٢٥ .

الهنـــد ٣٠٩ .

« و »

وشى الطرس في حل جزيرة الاندلس ١٩ .

« ى »

يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ١١ ، ١٢ ، ١٧ ، ٣٢٥



محتويات الكتاب

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة
نشأته	٣١٦
صفاته واخلاقه	٣٢٠
مرضه ووفاته	٣٢١
شعره	٣٢٤
منزلته الشعرية	٣٢٥
فنون شعره	٣٢٦
خصائص شعره الفنية	٣٢٨
نثره	٣٣١
رسالة التوابع والزوابع	٣٣٣
المراجع والمصادر	٣٣٧
الفهارس	٣٤٧
محتويات الكتاب	٤٠٣

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ٥٨٨ لسنة ١٩٧٨